

الحمد لله

## في تفسير القرآن الكريم

استعمل على عجائب البيان والبيان

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طهطاوي جوهرى  
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا  
متع الله المسلمين بحياة آمين

## المجلد الثاني عشر

طبع بطبعة

مطبعة السبكي الخليلي وأولاده بمصر

وحق طبع محفوظ

بمباشرة - محمد امين عمارة

جاءى الثانية - ١٣٤٧ هـ



وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية ﴾

( وهي ثلاثة أقسام )

﴿ القسم الأول ﴾ في أحكام القذف والزنا وبراءة أم المؤمنين وما يتبع ذلك من المواضع من أول السورة الى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - الى قوله - وموعظة للمتقين - وذلك في آداب المعاشرة وآداب الرجال والنساء

﴿ القسم الثالث ﴾ في عجائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يتبع ذلك من الآداب الواجبة العامة من قوله - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة

( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* الزَّانِيَةُ  
وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا  
زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ \* وَالَّذِينَ  
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً



أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
\* وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ  
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَيَدْرُوْا  
عَنْهَا الْمَذَابَ أَنَّ تَشْهيدَ أَرْبَعِ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ  
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ \*  
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ سَفِيرٌ لَكُمْ يَكُلُّ  
أَمْرِي مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْ لَا إِذْ  
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ \* لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ  
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقَوْلُكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ  
بِالسِّنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ  
\* وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \*  
يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَهُوفٌ  
رَحِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ  
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا  
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ  
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ  
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا  
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ \*

الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ  
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ \*

التفسير اللفظي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وكذلك من بعدكم  
الى يوم القيامة (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعظوا بالأمر والنهي فلا تعطوا  
الحدود

﴿ حكم الزنا ﴾

(الزانية والزاني) فيما فرضنا أو فيما أنزلنا حكم الزانية والزاني ويصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا  
كل واحد منهما مئة جلده) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل الى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم  
مقامهم الامام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط في وجوب الحقة وهي البلوغ والعقل ويجب أن  
يفرغ عما عند الشافعي لثبوته في السنة . ووكل أبو حنيفة أمر التغريب لرأي الامام ويجب على العبد والأمة  
نصف الجلد ولارجم عليهما وهذا حكم غير المحصن . أما المحصن فيزيد على ما تقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا  
بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجا برجه عليه الصلاة والسلام يهوديين وحكم  
المحصن الرجم . ويرى مالك في غير المحصن كما يرى الشافعي ولكن المرأة لا تغرب . ويرى الحنفية أن التغريب  
المروى في الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى في قوله - فامسكوهن في البيوت - وقوله - فاذوهما -  
بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) رجة ورقة فتعطوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من  
الغربة وفي الغربة أشد من حد الشرب أو يخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذاهب وقوله  
(في دين الله) أي في حكم الله \* روى انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴾  
\* وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له ابنه ولا تأخذكم  
بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم  
تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لا تأخذ الرأفة إذا جاء أمر الله أي إذا كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة  
الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التنكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان  
والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الاشكال تحن الى أشكالها  
وكان ضعفة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن عليهن من أكسابهن على عادة  
الجاهلية نزل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية  
لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفساق  
والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس  
عن ذلك فان الزناة يألفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن  
\* وقيل ان نسكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى - وأنسكحوها الأيامي منكم - ولذلك قال ﷺ لما  
سئل في نكاح المسافات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ﴾

﴿ فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة ﴾

اعلم أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أوزنت فعليه جلد ثمانين جلدة ان كان  
القاذف حرا وكان المقدوف محصنا أي مسلما بالغيا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون  
الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقدوفة خلافا لأبي حنيفة ثم اذا كان القاذف عبدا



يجلد أربعين وإن كان المذنب غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضى . ومن زنى وتاب وحسنت توبته وقذف لا يجب في قذفه إلا التعزير وهكذا القذف بغير الزنا مثل يافاسقى وياشارب الخمر وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتي استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخص النساء بالنساء كإشاعة أمرهن إذا قذفن وقوله (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أى يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلده) أخف من جلد الزانى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم فالقذف إذن من الكبائر فلذلك سمي مرتكبها فاسقا (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحو) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتى إيضاحه والخلاف فيه (فإن الله غفور رحيم) يغفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهن) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أى لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدبروا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أن الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كنت من الصادقين) فى ذلك (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالأمان

### ﴿ فصل فى قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك فى أمر عائشة أم المؤمنين والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ﴿ومحصل القصة﴾ ما ذكرته رضى الله عنها قالت ﴿فقدت عقدا فى غزوة بنى المصطلق فتخلفت ولم يعرف خاواهلودج خلفتى فلما ارتحلوا أناخ لى صفوان بن المعطل بعيره وساقه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك فى من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبى أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازددت مرضا وبت عند أبوى لا يرقأ لى دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن الدمع فالق كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشرى يا حيراء فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك﴾ اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالإفك) وهو الصرف لأنه قول ما فوقك مصروف عن وجهه (عصبة منكم) جماعة منكم وهى من العشرة الى الأربعين وكذلك العصبة منهم عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثانة وحة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطبا رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلا (لا تحسبه) أى الإفك (شرا لكم بل هو خير لكم) لكم فيه ثواب وارتقاء الأنفس وظهور الكرامة بانزال ثمان عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضا تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثناء على من ظن خيرا (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) أى جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه محتضا به (والذى تولى كبره) معظمه (منهم) من الخائضين وهو عبد الله بن أبى فانه هو الذى بدأ به لأنه يحكى أن صفوان صرّ بهودجها عليه وهوفى ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها (له عذاب عظيم) أى جهنم . ثم أخذ يوجب العصبة فقال سبحانه (لولا) هلا (إذ سمعتموه) أى الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أى هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الإفك خيرا بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعا كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيرا فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون فى التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لا حقيقة له (لولا) هلا (جاؤا عليه) على ما رعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فأذ لم يأتوا



بالشهداء فأولئك عند الله في حكمه وشريعته (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها أمهالكم للتوبة ورحته في الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (اسمكم) عاجلا (فيما أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) فالجلد واللوم مستصفران بالنسبة له (إذ) متعلق بـ (اسمكم) (تلقونه بالسنتكم) يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال (وتقولون بأنواهم ما ليس لكم به علم) أي يقولون بالسنتهم من الأفك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لا تبعه له (وهو عند الله عظيم) في الوزر . فهذه (ثلاث خصال) التلق والتحدث والاستصغار للذنب مع عظمته (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيما ما يخص بابنة الصديق (سبحانك) تنزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فان فجورها يخل بمقصود الزواج (هذا بهتان عظيم) لأن المبهوت عليه عظيم (يعظكم الله) كراهة (أن تعودوا لمثله أبدا) مادمتم أحياء مكافين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تقرير وتوبيخ فان الإيمان يمنع من القبائح (ويبين الله لكم آياته) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعالما لكم (والله عليم) بصفوان وعائشة وبكل الأحوال (حكيم) في تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زوجته ﷺ طاهرات لأنه يكرم أوليائه . ومن حكمته أنه برأ عائشة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كعبد الله بن أبي وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا (في الدين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيحدثون في الدنيا ويدخلون جهنم في الآخرة (والله يعلم) مافي الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الاشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لمسطح وحسان بن ثابت وكرره لئلا يترك المعالجة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن شرع التوبة ووفقكم لها فتمحى ذنوبكم وأنزل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (مازكى منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صلح فانه بفضل الله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأنزل الزواجر وحكم بها ووفقكم لما يمحوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة وأما بما تصابون به من الرزايا فانها مكفرات (ولكن الله يزكى من يشاء) بتوفيقه للتوبة وحمله عليها وقبولها منه وباقامة الحدود وانزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا يأتل) أي لا يحلف (أولوا الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤثروا) على أن لا يحسنوا الى المستحقين للإحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت بينهم وبينهم شحنة جناية اقترفوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليغفروا) أي وليستروا (وليغفروا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) فليغفروا بهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بأدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قدفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضي الله عنها وغيرها من كل سليمة الصدر نقية القلب لادهاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الأمور (لغنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فهؤلاء القذفة ملعونون في الدارين ولهم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالغتابون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم بحسمة يراها المذنب وتساهدها



وأشاهدها الناس حوله والملائكة بصورة قبيحة بشعة تشمر بالمهانة والدالة ولا مانع من النفاق اللفظي وهو معنى قوله تعالى - ووجدوا ما عملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عيضا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بمظهره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصورة الباطنة تلازمه ولا انفارقه ويؤد لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالهواء يحيط به أينما حل . ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أى مطابقة لهذا الجسم المادى ويسمى ذلك الجسم ﴿الجسم الأثيرى﴾ أى المنسوب للأثير وهى المادة اللطيفة التى هى أخف وألطف من الهواء والعالم كله مغمور فيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويؤد لو ينخلع منها اذا كانت قبيحة قال تعالى (ومثد يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) علم معينة (أن الله هو الحق المبين) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتقم من المظالم لظلمه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبى والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعنى عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهى مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) أى أصحاب الأفك (لهم مغفرة) عفو لدنوبهم (ورزق كريم) أى الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها فى راحته وقال هى زوجتك ولم يزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ فى حجرها وفى يومها ودفن فى بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها فى اللحاف ونزلت براءتها من السماء وهى ابنة الصديق وخلقت طيبة ووعدت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظي وهنا ﴿أربع لطائف﴾

(١) فى قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -

(٢) وفى قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ

(٣) وفى قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -

(٤) وفى قوله - الخبيثات للخبيثين - الخ

﴿اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -﴾

(١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته ويحول عنه اسم الفسق سواء أكان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى رد الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشهبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى ومالك والشافعى

(٢) لا تقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق عند النسخي وشرح

(٣) لا ترد شهادته بنفس القذف مالم يحد عند أصحاب الرأى

(٤) هو قبل الحد شر منه حين يحد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها فى أحسن حاله وتقبلونها فى شر حاله وهذا هو اعتراض الشافعى على أصحاب الرأى بل قال ان حد القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدم

(٥) لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط كالفصاح يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أى مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأبدية فى كل شئ بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن



أى لا تقبل مادام على كفره

﴿ اللطيفة الثانية - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - إلى آخر الآيات ﴾

فقوله - أنه لمن الصادقين - معناه على أنه من الصادقين خذف الجار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيذا \* روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر الجعاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقظه فتقتلونه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فسكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ماسمعه من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم يأتيني بخبر قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقظه إلى آخر ما تقدم فأخبره رسول الله ﷺ باللعان فتلاعنا فلما فرغا من التلاعن طلقها عويمر ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ماجاء في الصحيحين ومثله ماجاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سمجاء وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال وليزاني الله ما يبرئ ظهري من الحذ فقام هلال بن أمية فشهد والذي يقول الله يعلم أن أحدا كاذب فهل منك نائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال إنها موجهة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أحكل العينين سابغ الاليتين خدج الساقين فهو شريك بن سمجاء فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ لولا ماضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن . وخدج الساقين ممتلى الساقين غليظهما

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا - ﴾

يقول علماؤنا رحمهم الله تعالى في هذا المقام أنه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فانظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عم الناس ولولا فضله ورحمته لم يطهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزكى ويظهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالطهورات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأوضحت المدارس التي في الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التي تصيب الناس وقسم المرقيات للعقول الانسانية وقد شرحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائز والأخلاق والطباع وبهيجتها وعجائبها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا كرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطيعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكلت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالناس لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المسلمون اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولوطناسبوا في العلوم والمعارف لجمعهم ووحدهم ولكنهم جهلوا فالجهل فرقههم والله هو الولي الحميد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأمم وثبتها في العقول فنطقت بها الألسنة وكتبت في الكتب وداعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قديما كما ترى في كتاب ﴿ كليمه ودمته ﴾ فقد جاء فيه مانعه

﴿ حكاية العابد والفارة ﴾

حكى أن عبدا قتل فأرة ثم ندم على ما فعل وحن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا إلى التوبة



في نظره إلا انه يعلق الفأرة في عنقه مدة ثم دعا الله أن يحبسها فتسير بنتا فأجاب الله دعاءه فصارت بنتا ورباها  
وترعرعت وأن زمن الزواج فسألها أي الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين  
الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزوجك للسحاب قالت . كلا .  
فالمريخ أقوى منها لأنها ترفعه وتحميه الى الجهات قال فلا زوجك للمريخ قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه  
يصدّه ويمنعه قال فلا زوجك بالجبل قالت . كلا . فالقار أقوى من الجبل لأنه يحفره ويفتح فيه حجرا فعرف  
عند ذلك انها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتم الأمر وهذا قول الشاعر  
\* إن الطيور على أشكلها تقع \* وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام  
على القسم الأول من السورة

### ( التَّسْمِ الثَّانِي )

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا  
ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ \* فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ  
لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ \* لَيْسَ  
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا  
تَكْتُمُونَ \* قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ \* وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَفْعَلْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ  
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ  
بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ  
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ  
زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ  
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \*  
وَلَيْسَتْ عُفُفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ  
مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ  
وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتَلِيَ عَنْكُمْ أَلْحِيَاةَ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ  
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ



الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \*

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التي تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعارها لها حتى الدخول إلا بأذن فالمدار على السكني لأعلى الملك (حتى تستأنسوا) تستأذنوا أي تستعلموا . يقال آنس الشيء أبصره ويصح أن يكون من الأنس على وزن قفل فان المستأذن مستوحش قبل الأذن مستأنس بعده وأن يكون من الانس على وزن تبرأي تتعرفوا هل ثمة انسان (وتسلموا على أهلها) فتقولوا لهم « السلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات » فان أذن له دخل والا رجع (ذالككم) أي ما ذكر من الاستئذان والتسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة وتحبوا تحية الجاهلية فتقولوا « حينئذ صباحا . حينئذ مساء » وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا ارادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لعلكم تذكرون) فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تدخلوها (هو أركي لكم) أي الرجوع أظهر لكم من الإطراح والوقوف على الباب فذلك مناف للروعة (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تفرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالرباط والخانات والخوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كايواء الأمتعة بالخوانيت وكاتقاء الحر والبرد في المنازل المبنية للسابلة وكالدخول في بيوت التجار والخوانيت في الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلك أركي لهم) أنفع لهم وأظهر لما فيه من البعد عن الريبة (إن الله خير بما يصنعون) لا يخفي عليه ما يقصدون من استعمال الابصار وكل جارية من جوارحهم فليحذروه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن \* روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحرث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعشى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعميا وان أتما ألسما تبصرانه . رواه الترمذي وأبو داود ثم قال تعالى (ولا يبدين زينتهن) أي ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخلع والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها كسائر الخلق والسياب والأصباغ فضلا عن مواضعها فلا تبدى منها شيئا (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالسياب والخاتم والكحل والخصاب في الكف وكالوجه والقدمين ففي ستر هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيما في مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غض بصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخرج جمع خمار أي ليضعنها وذلك كما نقول ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه أي ليلقين بمقانعهن على مواضع الجيب وهو النحر والصدر يسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن . ولقد كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حوالها وكن يسدن الخرج من رءسهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدنها من قدامهن حتى تغطيهن (ولا يبدين زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الإبداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا لبعولتهن) لأنهم المقصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناءهن أو بناتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن) لأن الطباع تنفر من محاسن القرائب فلهن أن



ينظروا منهم إلى ما عدا ما بين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والأخوة وبنو الأخوة وبنو الأخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أولئك الذين هم الخائضون) أي المؤمنات من أهل دينهن فيجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تجرد من ثيابها عند النية أو الكافرة (أو ما ملكت أيمانهم) من الأماء والعبيد فينظر العبد من سيده ما عدا ما بين السرة والركبة كالأمه فهو كالمحرم وكالنساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس رضي الله عنه إذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عبيدا وكان عليها ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك أو غلامك . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها وتحمل الآية على الأماء دون العبيد ثم قال تعالى (أولئك الذين هم الخائضون) أي الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيئا من أمر النساء والشيوخ والصلحاء وكالعندين والخمى والخمى والمجبوب . وفي حديث مسلم أنه كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعتونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعث امرأة قال إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل عليهن وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة ليطعم . وأراد بالأربع أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أولئك الذين هم الخائضون) أي الذين لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حد الشهوة والظهور والإطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتقنع خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وهذا أبلغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها فهين عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) وإنما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا تخلو أحد من التفريط فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجداول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا فائدة والكف عن الشهوات كفض البصر وتجنب النساء وقلة الإفراط في الشهوات حلالا أو حراما وما أشبه ذلك أشبه بالسدود والحبوس والقناطر الموضوعة في مجرى النيل وسقي الأرض من الجداول النيلية في الوجهين القبلي والبحري وخروج النبات والأشجار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والنفاء أشبه بتصرف عقولنا في أنواع العلوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قوانا رجع إلى قوة العقل وكل ما أضعناه من قوى النفس في المبصرات والمذوقات والمعموسات وجميع اللذات نقص من قوة العقل والفلاح يكون بالقوة العقلية والخيبة بالتمادي في القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة في غض البصر والكف عن المحرمات . فأن الله تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فإذا صرفناها في أسفل الأمور سفلنا وإذا صرفناها في أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهي مقدمات والمقدمات نتائج إذ لا عقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فإذا جعل الإنسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل في البحر الأبيض وإذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فإن أعلى الجنة لأولى الأبواب والعلم أعلى لذة في الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء في الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعامة لا يفهمون مثل هذه الأمور وما يعقلها إلا الحكماء الذين فكروا في الدنيا وخلقها . فالعامة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية



ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلمكم تفعلون - معروفًا لهم في هذه الحياة يقرؤنه في نفوسهم وفيمن حولهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قائمًا طويحت بهم طوائع الدهر وقلب الدهر لهم ظهر المجن وأنزل بهم العذاب الهون كما أضل عقولهم فعذابهم مهجول في هذه الحياة وإن كانوا لا يعقلون أنهم معذبون ويسجنون وهم لا يعلمون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على النهي عما يفضي إلى السفاح الخلل بالنسب المؤدى إلى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببًا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأذكحوا الأيامي) مقاب أياهم كيتامي جمع أيم وهو العزب ذكر اكان أوأئي بكرا كان أوئيبا \* قال الشاعر

فان تنكحني أنكح وان تنأيمي \* وان كنت أفنى منكم أنأيم

أى زوجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاختوات والبنين والاختوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للذنب

(١) فيستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبة أن يتزوج

(٢) ومن لا تتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي

(٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي

(٤) تزويج الأيامي خاص بالأولياء وتزويج العبيد والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم كعمر وعلى وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشریح والنخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق

(٥) يجوز للمرأة أن تزوج نفسها عند أصحاب الرأي

(٦) إن كانت دنيئة جاز لها أن تزوج نفسها وإن كانت شريفة لم يجوز عند مالك

ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويتعاشرونه خيفة الفقر إذا كان الخاطب أو المخطوبة في فقر أردفه بما يفيد أنه سبحانه وتعالى يغنيهما عند الزواج إما بالقناعة والرضا وإما بالمال وإما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) ففضل الله يسعهما والمال غاد ورائح

وكم يسر آتى من بعد عسر \* وفرج كربة القلب الشجي

وورد في حديث ﴿ اطلبوا الغنى من هذه الآية ﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذوسعة إذ لا انتهاء لفضله ولا حد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) يسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) ليبتعد في العفة وقمع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من المصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب إذا لم يجد المال لحديث ﴿ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء رض الانثيين فليستعفف هؤلاء (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوجون به

﴿ فصل في المكاتب ﴾

المكاتبة أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك في نجمين أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فأنت حر وتقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق . وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) المكاتبه (عما ملكت أيمنكم) عبدا كان أو أمة (فمكاتبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعمر بن دينار \* وقد روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكاتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأبى فضربه بالرة وتلا قوله تعالى - فكاتبوهم - الخ

(٢) أولئذ وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة تجوز إلى نجم واحد وحالة واحدة عند أي حنيقة ولا تقل عن نجمين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيرا) أي مالا أو قوة على الكسب أو صدقا وأمانة أو أمانة مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . أو أن يكون بالغا عاقلا . وجوز أبو حنيفة مكاتبته الصبي المراهق . وقوله (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيئا من مال الله الذي آتاكم فليس لكم فيه فضل فإن الله ربكم ورب عبيدكم وأموالكم ملكه وكذلك أعطوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة في قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء - فإن عتق الرقاب داخل في الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يخص جميع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لأحد المقدار الذي يحطه والحط واجب وقدره بعضهم بالربع وهو قول علي وقال ابن عباس يحط الثالث وأنت خير أنه لأحد للحط

﴿ فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا ﴾

روى أنه كان لعبد الله بن أبي ابن سبيل المنافق جارتان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضريبة يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الإسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيرا فقد استكثرنا منه وإن يك شرا فقد آن لنا أن ندعه ويقال إن إحدى الجارتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما أرجعا فإنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام وحرم الزنا فأتنا رسول الله ﷺ وشكنا إليه فأنزل الله قوله (ولأنكرهوا فتياتكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصنا) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذي نزلت لأجله الآية والا فلا إكراه محظور سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الإكراه لا يمكن إلا إذا أردن العفة فأما التي لا تريد العفة فليست بمكرهة على الزنا بل هي راغبة فيه . يقول الله - لأنكرهوا فتياتكم على البغاء - (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا كسبهن وبيع أولادهن (ومن يكرههن) على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعني بالمكرهات والوزر على المكروه . وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول ﴿ هُنَّ وَاللَّهُ هُنَّ وَاللَّهُ ﴾ (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) أي مثلا من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهي قصة عائشة رضي الله عنها (وموعظة للمتقين) ما وعظ به من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه مزدجر لم تذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير المفطن للقسم الثاني . وههنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ ﴾

عن قتادة أن الاستئذان ﴿ ثلاثة ﴾ الأول ﴿ بسمع الحى ﴾ والثاني ﴿ ليتأهبوا ﴾ والثالث ﴿ إن شاؤا أذنوا وإن شاؤا ردوا فانهم في أول صرة بما منهم بعض الأشغال من الأذن وفي المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضي المنع أو يقتضي التساوى فإذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الأذن على مانع فيستن له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلا بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فاما قرع الباب بعنف والصياح بصاحب الدار فذلك حرام لأنه يتضمن الإيذاء وكفى بقصة بنى أسد زاجرة وما نزل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن



من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جاء مع الرسول لا يحتاج إلى استئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج إلى الاستئذان ويستأذن الإنسان على أخته وأمه لقوله ﷺ لرجل وقد سأله في ذلك « أحب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع ﴿ ثلاثة أمور ﴾ الدخول في منزل الغير والنظر إلى المحرم شرعا والاطلاع على ما يكره الإنسان الاطلاع عليه . فاذن دخول ملك الغير بغير إذنه محظور والاطلاع على المحرمات محظور شرعا هكذا فليكن محظورا على الإنسان الدخول على أمه وأخته وزوجته وأمه للخصلة الثالثة فانهن ربما كن في حال لا يحجبن اطلاع أحد عليهن فإذن نجا من الحرمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر الدخول في ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أحب أن تراها عريانة »

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال ﷺ ﴿ تزوجوا الولود الودود فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة ﴾ وقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي « انه يجب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها » ويقول عامة السلف ﴿ إن النكاح مستحب لمن تاقته نفسه إلى النكاح ووجد أهبه ﴾ كما تقدم . فعلمت من هذا انه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمه في حال خاصة . ومن المعلوم أن الإنسان إذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لدرئها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يفتنون ويروجون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزي والعار فترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسلمون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفضلون الخلاعة على الزواج . ولما رأت هكذا حكومة الترك سنت قانونا تجبر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتنفقه على أبناء المزوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم (بلشفية) أي أنها تجري على حكم الأكثرية تأمر الفتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فإن لم تزوج الفتاة قبل هذا السن زوجهن لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فإذا رأوا خلاعة منتشرة وفسوقا واضحا فلا حرج عليهم إذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والذكور بالعفة والنساء بترية الأولاد وليكن ذلك بحكمة وتفكر . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه نارة من حيث التخلي للعبادة بترك النكاح وتارة بغير ذلك كما تقدم فلينظر اليوم علماء الاسلام إلى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث تقريرا ودليل ذلك تعداد المواليد فانك تراه متعادلا تقريرا في جميع الكرة الأرضية . وإذا كان التعداد جائزا ليكون الموائى لأعائل لمن يجدن من يهولهن . فإذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لأعائل لمن فإذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لا يمنع منه ديننا فان قوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين - إلخ قد قال بعض العلماء بجهله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . وإذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . وإذا قلنا يمنعه الفقر فالحكومات اليوم أصبحت تساعد الذي لازوجه له فقد زال هذا المانع وإذا كانت فيه عاهة فينظر في أمره . وإنى لست أقطع في هذه المسألة . وإنما أقول ان المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأيامى - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع وإذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرم على أكثر نوع الإنسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصالحه . فهل هذه الأمم تكون أحرم على اكثار النسل من الاسلام . كلا . فالتبني يقول  
 ( تزوجوا الولود الودود فاني مباد بكم الأمم يوم القيامة ) ولعل في قوله تعالى - ان يكونوا فقراء يغفهم الله  
 من فضله - رمز الى ما نفعه دولة تركيا اليوم من تخرج الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى امبراطور ألمانيا  
 ( غليوم ) الذي كان السبب في الحرب كيف كان يحرض قومه على اكثار النسل وكيف أصرا العلماء فاخترعوا  
 صوراً للمتزوج وصوراً للأعزب بفصل الناس يدخون فيرون رجلاً أشمطاً وامرأة شمطاء منزوين في ركن  
 المنزل قد آذاهما البرد وهما متكعشان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تلبخ وهذا  
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس في النكاح ولذلك صارت  
 ألمانيا نحو ( ٧٠ ) مليوناً . أما فرنسا فانها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالمسلمون أولى باكثار  
 النسل . واعلم أن التعدد المذكور في الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج طواً ولعباً أو فقراً .  
 فأما اذا أمر الناس جميعاً بالزواج فلا تعدد إلا نادراً جداً . واعلم أن التعدد اليوم في الاسلام لا يزيد على ثلاثة  
 أو خمسة في المائة فاذا تم ما ذكرته نقص التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة  
 لرجل والله قد جعل العدد على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر خلق الذكور على عدد الاناث كما تقدم فيكون  
 التعدد إذن نادراً جداً بل يكون خارجاً عن العدل لأنه اذا كانت عندك امرأة صالحة للنكاح فكيف تحجبها  
 عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة - الخ مقرباً لذلك لأنه اذا كان  
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة صالحة للنكاح غير  
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأياً . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء  
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى اجماع أهل الحل والعقد في  
 الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتروي يصبح ديناً ومباحثي هذه مقدمات لمباحثهم المستقبلية  
 إن شاء الله تعالى وسيكون في الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون  
 مباحثهم اجماعية فما استقر الرأي عليه فلا خلاف فيه . اللهم اهد أممتنا الاسلامية الى سواء السراط . انتهى  
 الكلام على القسم الثاني من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ  
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ  
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ  
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ  
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
 وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ \* وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ  
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ



سَرِيعُ الْحِسَابِ \* أَوْ كَذُفَاتٍ فِي بَحْرِ بَلَجٍ يَمْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ  
مُطَاعَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا قَدْ  
لَهُ مِنْ نُورٍ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ  
عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ  
\* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ  
خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ  
يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ \* يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي  
الْأَبْصَارِ \* وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى  
رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* أَقَدْ  
أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ  
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ \* وَإِذَا دُعُوا  
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَتَذَكَّرُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ \* وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا  
إِلَيْهِ مُذْغَبِينَ \* أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا  
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ \* إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ  
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ  
فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ \* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُخْرَجَنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةَ  
مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَخِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
مَا مُهِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ \* وَعَدَ اللَّهُ  
الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ  
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا  
يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ \* وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ  
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ \* لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَاهُمْ

النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُنَّ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّهَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \*

### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (اللَّهُ نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومنور قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كشكاة) كصفة مشكاة وهي الكوة غير النافذة . ويقال أيضا الأنوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج صخيم ثاقب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة



زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم السرية منسوبة للدّر في الصفاء (يقود) المصباح  
أو توقد الزجاجة أي مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية) أي أخذ دهن هذا للتدليل  
من شجرة الزيتون بفلاة لا يصيبها ظلّ الشرق إذا غربت الشمس ولا ظل الغرب إذا طلعت الشمس بل هي  
مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طوعها وغروبها فتسكون شرقية غربية تأخذ حظها من  
الأمسين فيكون زيتها أضوأ وأصفى أو لا تلبث في شرق المعمورة ولا غربها بل هي في الشام وزيتونة كما يقال  
أجود الزيتون (يكاد زيتها يغني) من وراء قشرها (ولو لم تفسد نار) فالزيت لصفائه ونقاءه يكاد يغني  
من غير نار وباجتماع المشكاة الجامعة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى  
فالوا المشكاة لتفرق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا  
وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام  
ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريرا لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شيء عليم)  
فيبين كل شيء بالطرق التي يعلم أنها توصل إليه . وقوله (في بيوت) أي تلك القناديل المداول عليها بالمشكاة  
والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يدكر فيها الخنى من  
القول وتظهر من الأنجاس والأقدار (ويذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويبحث في أحكامه وأفعاله (يسبح  
له فيها بالغدو والآصال) يصلى له بالغداة صلاة الفجر وبالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحيد الغدو  
لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل كتبت جمع أصيل وهو العشي وقوله (رجال) فاعل  
يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للمجهول فيكون مسندا لقوله - له - ورجال فاعل لما دل عليه يسبح  
أي يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشغلهم تجارة في السفر (ولا بيع) في الحضر (عن ذكر الله) باللسان  
والقلب (واقام الصلاة) أي وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (وايتاء الزكاة) المفروضة (يتخافون  
يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي هؤلاء الرجال وإن بالغوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله  
وجلون خائفون لأنهم يعلمون أنهم ماعبدوا الله حق عبادته وما قدره حق قدره ويخشون يوما تضطرب فيه  
وتتغير القلوب فتفقه مالم تكن تفقه وتبصر الأبصار مالم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتطمع في النجاة (ليجزئهم  
الله أحسن ما عملوا) يقول استغفروا بذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا وهي  
الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها . وأما غير الأحسن وهي المساوي فهو يغفرها لهم أو يجازيهم جزاء  
أحسن من أعمالهم من عشرة إلى سبع مائة ضعف (ويزيدهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم  
(والله يرزق من يشاء بغير حساب) الكمال قدرته وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو  
ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أي يجري على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقية) جمع  
قاع وهو الأرض المستوية (يحسبه الظمآن ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما توهم  
انه ماء (لم يجده شيئا) كما ظنه (ووجد الله) أي جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه)  
جزاء عمله وافيا كاملا (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب \* روى أنها نزلت في عتبة بن ربيعة  
ابن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب -  
يقول الله ان أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وإن كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لحي)  
ذي لحي أي عميق واللج معظم الماء (يفش البحر) (موج من فوقه موج) أي أمواج مترادفة متراكبة  
(من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطي النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض)  
أي ان البحر يكون قعره مظلم جدا بسبب غمورة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق  
الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق (إذا أخرج يده) وهي أقرب ما يرى إليه (لم يكديرها) لم يقرب أن يراها

ففسلا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فقاله من نور) وأما الموفق  
فله نور على نور كما تقدم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿نمطين﴾ النمط الأول ﴿  
تسبيح الرجال الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة﴾ والنمط الثاني ﴿السحاب المنديج  
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق الأمواج الهاشجة في البحر اللجج﴾ الخ لذلك أخذ يذكر ما يناسب الأول  
قائلا سبحانه ان كل من في السموات والأرض يسبحون له . وخصص نوعا منها بديع الصنيع عجيب الوضع  
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسقاط أجنحتها في الهواء مع ثقل أجسامها فبالحكمة ارتفعها  
وبالنظم البديع طيرانها مخالفة لسائر الدواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومغالاة القوة الجاذبة الأرضية فعلت  
الى الجوّ وعاشت في الهواء الطلق فدلائها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد  
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاءه وتنزيهه وذلك إما باختياره كالإنسان وأما بطبعه كسائر الحيوان والطير  
فانها وان لم تصل كصلاة الإنسان فان غرائزها المستمعة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع  
وهذا الاستمداد والطلب في معنى الدعاء بالفرية والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة  
وما حلت به من الريش الناعم البهيج المجوف الخفيف والمناكير المحددة المساعدة على النهوض في الهواء . بذلك  
كأن تدل على حكمة نظمها وحكيم أبداعها . ألم تراها كيف كتب الجبل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل  
هي ما لا طاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الجبل والارضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران  
وخف ريشها وكان محقّقا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الخوصلة والقانصة . كل  
ذلك ابداع واتقان لئتم أمر الطيران بحقة الأجسام . فتبارك الله أحسن الخالقين . (والله عليم بما يفعلون)\*  
ولله ملك السموات والأرض) فهو يشملهما بعلمه ويملكهما بقوته . فبالعلم يقدر المصالح وبالتدرة يفعل ما  
يقضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تدبيرها محكما بحيث خصص كلا بخاصة لا يشركه فيها سواه (والى الله  
المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿النمط الثاني﴾ فقال (ألم تر أن الله يزيح السحابا) يقول  
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ ظلمات ويوقع الراكب في حيرة  
ألم تر أن الله يسوق سحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه الى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق  
بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل (ويُنزل من السماء)  
من الغمام وكل ما غلاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها وألوانها (من برد)  
من التبريد والالتان قبلها للابتداء أى انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة اذا  
تصاعدت فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر  
مطرا وان اشتد فان وصل الى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بما فيه  
من البخار بردا مفرطا فينقبض وينعقد بخاره سحابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم  
في ﴿سورة الرعد﴾ وسيتضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه)  
ضوء برقه (يذهب بالأبصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك من العجائب أن السحاب الذى  
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية  
من الضلال . فالسحاب الذى ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أضاء الجوّ بنور وأشرق في سائر الأقطار  
وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبأن  
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر بتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب  
ظلمة واشتق منه نور البرق الذى يبهز الأبصار (إن في ذلك لآية لأولى الأبصار) لدلالة لأهل العقول والبصائر  
على قدرة الله وحكمته



## ﴿ فصل في علم الحيوان ﴾

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالمشكاة ومثل أعمال الكفار بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه وعجائبه وأن الماء ينزل منه أنبعه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك أنه مامن حيوان إلا وهو مركب من مواد أشهرها الماء فلما نزل من السحاب وجري في النهر وتفرقت منه أجزاء فدخلت في جسم كل حيوان (١) فن الحيوان ما يتكاثر بالانقسام بمعنى أنه إذا بلغ أشده انقسم الى اثنين كل منهما الى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه الى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما إذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تنمو وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما يتناسل بالتبرعم وذلك أنه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفصل ويصير

حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما يتناسل بالبيض إذ يتكوّن الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفقرات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأثنى قبل بلوغ الجنين وتتم حضانتها في الخارج كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالإنسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسيّاح وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتربى في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء مختلطا بغيره ممزجا به متحدا معه وهي

(١) إما حيوانات فقريّة ذات عظام ودم وهي (أ) الإنسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د) والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) وأما حيوانات حلقيّة قد تتركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالذباب وأبى دقيق من كل ماله ستة أرجل (٢) والعنكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) وماله أكثر من ٤ أرجل (٤) وقارض الخشب (٥) والسود

(٣) وأما حيوانات قشرية ليس لها عظام ولادم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد يحفظ في قشر يحيط به وذلك كالقوقعة وغيرها مما تقدّم شرحه في هذا التفسير

(٤) وأما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى ﴿سمك النجم﴾ وغيره مما تقدّم شرحه موضعا ولعلها تتضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد علمت أنها كلها خلقت من ماء أي أن الماء داخل في تركيبها . فتعجب كيف ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوانات يتولد من نطفة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت أنه يتولد من تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نطفة بل ذلك بالانقسام . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون . وإذا فهمت هذه المقدمة عرفت أيها الذكي قوله تعالى (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادته أوماء مخصوص وهو النطفة وقد علمت شرحه وأفيا كاملا (فمنهم من يمشي على بطنه) إشارة الى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات (ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) وذلك كالطيور وذوات الأربع كما تقدّم (يخلق الله ما يشاء) مما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الحلق وذوات القشر والحيوانات الشعاعية وما يمشي على ستة أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم أنها من ذوات الحلق (إن الله على كل شيء قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات الفقرات ولا ذوات الحلقات ولا الحيوانات ذوات القشريات التي جسمها رخو فتراها جعل الحياة سارية عامة فلا يحجبها فقد العظم ولا فقد السم ولا فقد الحلقات ولا فقد القشر . وترى الدودة العارية التي لا عظم لها ولا جلد عائشة فرحة . وترى نوع الحشرات وحده كالنمل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والجعلان ودود القز ونحوها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوانات من الدود الى الانسان . ولقد وجدوا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠٠) صنف ولذلك يقدرون الحشرات المعروفة بنحو (٣٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ما علم منها وما لم يعلم يمر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة الممس تنسل بين التراب أو الأعشاب ثم يصير جنديا صلب القشر يثب وثبا ثم يصير فراشة ذات أجنحة تتألا بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب فتتعضمه وتصبح في دورها الثاني لاتعضم إلا أوراق العشب النضية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا فشرقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبرور تصير دودا والسود ينزل لها بالواللعاب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشرقة ثم يخرج من الشرقة فراشا بأجنحة يتزوج ويبيض . ومنها الذباب الاعتيادي فهو يلقي بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهو السود المعروف الذي يشاهد في اللحم المتأن والجبن والمش القديم ثم يتحول ذلك السود الى جنادب تدب لا أجنحة لها ثم يتحول الى فراش يطير ومنه الذباب الفارسي فانه يكون في الدور الأول دودا ثم يتخلع ثوبه ويصير جنديا يدب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بلا أجنحة ولا يعيش إلا في المياه أو الأوحال فاذا جاء أجل انتقاله الى فراش تسلق أوراق العشب وتخلع ثوبه (الجندي) فاذا هو خارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جميلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها الى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالدودة غير الجندب والجندب غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيهما السود ولا يخطر ببالهم أن هذا الدود هو عين الذباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو هو وهذا الدود هو الذي يصير جنديا أو شرقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض وبيضها يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك السود يصير شرقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لابادة الناموس ردم المستنقعات والآجام أو تغطية سطوحها بالسائل المسمى بترول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالدودة لا تعمل لها إلا الاغتذاء كالأطفال في بني آدم فهي تنمو وتزيد ثم تنكش كما نرى دودة الحرير وقد تنكش ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشرقة وهي كجثة مخططة ملفوفة بالأكفان ثم لا تلبث أن ترى الحياة أخذت تدب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبعث من صرقتها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحمر أو ذهبي أو عقيق أو بنفسجي . فتعجب من حشرة بهجة اللون بدية التركيب منقشة صرقة نشأت من رمة جافة لا يظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقديس المصريين القدماء للجعلان (جمع جعل) فانها تنشأ من رمة مائة فرمزا بها للحياة والخصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم ونقشوها على ألواح وصنعوا لها التماثيل بأقمار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه العجائب ولون الألوان وأبدع الأشكال وحير الأبواب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحق الأمم بفهم هذه العجائب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك الى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأيت



وكيف كانت الحشرات موزعة الخجب للأهم حتى قدس المتقدمون من الأمم مضها لأن عبادهم لم يبينوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوها لهم باب العلم على مصراعيه كما نتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقدسوه بل التقديس لصاحب الصنعة الذي زين ونقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع انقائه وجعل دودة ربما هضمت الطين فتصير فراشة لا تهضم الطين ولأنأكله بل تأكل ماهو أطف . إن هذا العالم عجيب . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون . وههنا أربع اطائف

(١) في قوله تعالى . الله نور السموات والأرض . الى قوله . كمشكاة فيها مصباح . الخ

(٢) وفي قوله . والله يرزق من يشاء بغير حساب .

(٣) وفي قوله . والطير صافات . الخ

(٤) وفي قوله . وينزل من السماء من جبل فيها من برد . الى قوله . يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار .

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى . الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . ﴾

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجلبدهما وبين حكم من رمى زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملاعنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الافك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث حديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفو الانسان عمن ظلمه كما امتثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بفض الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمسكينة تسكيها للنسل في الأول وحفظ الفرج وعتقا للعبيد الذين هم عباد الله وبين أنه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فإن المال مال الله والخلق عباده فتحا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجة للعالمين ومن رحته لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرية وإطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبينات ومواعظ للتعقيل . ولما كانت هذه الأحكام إنما أتت بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوِّض دعائه وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى صراما وأجلا وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله . الله نور السموات والأرض . كأنه تعالى يقول أيها الناس لاتلهكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لاتلهكم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال في آية أخرى . يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . فههنا كأن الله يقول لاتلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن وظائف الأمور وجلالها . أيها الناس ارفعوا رؤسكم الى أعلى . انظروا الى جالي ونوري في شمسي وفي قرى وفي النبات والزهر والنهر . أنا لم أخلقكم في هذه الأرض لتكونوا فيها خالدين وإنما خلقتكم لتعيشوا آمنين آمدا ثم أنقلكم الى دار أجلى من هذه وإن تناولوا تلك الدار الجيلة إلا اذا انظرتم جالي وفهمتم بعض حكمي وابتدأ ذلك بقوله . الله نور السموات والأرض . الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراسا للعالم المشرقة . ضربه بما نشاهده كل يوم في مساجدنا . يقول الله أي عبادي أتريدون أن تعرفوا حكمتي في خلقي . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها ألا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأنتم تصاون فيها . فهذه نظام مركب تركيبا أنتج هذا النور الذي أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نوري المشرق في عجائب خلقي . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك التمثيل فقوم خصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لمحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لآبراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لسكل مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا . كلا . بل هو لكل انسان أى لقواه السرائكة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواه العاقلة

(٦) وقوم قالوا هو للقرآن

اختلفت أنظار العامة في هذا التمثيل على مقدار فهمهم ومقتضى نظارهم ومقامهم في العلم فمن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مغمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظار في السموات والأرض والعالم عجم المثل فتارة أرجعه لنفس الانسان وتارة لقواه الساركة وتارة لقواه العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقاب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذي يجعل مشا كلا لعجائب أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظم أعضائها وخلق وسوى وقدر وأحكم جعلها العامة تمثيلا لأمور وهي

(١) كالسفينة تركبها الروح في بحر الحياة اللبجي حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى السرائكة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والهاضمة والمصورة والغذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتتعلّم حتى اذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلّم حتى اذا عرف القراءة المطاوعة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالكان والروح صاحبها والأعضاء الباطنة متاعها والأعمال تجارتها والرج والخسارة في آخرتها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قنديل المسجد

﴿ الوجه الأول من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة مصدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأصره يتبين للناس ولولم يتكلم به انه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضئ ولولم تمشه نار

﴿ الوجه الثاني ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لا يهودى ولا نصرانى - توقد من شجرة مباركة - وهو ابراهيم عليه السلام - نور على نور - نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه - لاشرقية ولاغربية - يعنى ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - لأن اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لكل مؤمن وهذا أرقى مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وان كان أعم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى السرائكة الخمس التى بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التى



تدرك بها المحسوسات بالحواس الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العاقلة متى شئت ثم العاقلة التي تدرك الحقائق السكينة وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تجعل فيها لوائح الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه مثل لها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى وعاك الله أن المشكاة بمعنى السكوة قد شابهتها بحال الحواس التي قد وضعت فيها ووجهها إلى النافس ولا تدرك ما وراءها كالعين فانها لا تدرك ما خلفها ولكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وصورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل انسان فاننا اذا أغضنا أعيننا فاننا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور فسميها الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المبركات وتبطلها ثم إن قوتنا المنسكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فان هذه القوة السكينة حينما تتعسف في الصور التي في قوة الخيال فنقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلى ثمرات لانها لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولاغربية فذلك انها تجرد المعاني عن الصور وتخرج القضايا السكينة التي لا تخص شياً بعينه أي لا تقيد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الكل أكبر من الجزء وأن الشئين المتساويين لشيء واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصاً بشئ دون شئ فهو لاشرقى ولاغربي بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي لشدة صفائها تكاد تضيء بالمعارف من غير تعليم ولا تفكر

#### ﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها خالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة متلألئة في نفسها قابلة للألوان ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحدس كالزيت أو بقوة قدسية كالتى يكاد زيتها يضيء فانها تكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شئت فهي المصباح فاذا استحضرت بها كان نورا على نور

#### ﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا جله العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور ﴾

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا إلى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فابراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخيالكم وقواتكم العاقلة . كل هذه أنوار مثلت لها بهذه القناديل . اني نور السموات والأرض . أنرت السموات بالكواكب والشموس وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون في مساجدكم فهذه القنديل أذكركم بنوري في سمواتي بالكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضا للألوان المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وابراهيم وقواتكم العاقلة والحاسة والخيالية وعجائب نفوسكم . إن نوري مشرق في العالم العلوي والسفلي

#### ﴿ عجائب القرآن في قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

انظر أيها الذكي إلى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتعجب . انظر كيف أتى بعد آيات العلق والنكاح والقذف والملاعنة بآيات النور . يقول الله أيها السامعون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع واقامة الحدود ونظام

الأسرار والزواج والعق والملكات وأحكام الحرام والحلال عن النظر إلى عجائب خلقه . إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صنعى . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم في كوة المسجد . انظروا . إن سـمـوائى فيها سرج من الشموس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سرج . إن حواسكم وقواكم الداخلة فيها سرج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سرج . إن المؤمنين سرج . إننى أضأت كل شئ بأنوارى وعلومى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالغنى والآصال فلا تلهيهم تجارة ولا بيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه في هذه السورة وغيرها عن النظر إلى عجائب صنعى . هذا هو الذى فهمته أيها الذى من هذه الآية وقوله - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تقدرنى على اتمام تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إني أسألك أن تنير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرق الأرض بنورك . اللهم ابث فيهم رجلا منهم يرشدونهم إلى مقاصد القرآن فترتقى الأمة إلى سبل النجاح وطرق الفلاح

### ( إيضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد )

تبين لك فيما تقدم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانسانى وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصبحون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير مأمومين ولا منمومين ولكن الموم والذم إنما يتوجه إليهم لقصورهم واقتصارهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه في (سورة البقرة) لما ذكر الخيض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فاجأ المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بينا هذا القول هناك فارجع إليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم في الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فاعلموا يكون باتجاه النفوس إلى خالق الكون وذلك بالمحافظة على الصلاة والتوجه إلى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ماهو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبعد إحكاما . لم يكتف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جميع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذى عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . ومانور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى إلى الزيت كيف كان في الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت مادة ساذجة لاصورة فيها والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكمل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج الذى هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتم وأكمل وهونور العقول والبصائر . وإيضاحه أن نقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابى وابن سينا والغزالي والرازى وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هى التى ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدم إنما هو أجمال وهذه المباحث لا يعقلها إلا الحكماء . ولكنى سأضرب لك مثلاً يوضح المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المكنون فأقول

تصور شابا ذكى الفؤاد رائع الفكر قوى الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو فى صفره ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لقصد الربح فكسب ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم انه اذا اجتمع عنده آلاف ونال الغنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كاه مرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكننا أن نسميها على الترتيب



غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى انه فى إمكانه أن يكون غنياً متى ملك شيئاً بعد شئ يقال انه غنى بالفعل بالنسبة لما يملكه وبالقوة بالنسبة لما لا يملكه فإذا تم غناه يقال انه غنى بالفعل ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فإذا قلب المال كره بعد أخرى يقال ان هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول ( المثال الثانى ) شاب ذكى كالمستخدم هو ابن ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فإذا ملكه أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً وبالقوة شيئاً آخر فإذا مات أبوه رولى مكانه قيل انه ملك بالفعل فإذا ألقى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان اذا عقلتهما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أول أمرها مستعدة لاقتصاص الصور من هذه المادة التى نفيس فيها فكل أمرى فى أول حياته ينظرو ويستمع ويشم ويدوق ويلمس وهذه الذوقات والشمومات والمموسات والمسموعات والمبصرات صفات المادة وصورها وهذه الصور جلاليب للمادة وقد عدتها الحكماء فكانت ( ٣٦ ) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلاليب التى كسبت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فان الطفل نراه مستعداً لفهم ما حوله ودراسته فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى انه مستعد للعقل فإذا عقل صورة بعد صورة وعلم بعد علم يقال انه قد عقل شيئاً بالقوة وشيئاً بالفعل فاعرفه صار معقولاً بالعقل وما لم يعقله صار معقولاً بالقوة فإذا انتهت معلوماته بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى ما يطيقه نوع الانسان يقال ان له عقلاً بالفعل فإذا استحضرت هذه المعقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال ان هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدمت فى مثال التاجر وفى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا لأكابر الحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مفروسة فيه بفطرته فان المادة قد كسبت الصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرئياً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها فنراها جمعت بين الزرع والحجر والنهر والسكر والخبز ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرق ولا منقسم كما ان عقولنا تجمع هذا وهى غير مقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزهة عن التقسيم كما هو مبهرن عليه فى كتب الحكماء . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فإذا كانت أبصارنا مستعدة للأبصار ومعنى كونها مستعدة انه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرنية العين وعلى عدسيتها وأحضر الصور على شبكيتها أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا اذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فان المعانى تتمثل فى عقولنا كما رسمت الصور الصور فى القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فحصول الصور فى العقول كحصول المرئيات فى أبصارنا . فإذا حصلت المعقولات فى نفوسنا واستنتجنا بها علوماً أخرى وهكذا فانه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوة بالنسبة لما لا نعرفه . فإذا ارتسمت العلوم فى نفوسنا يقال انها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له

وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فالتدرك البسائط ثم المركبات وتدرك الصور المحسوسات التى هى أخس من المعقولات ثم تدرك الكليات ثم تتم عندنا وتكمل وتسكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فان العلوم فيه تنزل من الكليات الى الجزئيات بلازمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تسكون فى المادة من الأدنى للأعلى

### ﴿ الصورة والمادة والمعاني والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة سواء بسواء . كلا . إن الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المادة . ألا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما أن الإنسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فإنا هنا ليس كذلك فان المعاني التي تقتنصها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما أنك إذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور (بالفتح) إذ لا مادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فشكل معنى عقلنا أو قضايانا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فإله أخرجننا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقتنصنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما أن صورنا في المرآة ليست شيئا سوى الصورة فإذا نحن عقلنا أنفسنا فالعقل الذي عقلنا به هو نفس العقول . فاذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعقولا فإذا تعقل الإنسان نفسه فالعقل هو العاقل وهو العقول إذ ليس هناك شيئا متغيرا كالجسم واللباس عليه وكالمادة والصورة بل هما شيء واحد . وهذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحته لك على قدر الامكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الأمور إلى أعلاها . فبينما هم ينظرون الألوان والأصوات إذا هم يرتقون إلى السكيات إذا هم يفكرون في العقول وقد استكملت علومها إذا هم يقولون بالعقول المستفادة التي تحضر العقول متى شئت إذا هم يرتقون إلى العالم الأعلى أي الذي ليس في مادة ويقولون إذا نحن قدرنا هنا في الأرض أن نكون عقولا بمجرّد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتصرف فيها واننا نلبس ملابسها وتصبح حللا لعقولنا ونذهب بها إلى عالم آخر فأحر بنا أن نقول ان هناك عوالم لم تكتسب علومها من المادة بل علومها فيها كامنة . وإذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهي حاضرة أمامنا وأصبحنا عالمين بها فإبانا ننكص على أعقابنا ولا نقول ان هذا العقل الذي كسبناه منها على منوال العقل الذي أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا نتخذو حذوه فتنتطبع بهذه الصور التي طبعها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستعدت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كلوح تقرأه نفوسنا فتقلده وتدرس ما خطه في لوح الطبيعة وتنحون نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسرون على طبيعة الآباء . فإذا كنا نرى جميع صفات الحيوان تتبع في نظامها وسيرها نظام آبائها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسعى سعيا حثيثا حتى استكمل العقوليات فما الذي يمنعنا أن نقول ان العقول الانسانية تحتذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشأو كما كان صفات الحيوان يتبعن آباءهن وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستحدث من المادة لأنه لا يحتاج إليها . أما عقلنا فهو إليها محتاج وعليها يعول ولقد أوضحت لك المقام والله هو الولي الجيد.

أفلا ننظر ونعجب كيف ذكر الله قنديل المسجد ونور السكواكب وأشار بنور القنديل إلى أنوار القلوب وإلى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام إلى مقام حتى وصلنا إلى عالم الملائكة . واهمري ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ما هو أجل بما هو أقل لأن ما هو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهانحن أولاء وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة - والله من وراءهم محيط - \* وقال الشاعر

على نفسه فليبك من ضاع عمره \* وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ قطرة ماء في تفسير قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك



وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدثك حديثا جديلا عجيبا في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبقا على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور واننا نعيش في وسط النور وأن ما نراه من حيوان ونبات وسما وأرض وحجر ومدر . كل هذا ما هو إلا نور متجمد كما نجعل الماء فصار ثلجا . فهذه العوالم التي شرحتها الأمم كلها وذكر مجملها القرآن تدخل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققته انشرح صدرك وتغيت أن ترى هذا النور عيانا وأن تحجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتتمتع بجمال لانهاية له . فهناك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في (مجلة هارپر) الأمريكية في سنة ١٩٢٦ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمعهك ملخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقادير تماما وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجهاله الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت عاوم الأمم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولا جرم إنك أيها الذكي تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنّي جزء من مائة من المتر قال فلنكبره

(١) وأخذ يكبره تقديرا مرارا حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) مترا زال ظهور قوس قزح ولا نرى فيها إلا الماء لا غير  
(٣) وإذا كبرنا قطر نقطة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجما وقياس قطره سنتين ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الانحلاله الى العناصر التي تتركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائيين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الأكسوجين والادروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لا يقسم اذا أمسكناه فرضا وجدناه أشبه بالجر صلبة لاتحاد الأكسوجين بالادروجين اتحادا قويا جدا لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيميائية لا محل لذكرها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له . وفوق كل ذي علم عليم . فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة ونفرّجنا عليها ونحس را كبون في سفينة تجرى في ذلك البحر الهجى . قال حينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) فنجعل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدما بعد أن كان سنتين ونصفا . ولكن هذا التكبير لا يفيدنا إلا أمرا واحدا وهو اننا نرى كل جوهر مائي مؤلفا من (ثلاثة جواهر) أحدها وهو الأكسوجين في الوسط والآخرا واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الادروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لا تنقسم ومعنى انها لا تنقسم انها اذا حلت لا تكون أجزاؤها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاء ومسافات لا غير لامادة فيها وجوهر الأكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدما وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله ما هما إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي أولا ولما كبرناه وجدناه مركبا من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في دلم الكيمياء يحلل الماء اليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لانزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى - وقل رب زدني علما - وقال ابن سينا في قصيدة النفس

أسرع برد جواب ما أنا باحث \* عنه فنار العلم ذات تشعشع  
حينئذ علينا أن نعرف ما هذا الاكسوجين وما هذا الادروجين بعد أن عرفنا نقطة الماء وعرفنا أجزاء  
كل جوهر منها

(٥) إذن تكبر نقطة الماء المذكورة مرة خامسة ألف مرة أخرى فتصير أكبر من فلك الأرض حول  
الشمس وحينئذ يصير قطرا الجوهر المائي الذي حدثناك عنه وقلنا انه مركب من الجواهر الثلاثة المذكورة الفردية  
ثمانية أميال . فإذا نرى إذن . نرى أن الدوائر التي حدثتلك عنها في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا  
خطوط وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ستة آلاف مليون  
مليون دورة وهذه النقطة الدائرة هي (الكهرباء السالبة) ومركزها النوري يسمونه (الكهرباء الموجبة)  
وهذه الدوائر التي رسمتها النقطة في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا كالدوائر التي ترسمها شعلة نحر كها نحن  
بسرعة فت رسم دائرة بحسب نظرنا نحن وفي الواقع لاشئ سوى الشعلة . وبهذا البيان عرفنا أن الجوهر المائي  
رجع الى اكسوجين وادروجين . وهذان الجوهرا الفرديان رجعا كل منهما الى نقطتين من النور نقطة  
يسمونها (سالبة) تدور حول أخرى يسمونها (موجبة) وهذه التي تدور حول الأخرى تكون أكثر من  
واحدة وتكون الدوائر على مقدار تصداد النقط الدائرة . إذن الأمر واضح لوجود إلا النور فالاكسوجين  
والادروجين نقط من النور لا غير والدوران السريع صار كل منهما غازا وبالاتحاد بينهما صار ماء والحقيقة  
واضحة . ماذلك كله إلا نور . بقي علينا أن نعرف عدد الجواهر المائية التي في النقطة الواحدة من الماء .  
يقول العلامة (هنشو) المذكور ان في النقطة من الماء عدد (خمس) وأمامه عشرون صفرا أي خمسمائة  
ألف ألف ألف ألف ألف ألف جوهر مائي وهذا العدد العظيم من النقط المائية ليس مندمجا . كلا . ولا مصمما  
فهناك أبعاد شاسعة كالأبعاد التي بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها فإذا ألحق بعضها ببعض  
لم تملأ إلا جزءا من مائة ألف ألف ألف ألف جزء من النقطة . إذن قطرة الماء المذكورة عبارة عن نقط من  
النور وهذه النقط يدور بعضها على بعض وبشدة السرعة ترى مواد غازية وهذه باتحادها تكون ماء وهناك  
فضاء بينها بحيث تكون النقط بالنسبة للفضاء أشبه بالنجوم في مداراتها مع البعد الشاسع بينها كالذي بين  
الأرض والشمس وليس هذا خافها بالماء وأجزائه . كلا . بل جميع الأجسام من جبل ونبات وحيوان وأنوار أو  
كهرباء متحركة في شكل عناصر متحدة قد بلغ عددها (٩٢) في وقتنا الحاضر مركبات من نقط النور المذكورة  
إذن جميع عالمنا نور وأي قطرة من الماء أو أي قطعة من حديد أو حجر أو طين ماهي إلا نقط من النور تدور في فضاء  
ترسم دوائر من النور الخ . فقطرة الماء مثلاً أشبه بالمشكاة وهكذا كل قطعة في المادة ودوائر الأنوار الحادثة داخلها  
بسرعة جرى النقط النورية في عناصرها أشبه بزجاجة المصباح والمصباح أشبه بالنقط النورية التي في مركز كل من  
الاكسوجين والادروجين فيها تقدم وهكذا بقية العناصر . فهنا ظهرت المشكاة وظهرت الزجاجة وظهر المصباح  
وبقي ما يوقد منه المصباح بفعله يوقد من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية الخ وهذا هو الذي غاب  
عن الناس الآن . نعم ان وصف شجرة الزيتون بأنها لشرقية ولاغربية ربما يفيد انها ليست من عالمنا  
الأرضي بل من العالم الإلهي الذي لا ندركه . اللهم ان قطرة من الماء أصبحت نورا وقطعة من الحجر أصبحت  
نورا وهذا النور ما أشرق إلا من نورك ولاظهر إلا من جالك ولكنك أريته لنا غير نور فقد حبستنا في حواسينا  
فرأت الجبال غير جبال ولا سبيل لنا إلا أن ندرس جالك الظاهر في عالم الطبيعة الذي يحجبنا عنك ولعلنا اذا فارقناه  
نرجع لعالم النور ونشاهد جبال وجهك المحتجب عنا وسناء كمالك وبها تلك الذي توارى بحجاب الخس وتكون  
- في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فنشاهد تلك المناظر الحسنة البهجة إذن هذا العالم ماهو إلا نور متراكم  
وجال احتجب وسعادة اختفت ولا سبيل الى السعادة إلا بادراك الحقائق وذلك بالعلوم . ولقد استبان من هذا



البحث أن قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - قد وصل هنا إلى قرار مكين ، فالكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالكبر والآن والآن وهذان الزوجان اتحادا كالكبر والآن من الحيوان والنبات - وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين المجوسي قبل دخول الخرافات عليه كما تقدم في (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصليين وهما الخير والشر وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأسرون منهم فجعلوا الخير والشر لإلهين لا لواحد كالمقدمين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفريق والعالم مركب من التافر والمجبة . فكل هذه عبارات ترجع إلى معنى واحد وهو الذي جاء في قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال السكراهة والحب . هذا ما فتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين ﴿ النور قديما وحديثا في أرضنا ﴾

- (١) المشاعل
- (٢) مصابيح الزيت
- (٣) قناديل الشمع
- (٤) زيت البترول المعروف
- (٥) الغاز الذي هو خلاصة الفحم المحترق الجاري في الأنابيب لآبار المدن
- (٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسيرتو) أي بخارها الذي يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه
- (٧) ضوء الكهرباء الذي عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها في (سورة آل عمران)
- ﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والطير صافات - وهي جوهرتان ﴾
- ( الجوهرة الأولى في تسبيح الطير )

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم في (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن - وهكذا في (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يعرفان إلا بقراءة جميع العلوم ومن ذلك دراسة الألوان التي وضحت في (سورة المؤمنون) ومسألة نغمات الأشجار في (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن المجوس تخلصوا منها بأن للعالم إلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسبح والحمد وهو جاهل كالخشرة المستدفئة بالزهر الملقحة للشجر ولا علم لها . وبيان أن هذه الإنسانية اليوم جاهلة بهذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم ما يفيد أن الجباد يعقل وأن الأشجار تعاشق وقد ظهر في الكشف الحديث ووضح في هذا التفسير تعاشق الأشجار أما أن الجباد يعقل فهذا لم تصل له عقولنا . نعم عقولنا عرفت أن النبات يحس ويتحرك كالحيوان كما أثبتته العالم الهندي بمصر وتقدم في (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجباد يعقل فهذا لم تصل له غاية الأمر أن الأهم اليوم تعرف أن كل جباد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الألوف في ثانية . وقد استبان فيما تقدم لماذا ظهر هذا على السنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك إقامة الحجّة على الصوفية في زماننا إذا هم قصرُوا في معرفة العلوم التي هي فروض كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالمبتلين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك في سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في الطيور الرحلة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته في مكان واحد ولا يفارقه ولا يذر شجرته أو المستنقع

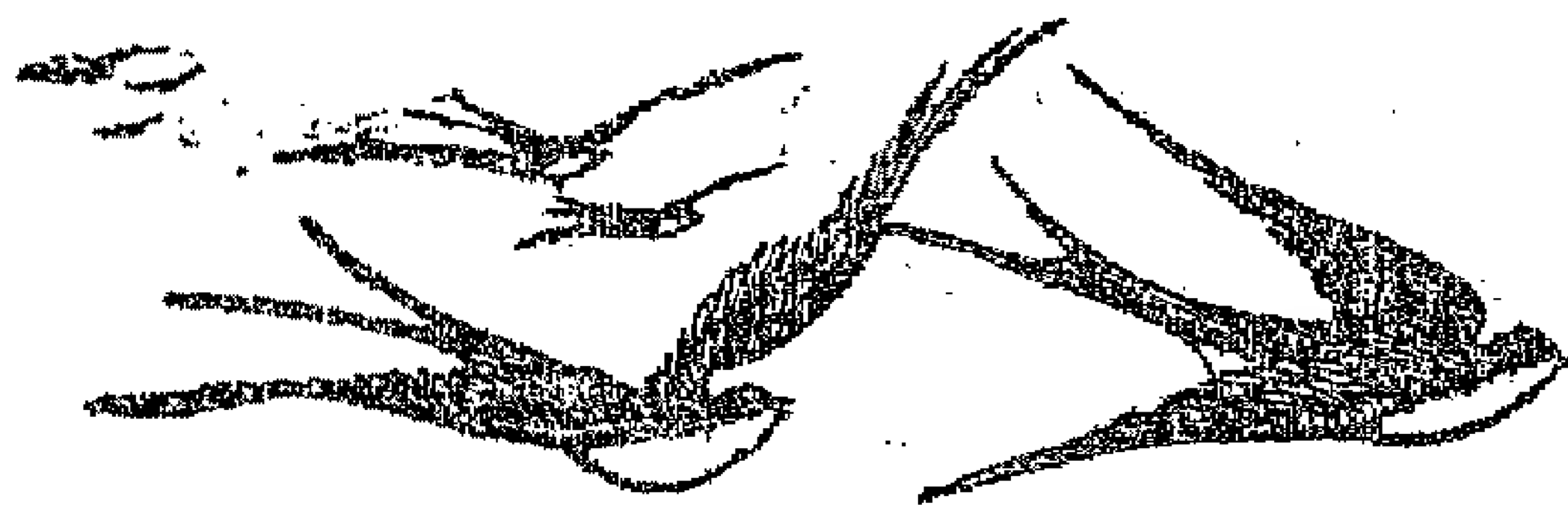
التي يبنى فيه بيته ويبيض فيه أكثر من خطوات معلودات الإندرا جدا . ونوع آخر لا يأوي جهدا في الحظ والترحال مدة الحياة وفي جميع العصور فيكون في مكان بضعة أشهر ثم يرحل آلافا من الأميال ليصرف بقية السنة في ملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رسالة) لأنها دائما على هذه الحال وهذا النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وترحل إلى الباردة شمالا والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل إلى الحارة جنوبا طلبا لحرارة الشمس . إن الإنسان عند سفره يدفع أجرة السفينة في البحر أو القطار في البر . ولكن الطيور الرحالة لا يعوزها إلا أجنحتها . فلا أجرة تدفعها ولا سفينة تقاها ولا قطار يحملها في البر . فتراها أسرابا تطير في جوف السماء مارة بالبحار وبالمدائن المختلفة . إن ارتحل الطيور من أعجب العجائب العظيمة المدهشة في هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظامها . ففي فصل الربيع من كل سنة في يوم معين يصل إلى أوروبا طوائف من الطيور وتبتدى فتبنى أعشاشها في الأماكن التي بنت فيها في السنة الفائتة وقد يبنى العش طير صغير على الطريقة التي بنى أبواه بها العش الذي تربى فيه هو في العام السابق بحيث يكون قريبا منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصعدون منها جماعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هي التي تصل في العام القليل . وقد ثبت لهم بهذه الطريقة أن الطائر المسمى (الخطاف) بالعربية و(سوكو) بالانجليزية الذي يصرف زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشادو) في أواسط أفريقيا يبنى أعشاشه لترية صغاره سنة بعد سنة في حائط من منزل مخصوص في قرى الفلاحين ببلاد الانجيز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية في البحر الأبيض من أوروبا إلى أفريقيا (ثلاثة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون في هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط من الخريف غالبا يرون أسرابا كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوبا إلى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

### ﴿ مسبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب إلى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا إن تلك الأقطار التي يرحل لها ذلك الطير أوفى إلى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا إليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يبحث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر في ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

### ﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الأوروبية إلى أفريقيا وسفر الطيور الأفريقية إلى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين إلى الأخرى ارتيادا لطلب الرزق وجدا في طلب العلم وذلك كله مما يعلم الإنسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لي رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتل بعضهم بعضا على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا أنهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة في مستقبل الزمان حينما تم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



( شكل ١ - صورة الخطاف )



فوق (الاستانة) والفداء فوق (مدريد) ويصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساء وهذا ميعاد دخول (الاوربا) وقد حرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون متسائلين «لماذا لانعمل الفكرة فنصطنع طائرة بسرعة هذه الحشرة أو أسرع» وعسى أن يحقق اهتمامهم رغبتهم هذه فيقوموا للانسانية بخدمة جليلة لا تقدر ولا تثمن

### ﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (ارنولد) الأمريكي قائمة بمقاييس السرعة وهي كما يلي

- (١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا في الساعة
- (٢) سرعته على المزجة ٢٢ ميلا في الساعة
- (٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا في الساعة
- (٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكيت) ٧٥ ميلا في الساعة
- (٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا في الساعة
- (٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٠ ميلا في الساعة
- (٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا في الساعة

### ﴿ أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولا مرواح ﴾

صنع المسيو (شبادلين) وهو مهندس فرنسى شهير نموذج طيارة بلاجناحين ولا مروحة في مقدمتها ومع هذا فهي تطير . ويهتقد هذا المخترع أن الطيارة التي تصنع على نمط نمودجه هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة الى ألف ميل في الساعة . فهي والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها في شوط بين باريس ونيويورك . وقد قال المخترع ضاحكا « انه يتسنى لراكب طيارتي أن يتناولوا الغداء في الجراندي بولفارد بباريس ويشربوا الشاي في برودواي بنيويورك »

والمسيو (شبادلين) مقتنع بأن طيارته التي أسماها « جيروبتير » ستكون طيارة المستقبل القريب . وقد أيد النموذج الذي صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . ويبلغ طول نمودجه هذا نحو عشرين قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد وهو يحاكي الطيارات العادية في هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب كرف البواخر النهرية أو كالتى كانت مستعملة لبواخر البحار في أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معدوم الوجود جهز المخترع نمودجه بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من دنيو صغير وضعه على المائدة وماكاد يوصل التيار به حتى أخذ رفاها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة في الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور في الحجرة . وقد جعلت مقالق متحركة حول أغشية الرفاسين تستخدم لتحويل مقدم الطيارة الى أعلى أو الى أسفل . ومبدأ المخترع في طيارته هذه الهجينة هو من قبيل مبدأ المركبة الألمانية المسماة (روكن) فالرفان في الطيارة التي نحن بصدددها يقومان مقام المروحة التي تكون في مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان الطيارة ويسيرانها . ويقول المخترع « إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الغاز الهالك الذي ينساب من المحركات على مبدأ الصاروخ » . ولطه الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهي أن رفاها وأغشيتها تقوم مقام المظلة الواقية (الباراشوت) في حالة إصابة المحرك بعطل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء يقيها خطر الاصطدام الشديد ولا يخفى ما لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة في عالم الطيران . انتهت الفائدة الأولى

### ﴿ الفائدة الثانية ﴾

جاء في الأنباء البرقية في ١٠ يونيو سنة ١٩٢٧ مانعه

## ﴿ ارتداد القطب الشمالى ﴾

عاد السكندن (جورج ولسكنس) بعد ماضاه ضباب الدائرة المتجمدة الشمالية وردّه على أعقابهِ وترك وراءه إحدى طياراته وسط الثلوج المتجمدة فى ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قال ﴿ إن دليله جريهام طار فى ٢٨ مايو الى ابتاه فى جرينلند ومن هناك الى مستودع الرقود والمؤنة فى رأس بارو ليحاول حلّ المسألة الغامضة عن مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال ويتثبت مما اذا كانت قارة الانلتيك التى ورد ذكرها فى الأساطير موجودة فى مكان لم يصل اليه بنو البشر ولكن البعثة عدلت عنها الآن كما عدلت فى السنة الماضية من جراء الضباب الكثيف وطبقات الثلج المستترة والطيارات يطيران فى عالم كـه ضباب لا يخترق ﴾ انتهت الفائدة الثانية

وانما نقلت لك هذا الخبر البرقى لتطلع على غرام الأهم التى يعيش معها المسلمون أولئك الذين يخاطرون بأنفسهم ويعرضونها للتهلكة فى سبيل العلم . وأى علم هو . هو علم الطيور فى مهاجرتها . تلك الطيور التى ذكرها الله فى القرآن انها مسبحات . صليات فكان على المسلمين أن يعشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربهم وليتبعوها بالجمال والبهاء والحكمة والنور . فهل الأهم التى تدرس كل علم كالأهم النائمة . يقول الله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أفلم يسيرا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعصى الأصار ولكن تعصى القلوب التى فى الصدور -

## ﴿ اختراع الطيارات ﴾

فى سورة (المائدة) فى آية الغراب وفى (النحل) عند قوله تعالى - ويخافق مالا تعلمون - تقدم الكلام على البالون والطيارات ورسم بعضها فى سورة النحل اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة فى قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم فى ﴿ سورة الرعد ﴾ ما يناسب قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبة مستترة الشكل مرسومة فى القرن الماضى بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك ما يناسب هذا المقام من عجائب العلم فى هذه الآية ﴿ أولا ﴾ أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثانى عشر الهجرى من أهم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحائهم ما يناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر تلك الجبال الثلجية من كتاب علوم للجميع تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقالا لغيره فى ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك منير فى الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا تفسيرا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

## ﴿ الفصل الأول فيما جاء فى أقوال علماء الاسلام فى القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا فى هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذى عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى كان عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد العزيز الدباغ الذى لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه الثانى بعلمه . فلا سمعك ما أجاب به فى هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت فى هذا التفسير أن العالم الدينى فى الاسلام يجب أن يكون علمه أوسع من علم الفقه وهامى ذه الحادثة الآتية تبين لك كيف كان الناس فى العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام فى أغور وأصعب مسائل الطبيعة العويصة . فانظر كيف سئل ابن المبارك المذكور فى ذلك . وكيف بحث عن الجواب فى كلام الفلاسفة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبته ثم كيف سأل الشيخ الدباغ فأجابه بما لم يعلمه إلا علماء العصر الحادث . فهالك البيان وهذا هو السؤال الذى ورد اليه



﴿ الحمد لله . سادتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام ﴾ (١) جوابكم في الثلج ما أصله (٢) هل ينزل كذلك من محله منعقدا (٣) وما محله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شيء خص بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شيء خص بالجبال (٦) ولماذا نراه تارة يجتمعها مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شيء خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لا تنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواضع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فان أهلها يقولون انها لا تنزل فيها فماذا ؟ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

﴿ أولا ﴾ أن أهل السنة والجماعة لم يفتيدوا في هذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما عثر على شيء فيها . ومن هؤلاء الحافظ السيوطي مع علو درجته في الآثار لم يتعرض لذلك لاني كتابه المسمى ﴿ الهبة السنية في الهيئة السنية ﴾ وقد وضعه في علم الهيئة لأمثال هذه المسألة ولاني حاشيته على البيضاوي ولاني ﴿ الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور ﴾ ولاني كتبه الأخرى مع انه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق . وأيضا لم يتكلم على الثلج والبرد ولا على سببهما . قال وانما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار المائي اذا وصل الى الطبقة الباردة صار سحبا ونزلت الأجزاء المائية فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلا فتكون مطرا واما أن يكون بردها شديدا فان جدد قبل الاجتماع فهي ثلج وان جدد بعد الاجتماع فهي البرد . ولما نقل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع الى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتي

(١) « إن الثلج ماء عقده الرّيح وأصله غالبا من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار في الجوّ وانه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاؤه لأجل ما فيه من النداءة وينزل على هيئة الصوف أحيانا وعلى هيئة أخرى أدقّ منها أحيانا . فهذا أصل الثلج . أما البرد فان المسافة بين انعقاده ونزوله غير طويلة وهو من مياه البحور والفدران وانه انما ينزل على هيئة الطعام المفتول الغليظ وانما غلظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاؤه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الصحيفة فحصل فيه قتل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولوانه تأخر نزوله ودامت المصاكة لانه هتقت أجزاؤه وصار ثلجا » فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم ﴿ لأى شيء خص بالبلاد الشديدة البرد الخ ﴾ جوابه أن الثلج لا يزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يحمله مطرا وذلك المانع هو الأجواء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحرارة فاذا لقيت الثلج كسرت برودته فصار مطرا وهذا البخار الحار يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولو فرض انه رأى ذلك لا يطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فانه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما ذوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذي لم يذب ثلجا والذي ذاب مطرا ولذلك يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفا رقيقا مسحوقا مثل الثلج . واما انه نزل قبل تمام انعقاده فان الرياح تحمل ماء فينقعد ثم تحمل ماء آخر فاذا نزل نزل الأول ثلجا والثاني مطرا

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . فخرابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجو الذي هو في غاية البرودة . فأما السهول فهي بعيدة منه

(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتموها فان القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

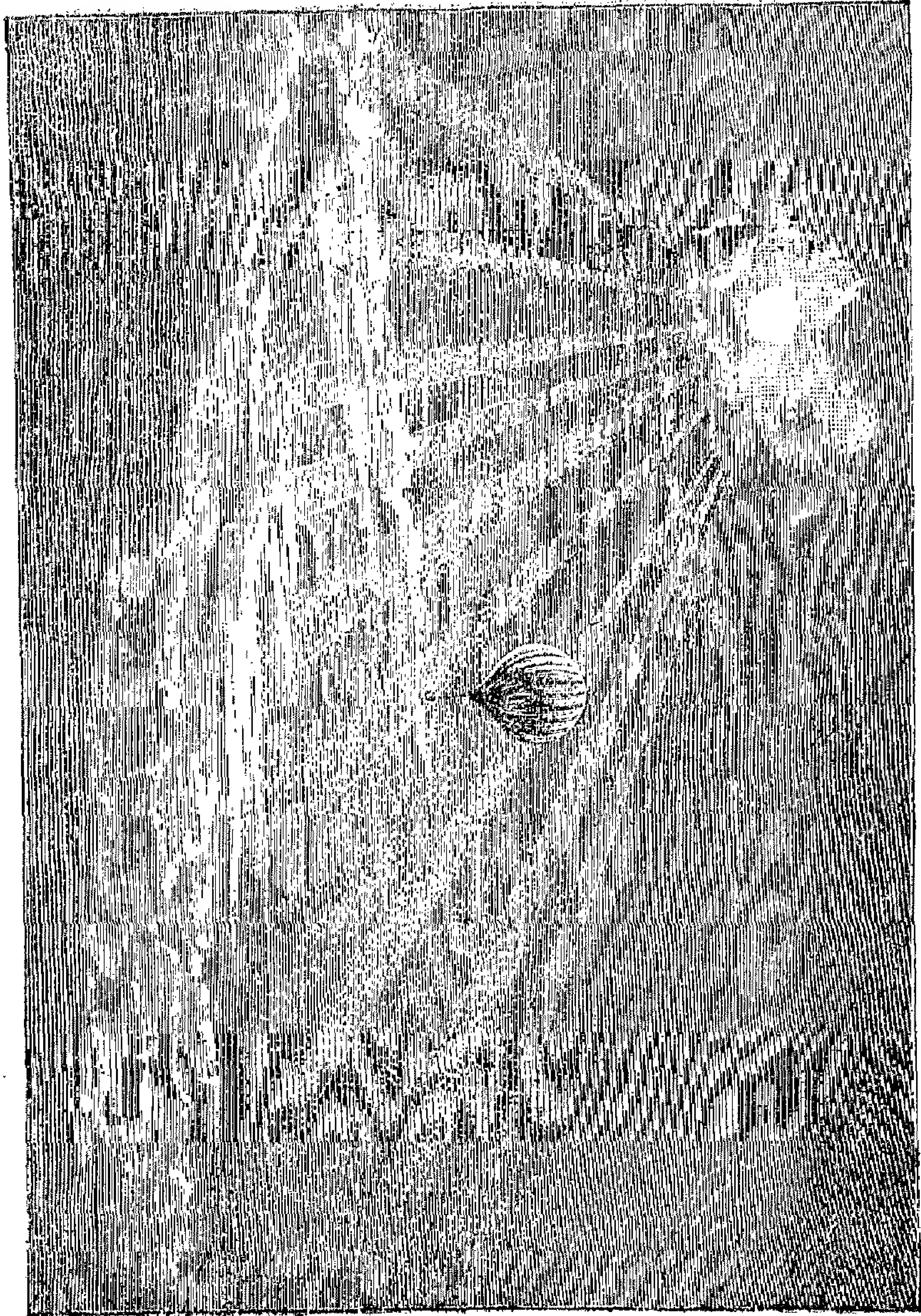
فإنها نزلت ببلاد (سلجماسة) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتمّ الجواب قال واعلم أن هذا أخبر به من عاين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصيرة الخ (يريد الشيخ الدباغ) وقد سأل الشيخ الدباغ أيضاً قائلاً « هل في السماء جبال من برد كما قاله بعض المفسرين » أجاب ليس فيها ذلك . والمراد بالسماء في الآية ماعلاك فسلك أنه يقول من جهة العلوّ وجبال البرد تكون في جهة العلوّ بحمل الرياح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في مقال بعض علماء الطبيعة في عصرنا ومادبجه العلامة (روبرت براون) الانجليزي في كتابه علوم للجميع ﴾

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد انه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فنما ما هو أصغر من الحص . ومنها ما هو بقدر البرتقال . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكوّن . والظاهر انه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتتخللها ريح أخرى أحر منها جداً وهي مشبعة رطوبة تقريباً ولكن تحليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر إلى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تحليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الدباغ) الذي قال ان السماء ماعلاك وأن البرد ما هو إلا ماد حرجته الرياح من المواد المائية ولم يطل زمنه وشرح شرحاً طويلاً ضافياً . فلنفض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم للجميع » فنقول

اعلم انني قدّمت لك في (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج انه عند القطبين يكون دائماً يأخذ في الارتفاع شيئاً فشيئاً . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعاً وانخفاضاً . فاقراً ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فسرى عجبا عجبا . سرى ما قاله الله في القرآن يشاهد عياناً ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ سرى ما عجز عنه قول العلماء سابقاً وانما شرحه (الشيخ الدباغ) الذي لم يتعلم . قد ظهر له بالمعينة . سرى أيها الذكي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالاً فيها من برد حقا وصداً . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتعجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوا حق الجهل . واذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . واذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من ايضاح (الشيخ الدباغ) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزي المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذكي توقن أن ذل المسلمين اليوم انما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ﴿ إن الثلج يظهر في أعلى الجوّ في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد يذوب قبل نزوله إلى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحرارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن ما من بقعة في الأرض إلا وفوقها ثلج . فنه ما ينزل اذا لم تقابل الحرارة في الأماكن المنخفضة . ومنه ما لا ينزل ﴾ وهذه صورته (شكل ٣)





( شكل ٣ - صورة ألواح الثلج في الأقطار العالية من الجو قد تخلصها أشعة الشمس )

ويقول المؤلف قبل ذلك في صفحة ١٧٩ مانصه ﴿ إن جسم الثلج لطيف جدا حتى انه يشغل مسافة أكبر من المسافة التي يشغلها الماء (٢٤) مرة . أما عمق الثلج فان الماء الذي يكون منه لا يشغل إلا عشر عمق الثلج . فاذا كان مقدار الثلج عشر بوصات فهذا القدر لا يعادل إلا بوصة واحدة من الماء ﴾ هذا كلامه إذن بهذا عرفنا السر في أن الثلج مرتفع في أعلى الجو . ذلك لأنه خفيف جدا فارتفع . هذا ومن عجب أن الشيخ عبدالعزيز الدباغ المتقدم ذكره يقول فوق ما تقدم في صفحة ١٣٩ من الكتاب المذكور مانصه ﴿ وكما مرة أنظر الى طرف الماء الموالي للجو الذي فيه الرياح فأرى فيه جبالا من الثلج لا يعلم قدر عظمتها إلا الله ﴾ ونرجع الى مانحن فيه فنقول . ثم إن هذا الثلج الذي رأيته في الشكل المتقدم معرض لأن ينزل الى الطبقات المنخفضة الحارة فيرجع بخارا . فإذا فعل الله لحفظه . خلق له الجبال فتبقى صادف ذلك جبل



مرتفع اختطفه وضمه اليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى دائما فوق الجبل وهذه صورته ( شكل ٤ )



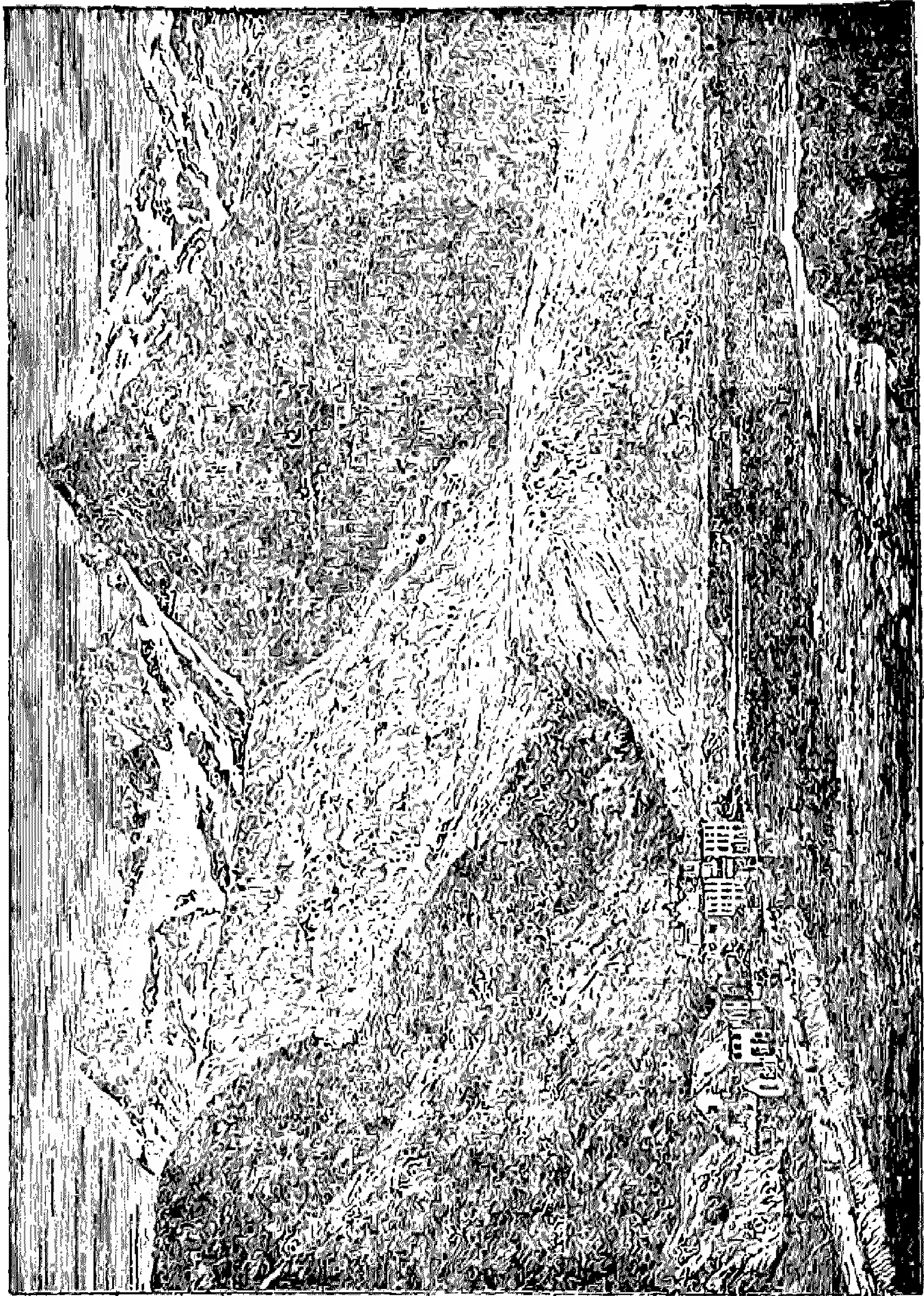
( شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والثلج الدائم المغطى لها )  
( جبال الالب تمرّ بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالأخيرة )

واهلك تقول عرفنا أن الثلج مرتفع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن ما فائدة هذا الثلج وما فائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذي نزل من الجوّ على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب وجرى وهذه صورته ( انظر شكل • في الصفحة التالية )  
هذه هي معاني الآية . فالثلج شاهدته وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله في النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أريتنا الآيات وعلمتنا على مقدار درجتنا الأرضية التي خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أيها الذكي جاء في الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . نقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا وبردا وثلجا . فهذه الثلاثة متجاورة وغاية الأمر أن البرد يكون نزوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . لقد حار فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولى في ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ما هو إلا مثل لصقيع المطر ( وبعبارة أخرى ) هو مطر منعقد

(٢) ثم تراهم يتعمقون في البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس وقد عللوا ذلك بأن المطر كان أولا في طبقة حارة من الجوّ الأعلى ثم سقط فجأة الى جوّ أدنى منه فيه تيار شديد البرودة فأثر فيه





(شكل ٥ - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الزون) بجاي (فركا) منحدرًا إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

فكوره مرات جليدية ثم نسيجه نسجا كما تقدم

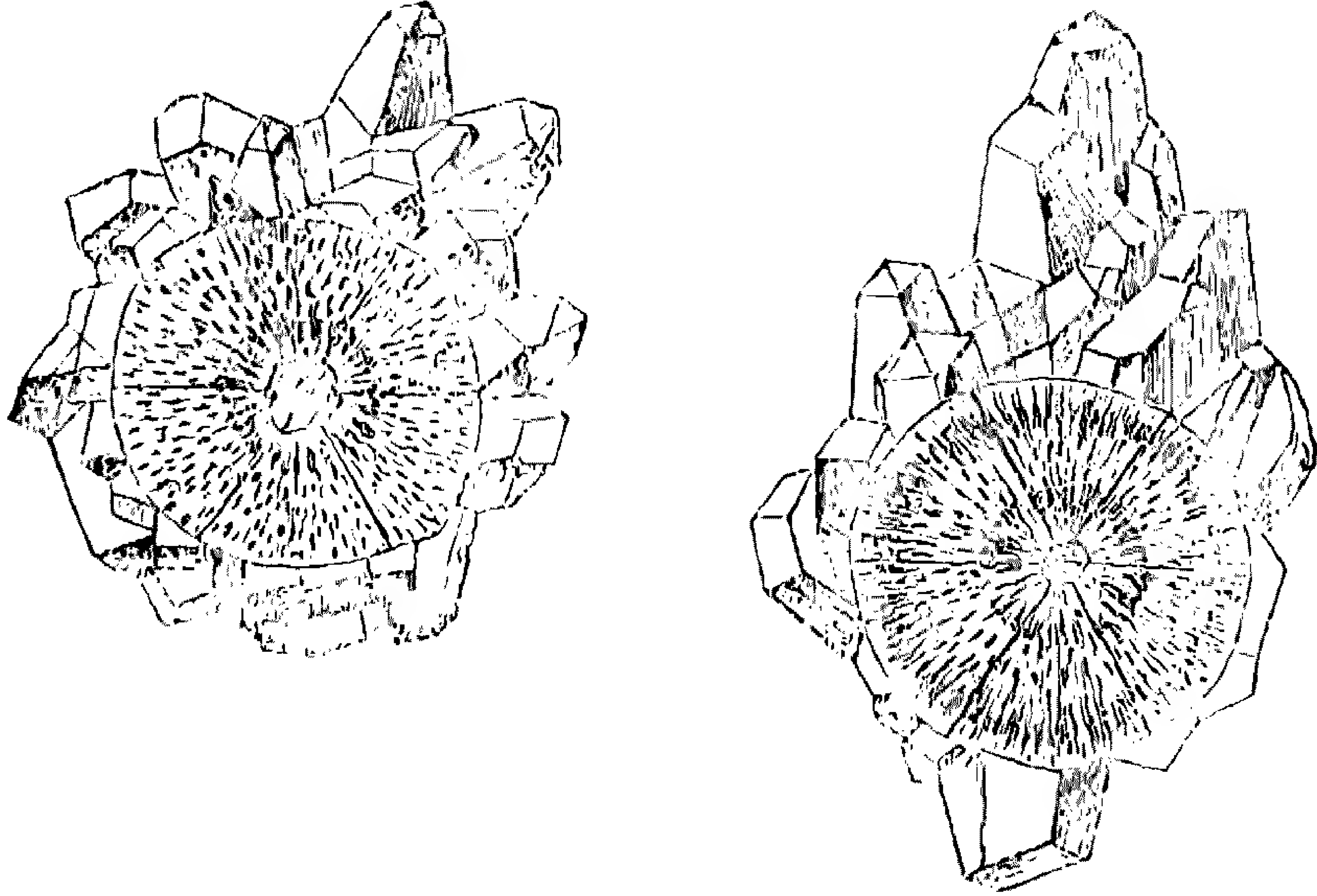
(٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد بهيئات حبوب بيضاء غير شفافة أي انها لا ترى ما وراءها كأنها صور صغيرة لسكرات الثلج لا انها صور اقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذاك مركبة من حبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشر البوصة أي نحور ربع سنتيمتر وقد غطيت بطبقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحًا ثلجية في أعلى الجو الذي اشتدت برودته ثم نزل الى جو حار فأخذ يذوب فيه . وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جو بارد قرب الأرض . هنالك جمد فصار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزائه . هذا آخر ما ذكروه . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطر جمد فصار ثلجا . مطر جمد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانس الأجزاء الداخلة فيه . ثلج تكون ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ما جاء في كتاب

﴿ علوم للجميع ﴾

والدليل على أن البرد كان أولا ثلجا ما استراه في هاتين الصورتين الجليتين الحسنتي الشكل البهجتى المنظر



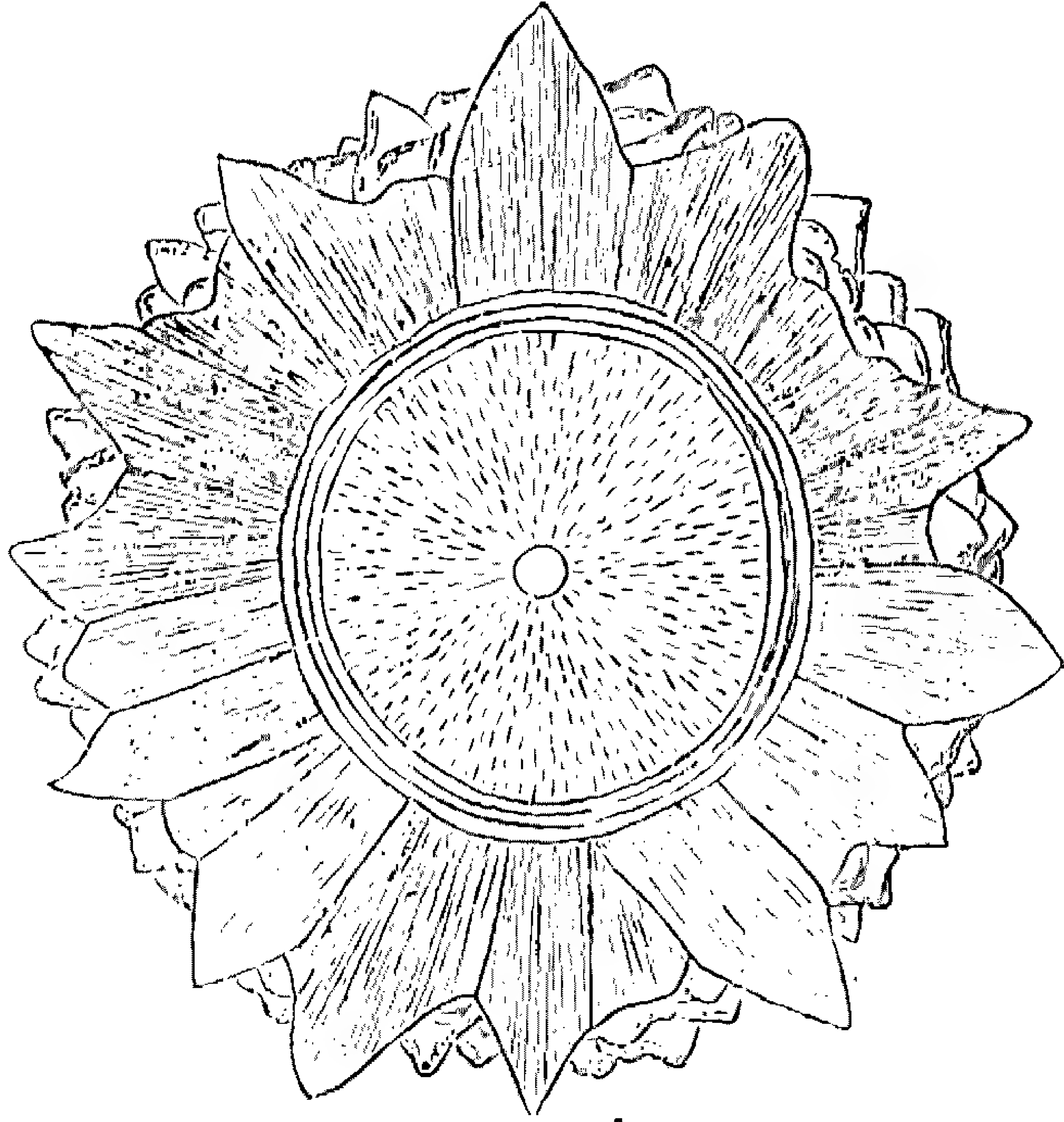
المتلائين المشرقتين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رآهما المسير (هـ . ابك) الروسى المغرم بالعلوم وقد نزل في أثناء عاصفة قوية في جبال (انرباث) بالقرب من (بجايوى كابتسك) في القوقاز بالقرب من (تفليس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسهما ونشرهما في المجلة الروسية العلمية في تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال في وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربما كانا أبهى وأكثر تأثيرا في النفس من كل مارآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)



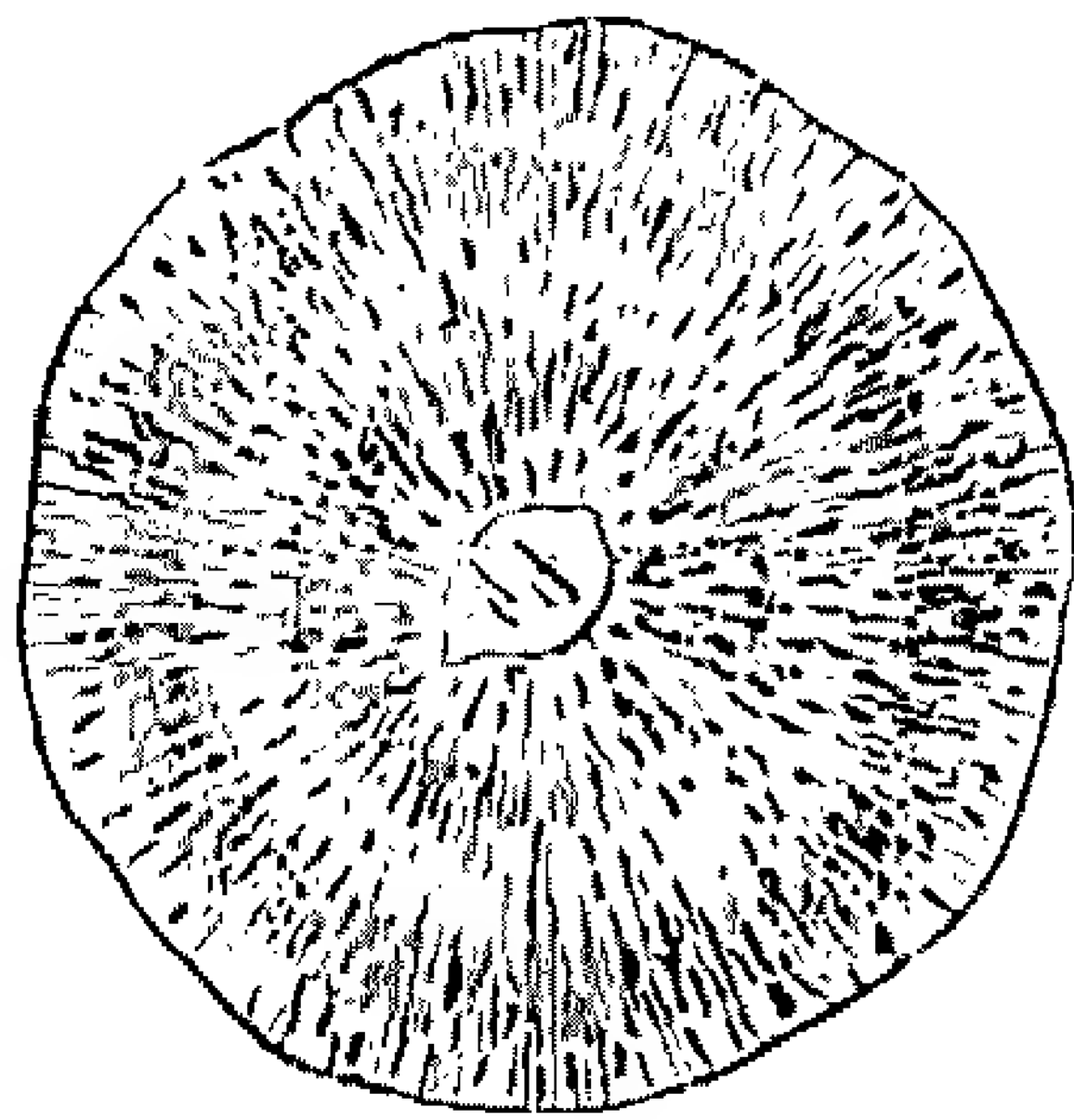
( شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الحبرى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من تفليس )

ثم قال « إن هاتين الصورتين قد ركبنا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة ثلجية تضامّت واجتمعت بهيئتها المسدسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بثلج كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منظمة جيّلة جدا . وكثيرا ما نرى لها صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيئة في داخل البورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا في إناء من الحديد والتقطتا وأخذت صورتها فورا وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فانه جليد شفاف ذو خطوط ست متقاطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعدم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مسدسات متتية بأجسام منشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأضلاع يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكاسكوز) الاستاذ الفرنسى في الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريخ في المجلة العلمية الاستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)





( شكل ٨ - صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري البلوري الذي سقط في كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية في الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩ )  
ولما سقط ذلك البرد الصخري في تلك المديرية كسر سقوف المنازل والشبابيك وأضر بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهي ترعى في مراعيها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضام بهيئة باوربة الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متصلات بأشكال صغيرات بارزات بينهما . أما ثانيتهما فهي مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات البصلة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألماني في الظواهر الطبيعية ( كيمتز ) بأنها من جليد وثليج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهذه صورتها ( شكل ٩ )

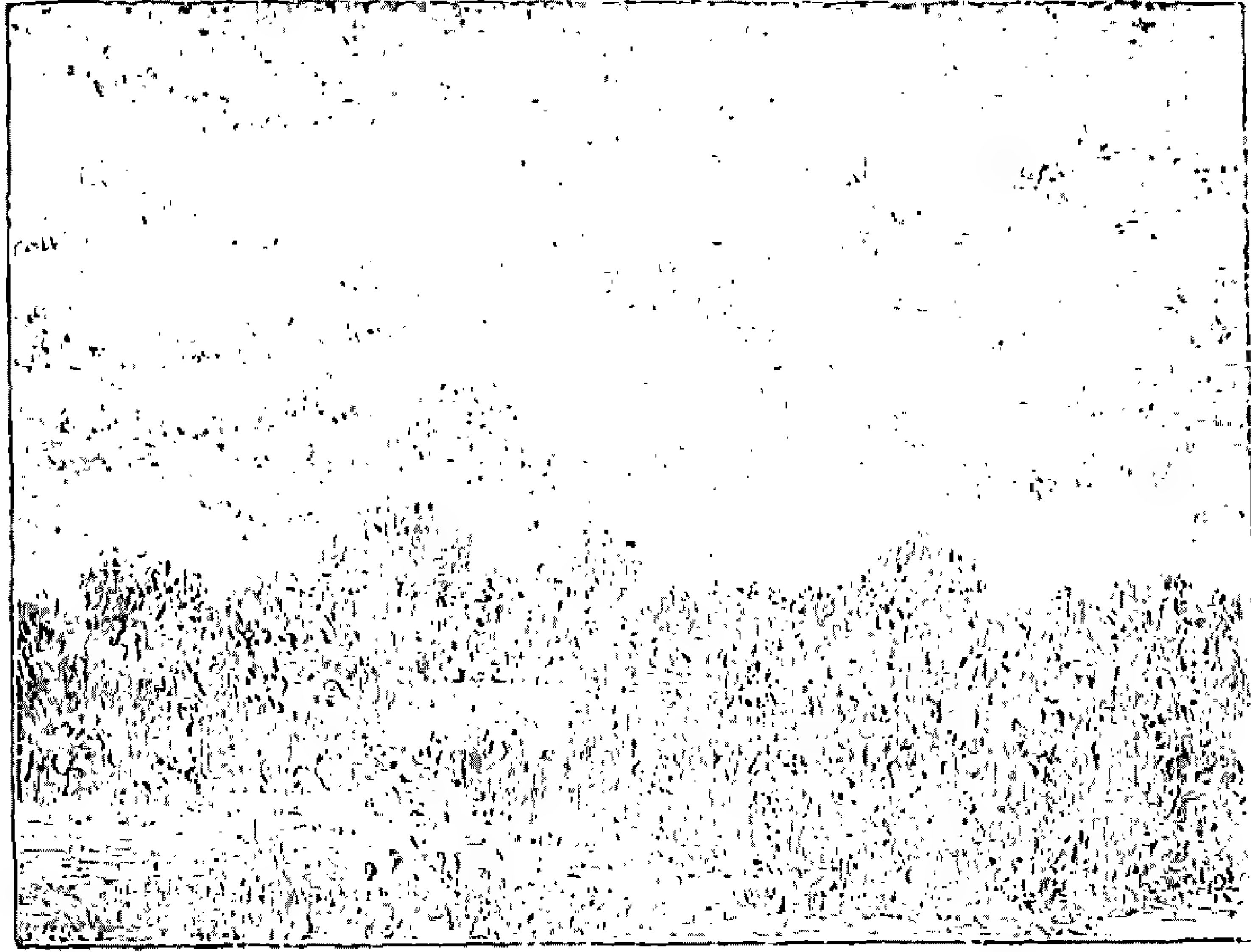


( شكل ٩ - صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتجدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف الذي رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه )  
( بهجة العلم في البرد الصخري )

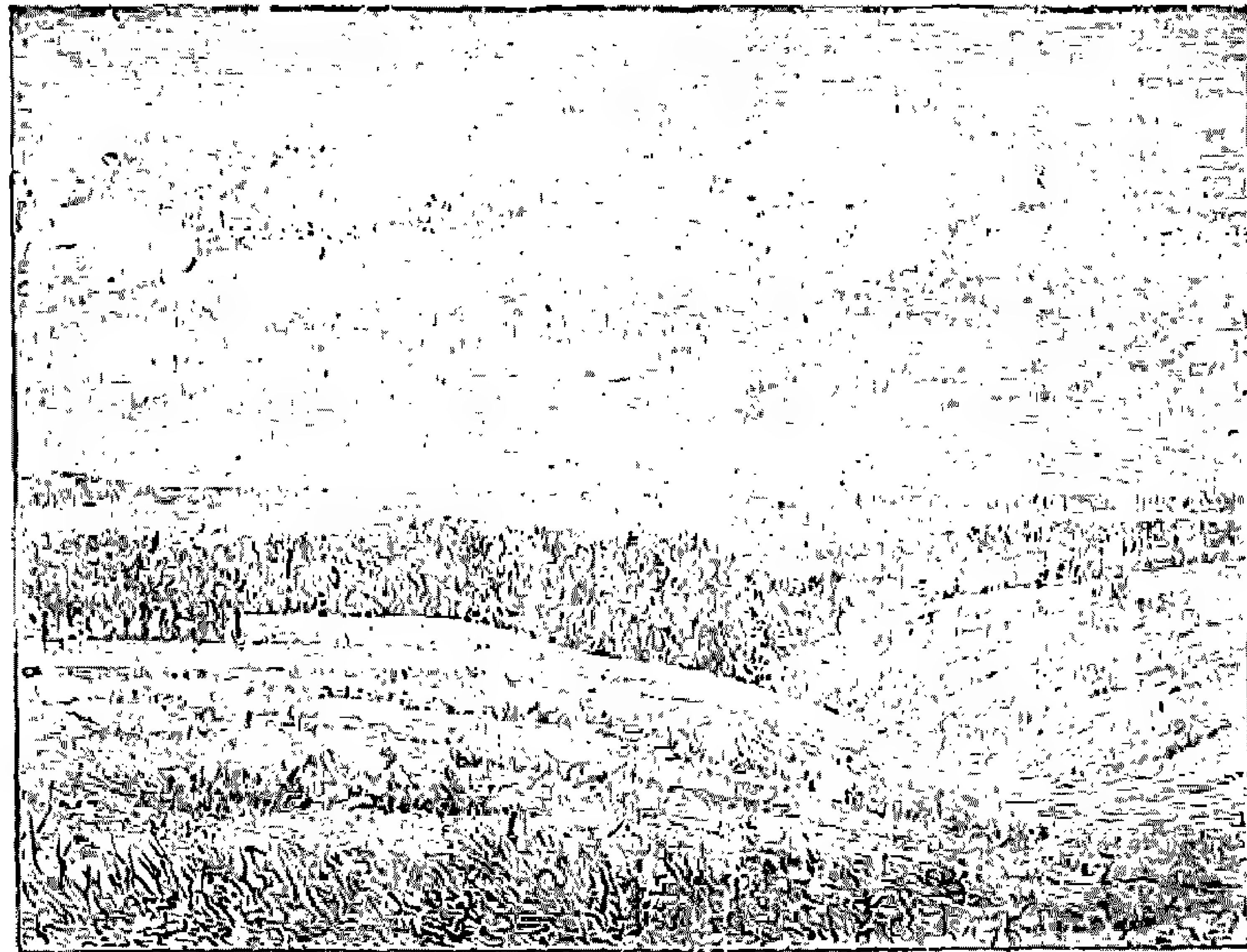
قال المؤلف المذكور أيضا : إن بعض القطع البردية التي رآها الناس كانت تزن ثلاثة أرطال انجليزية تقريبا ثم قال في صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث : وقد قيل إن بردا صخريا سقط في ( كازورتا ) في بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف انجارية تقريبا ( وقال العالم الألماني بالظواهر الطبيعية  
( كيمتز ) ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكانت مساحتها ( ٣٩ ) بوصة من ناحيتين وسمكها  
( ٢٨ ) بوصة انتهى

واذ فرغت من الكلام على جبال الانج و على البرد فإني أكشف الآيات بالصور الطبيعية المرسومة فيما تقدم  
والتي سترسم الآن ، قال الله تعالى - ألم تر أن الله يرزق السحاب ثم يؤلف بينه - هذه صورته ( شكل ١٠ )

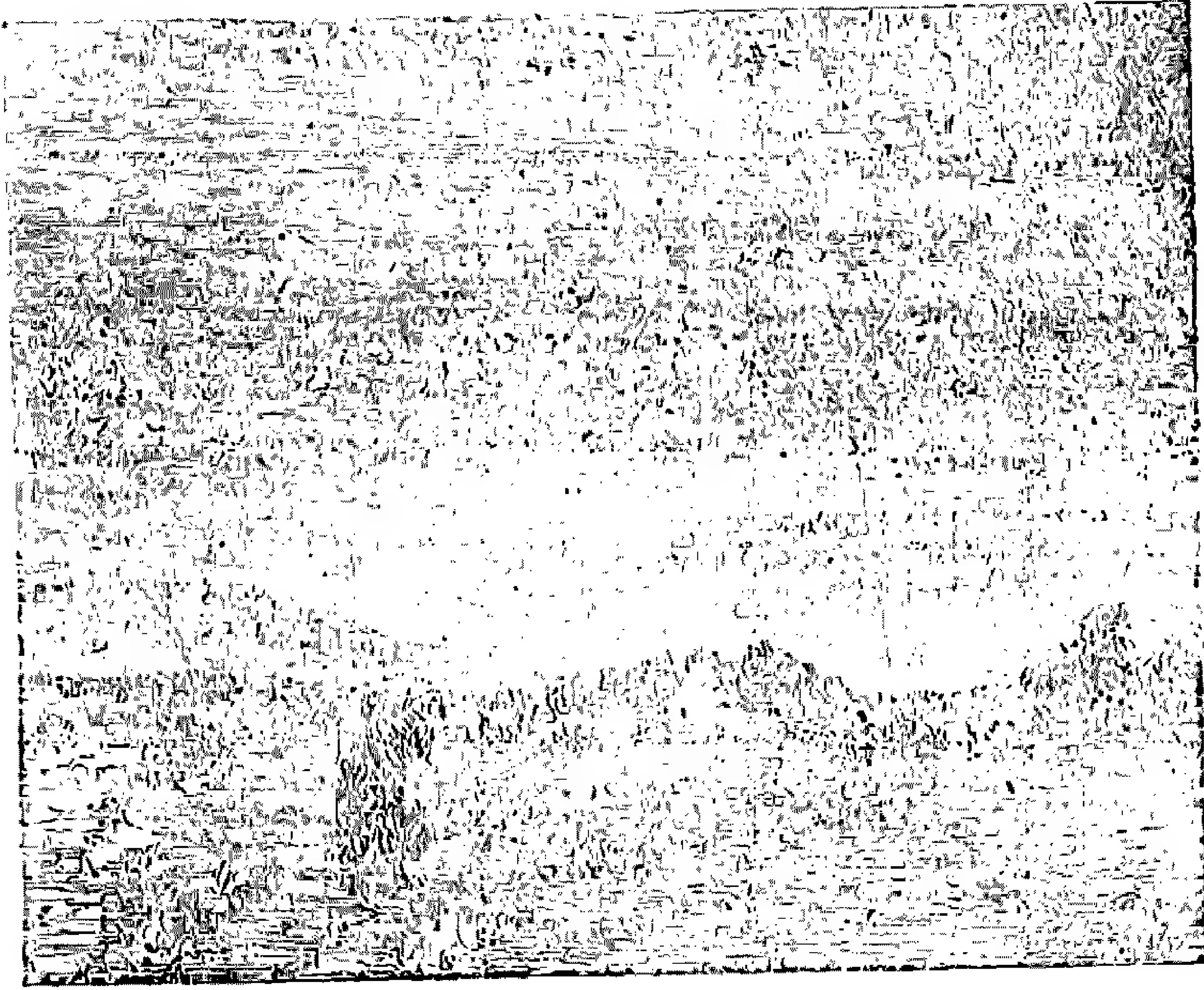


( شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطاع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت براون )  
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاما - هذه صورته ( شكل ١١ )



( شكل ١١ - صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور )  
وقوله تعالى - فتري الودق يخرج من خلاله - هذه صورته ( شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية )





( شكل ١٢ )

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و(٤) و(٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزولها على جبال الأرض من السماء أى أعلى الجو شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستعداد الأنهار منها تراه في شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و٧ و٨ و٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالبهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والمزارع وقوله - ويصرفه عمن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهر فيما تقدم في التفسير . وهنا جوهرتان

( الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - )

قد قدّمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأزيدك على ذلك اني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازا عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجو ولكن العجب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبالا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لا من البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفا إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج انما يكون البرد محولا عن بعضها لا كلها . إذن ذكر - من - في الآية قد طهر سرّه الآن . انتهت الجوهرة الأولى

( الجوهرة الثانية )

اللهم انك أنت ذوالجلال وذوالجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فعمالنا كله جبال ولكننا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو برّ رحيم . فتح لنا أبوابا كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعدما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدراري الحسان لامعات في جو السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطر لي قلت في نفسي عجبا وألف عجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سمينها سماء وكأها مرصعة بالدراري وهي آتمن من الدر فلم ندرك الجبال وأغلبنا غافلون فأخذت نفتح لنا أبواب النظر . ومنها انك عمدت الى بخار الماء في الجو فجمعت بالبرودة وصنعت منه سجارة لامعة سمينها بردا وأخذت تكسرها الشبايك والسقوف في

المنازل وتقتل بها البهائم في صراعيها . لماذا هذا . لأنك لم تتفانق هذا العالم إلا للبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلكت حقول فذلك باب للعالم . لولا هذه الزيجات ماتت البشرية لهذا الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابك) الروسي سنة ١٨٦٩ والضابط (ديكلاكوز) الفرنسي سنة ١٨١٩ وبقى ذلك للناس لينذكروا . أهلاك البرد بعض ما ينفع الناس في الأرض ليوقلظهم فإذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أتوا بعلم دائم نثمره القوم في أوروبا ونحن هنا نفسر به القرآن . إذن كل هذه العوالم إنما يراد بخلقها في النهاية العلم ولا حادثة تحدث في الأرض إلا لها قدم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمي كما عرفت والحمد لله رب العالمين

### ﴿ اتمام الجبال في هذا المقال ﴾

لقد تبين في هذا المقال وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أي أن جبل الثلج الذي تقدم انه كالقطن المنذوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جالا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالي . ولقد اتجه العلماء لكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادي الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن الثلج الذي نحن بصدد الكلام عليه يصد السائحين أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بغان) بوغاز (لنكاستر) واسكن الثلوج قامت عقبة في طريقه فارتد الى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكاين) الى القطب الشمالي ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلك بين الثلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية فخطمت الثلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة ساجحة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلند الجنوبية سالمين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدر أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٣) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكي) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته المضاعب فرجع وقال ﴿ هناك بحرسائل في القطب الشمالي ﴾ . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فمات عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بهمد ما حطمت سفينتهم فتلقتهم جزيرة من الجليد عاتمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهي ساجحة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فنقلتهم اليها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحر ذا بياض ناصع لكثرة الثلوج وترى سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوزها ومضائقها ووديانها وقممها . ومنها ما هو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يباغ سطح بعض هذه الثلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها جلة آلاف آلاف من الأستار المسكبة ويضطرها ثقلها أن تغرس في الماء . وقد يكون المختفي منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظاهره . وتأني الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغطي بالثلج كالبهر هناك . فتري الرياح تأتي مشبعة ببخار الماء من البحار فيتكاثف بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن العجائب أن هذه الأقطار إذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تلطف حاستا السمع والبصر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس



والأقمار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسمه في (سورة السجدة) ويكون لهذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة في الأفق أبواب من نور فتفتح في السماء . فأما قوة السمع فانها تكون عجيبة فاذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع واذا تكلم انسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والتمر فتظهر أنوار الشمس أولاً شففا ثم تسظم بالتدريج ولا تهاو الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جلياً جداً حتى يستطيع الانسان أن يرى على مسافة ( كيلومتر ) وسكان تلك الأقطار يحتفون بظهور الشمس فيوقدون النيران ويقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبي فان المعروف عن أرضه قليل جداً . وأهم الرحلات الى القطب الجنوبي كانت في القرن الثامن عشر فكشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . وتبعهم ( كوك ) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكثر فيه والضباب هناك مخيم دائماً . والقول العام أن هناك أرضاً بالقرب من القطب الجنوبي واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبلاً ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناخ للفحم الحجري مما يدل على أن الغابات كانت في قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

﴿ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجي سحاباً - الخ ﴾ خرجت من المنزل صباحاً للرياضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل في طبع التفسير إلا الى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة المنيل) وكان نظري مبتهجا بالألوان الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصلي ضوءاً أظهر بياضاً وأحسن اشراقاً . فأما فكري فقد كان مبتهجا بمسألة (المحار) وتناسله في البحر وأن (المحارة) تلد آلاف من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح وأمه . فبينما أنا كذلك إذ قابلني هناك صديقي مصطفى بك منير ذاهباً الى ديوان التنظيم فسألني قائلاً . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكر فيه من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لي قصصاً عجيبة . قال لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أي منذ ٣ سنين ببلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) عالماً من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التي أنا من أعضائها . ونا التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة في موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم ألقى موضوعي في أمر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقاً تاماً

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهراً مبدؤه يمر به خط الاستواء إلا النيل  
(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لا تنفث أنوار البرق تتلألأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمتاز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر في السنة

(٣) وأيضاً هناك أخاديد في الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جداً لا يدري الناس أين يذهب وهكذا  
(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلانتيقي والمحيط الهندي أي من جانبي افريقيا فيلتقيان في الجوف فيمطران في خط الاستواء . وللاول الإشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعلوم أن ذلك التقلب في خط الاستواء لأن حركة الشمس هناك . والثاني - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - والثالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - وللرابع بقوله - ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لا تتجاوز (٢٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة آمنوا بالاجماع على قولي واعتبروا هذا نورا

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمرّ منبعا بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار ولكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أي ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمرّ في خط الاستواء فعلا بمنبعه . أما غير فيميل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لانفس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين يهبطون لكل ما يقال على علمهم . فقلت له فماذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية وقد كنت رسمت خريطة رسميا مجسما بحيث صارت الخريطة أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها مجسمة وجبالها مرتفعة وبحيراتها منخفضة وكل ذلك بألوان . وهاهي ذه أريكها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وتفرّجت عابها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست في حجرة بل هي في بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقاوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقية لأشعة الشمس اشارة لأنها مناط العلم والتقديس وسموها ﴿ الخريطة المقدسة ﴾ وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يا سبحان الله . أيكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهله مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقصّ هذا القصص في التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة ﴿ ثلاث عجائب ﴾ الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الاستاذ ( جاد المولي ) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرّوه ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات مبينات - فسأذكرها هناك لأن هذا من التبيين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبه الجمعية الأسيوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فلابدأ بالخريطة المقدسة وان كان مافسربه ليس على النهج الذي قدمناه ولكني أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

### ( الخريطة المقدسة )

لما أرسلها الى صديقي مصطفى بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتوها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أساتذة المدارس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم المخلص . مصطفى منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

### ﴿ القرآن الكريم و منابع النيل ﴾

من ألطف الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة مجسمة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فتري جبال (رفنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متروفي جنوبها جبال (اريزمي) وارتفاعها (٤٥٠٠) مترا . وفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متروقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزعج السحاب وتألفت أجزاءه وتراكمت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشاهقة بلعمان له بريق يخطف الأبصار . وتري على هذه الجبال تتجاويف الماء وقد انحدر منها وجرى الى مجار تنتهي الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، تري بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومساحتها (٦٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وتري بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزمي) الى بحيرات (نجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كيفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوها



كنسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى بحار تصب في بحيرة (كيوجا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم ترى نهر البرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجذ فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى النيل والنهار مارا بالجزء الشمالي من بحيرة (فيكتوريا نيانزا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرقي البحيرة وجبال (رفنزور) و (اريزمبي) التي في غربها . اختارت الجمعية لهائه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فنرى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هيبة ووقارا . ويحيل الى الناظر اليها كأنه في طيارة عالية عند خط الاستواء وتحت تلك الجبال الشاخنة وقد كساها الثلج وتراكت عليها السحب وخرج من خلالها المطر ونزل من أعلاها بلعانه الماجيني الذي يخطف بالأبصار منتها الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ما هيأه له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرست مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر الهائل بل السر الإلهي العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر في العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق م خارطة النيل الموجودة صورتها في دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منبعا واحدا للنيل فحسب ثم جاء بعده بنحو اثنى عشر قرنا الادريسي ذلك الجغرافي الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان في بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكنني على قدر طاقتي أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وإخالك مالت وصفي وإن كان قرب لك على قدر الامكان تصوير اللوحة . ولكن انظر اذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما في كتابه العزيز فقال تعالى وهو أصدق القائلين - ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه ممن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار \* يقرب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمة نقطة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يزجي السحاب الى أن يجري ماءه في النيل إلا وذكره . ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادفة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التي كشفها المستر هرست وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيانزا) من تأثير لمان البرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أي نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ في الصفحة التالية)





( شكل ١٣ - صورة الخريطة المقدسة لنيل مصر رسم مصطفى بك منير أدهم )



﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - وبيان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ﴾

انظر أولاً في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فإن الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع ويشق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذيووس) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جوبيتر) وفي الألمانية القديمة (ذيو) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والاطاليون (ديو) والاسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولا جرم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الأمم في مبدأ أمرها لما بهرها من جلال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد ففسدوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المضيئة ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح أتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الإنسان كلها عاشقة للنور لأن النور جيل والنور مبدأ الحياة . فلولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فإذا أسماوا الله بالنور فهي تسمية أقرب إلى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جمعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعاً ثم اعترها ما يعتري كل حي من البوار فاختلفت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبي أمي في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وإياك أن يصدك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقا صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستأن من رجته أحدا وكيف يستثنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة وباطنة . ولكن كلما اختلط دين وضل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ أي فلا تظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقاءه باللغة العربية ثم خلط أمم الشرق بأمم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجده غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقروا أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن - وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا \* وأنه كان يقول سفيها على الله شططا -

﴿ الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت بجمالك الذي أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم وأنه يظهر لي أن الله أناسا في كل جيل وأمة يحنون اليه ويطربون لمنظر جماله الذي أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجيلة وشموسك المشرقة وأقمارك الباهرة وعالمك الساحرة وبهجتك السابعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجلال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه الثريات المشرقات وهن يرقصن بتلاؤن ويتواجدن بترنح حتى إن أرضنا في الحقيقة لا تزال راقصة آناء الليل وآناء النهار فهي كمن قال الله فيهم من الملائكة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تنهدأ ولا تنفتر عن الجري بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تدور الدورتين على نغمات الراقات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حلت به من ثلج كالماس في قطبيها وجبال منه كأنها القطن المذوف في جوارها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشحت بالماس والجواهر من جيع جوانبها قد كملت آنا فآنا بقوس قرح والأزهار الجيلة وارج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى لحظه العقلاء . كله نور عند من يعقلون . ليس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يعقلون لم يخلقوا ويدركون لمحة من جلال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت بدعا من الرسل - فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحقة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فإنه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أناشيد على منهج هذه الآية - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلته لك عنهم في (سورة البقرة) من كتاب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوروبيين وذلك في أواخر السورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ فهناك وصف الله بأنه قد أشرقت شمس في الأرجاء ونبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . هذا ما كتبه هناك فافراه تجد العجب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور مانصه (ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجوهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شيء والذي أنزل الحبة على الأرض . وقد مثلوا (توت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فالتنا نقول إن الله مقدس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له واتون اسم من أسماء الله عندهم

وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا اتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلائقه وأنه أب لهم عطوف جيل بملأ السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلائقه يأسرهم بمحبته ويلطف بالطفل في الرحم وفي المهد ويعطف على الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لسائر البلاد وجميع العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (ان قدماء المصريين وان عتدوا الآلهة قد وحدوا فعلا أيام الملك مينا فآله في مدينة (عين شمس) آتوم وفي مدينة منفيس (فتاح) وفي مدينة الاشمونين (نحوت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في الله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(الإله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل القصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق كل



شئ السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شئ بل هو الموجود قبل كل شئ وكان منذ الخليقة هو قرص الشمس الذي يحيا جميع البشر بظهوره ﴿ ترجت من كتاب (نافيل)

### ﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذي أوجد العشب للحيوان وثمار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهيا الغذاء للطيور ووضع الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ إليه . حتى الضعيف من القوى وهو المجدد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أي الملائكة) لمجده تعظيما لحالقيهم وتبتهج بقربه - م منه وتمجده الحيوانات الضارية في فيافي الصحراء . بهر جمالك العقول وخلق القلوب ﴾ (ترجت من كتاب أرمن الألمانى) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفدت ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والغرام بمبدع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جماله في هذا الوجود ورجسته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهيئة الشمس وللجمال الباطن الذي يرجع للرجة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله نور السموات والأرض - وماتبها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلى له فيها كثير من معاني هذه الانشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما يمشى على رجلين وما يمشى على أربع وما يمشى على بطنه بعد ما ذكر الطير ففي هذه الآيات معاني هذه الانشودة والانشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) فمعانيها تقرب مما هنا ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول انهم فيها (أولا) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانيا) وصفوا طلوع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم الى السماء (وثالثا) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعاها والأشجار تزدهى والطيور ترفرف تمجيда لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعا) أن الشمس اذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وتمرح الأسماك في لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء (وخامسا) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وأرضاع الأم لمن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا انه خلق سائر البلاد لامصر وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحياه المصريون ونزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجمالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنه ذلك النشيد يرجع الى النور والى الحياة والى الحيوان والى الطير وانه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تجده الأفتدة في الأمم قديما الى المعاني التي نزل بها الوحي حديثا على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له - قل ما كنت بدعا من الرسل -

ثم اعلم أن هذه المعاني التي تنشرها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدور والجواهر نعم عجبت لأناس أنت اصطفيتهم في الدنيا يحبونك حبا جيا وقلوبهم وألهة بك وامقة لك بهجة بأنسك مشربة للقاتك ترى الدنيا عروسا أنت جلوتها وكؤسا أنت أدرتها ونورا أنت أبدعته وعرسا أنت أفته وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا دارا تجمع بين حالين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتوون بنارها في احتدام وخصام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفيتهم فوالله انهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وحبور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقربك يفرحون وشموسك وأقمارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقرر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء وظواهرهم ومعك في جنة بيواتهم . إن الحسد والحقد والفيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم في جنة يحبرون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون قولك - الله نور السموات والأرض -

( بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ )

اللهم انتك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الانقان وأبداع النظام . هذه الآيات أبانت لنا ( جالين ) جالا يدرك سببه بالابصار وجالا يدرك سببه بالبصائر . فأما الجلال الذي يدرك سببه بالابصار فهي هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصارنا وهي التي ضربها الله لنا مثلا للأنوار الباطنة التي مصدرها هو الله بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجلال الذي يدرك سببه بالبصائر فهو ذلك الابداع الذي ظهرت آثاره في جمال الوجوه واتقان الصور والعطف واللفظ والرأفة والرحمة والهام الحشرات والأتمهات وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضحت في هذا التفسير أيما وضوح وهذه هي التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلا للنفحات الباطنة والالهامات العجيبة واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو الذي ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وازجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركلا وانزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الدواب كلها وتقسيمها الى من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع . كل هذا التدبير لاتصلح الشمس ولا الكواكب لاحدائه . كلا . إذن الشمس والنجوم والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأساببه خفية تدركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك آنفا أن قدماء المصريين ذكروا الأمرين معا أمر الأنوار الظاهرة في أناشيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرأفة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأزيد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصا دينيا في معابدهم . وذلك الرقص ليتشبهوا بالكواكب الجاريات حول الشمس لأن أظهر الأنوار مآراء العيون من الكواكب فاذا تشبهوا بها فقد نسجوا على النوال الرباني في نظرم وذلك ليكون ذكر الله قولا بالأناشيد وعملا بالرقص الديني وهذا (مع وجود الفارق) كما اتنا ذكر الله بالسنتنا ونصلى له بحركاتنا في القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولاندري هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا ادريس (سيزوستريس) وغيره أم من اختراع علماءهم استنادا على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتي إيضاح هذا الرقص في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - واقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠٠) سنة . جاء في كتاب (الأدب والدين) المتقدم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة بل جعلوه نموذجا للحركات الفلكية وتمثيلا للأنغام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كستيل بلاذ) أن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأفراحهم وقياما بشكر النعم واظهارا للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من دياناتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزل . انتهى ملخصا

ثم انظر ماذا جرى في الأم الإسلامية في هذا المقام فانك تجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات يقول ماملخصه (إن مما يعشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر) وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الثمائل لعشق الصور فان عشق الصور موجب للفسوق والهيام بالمحسوسات . أما عشق الثمائل فهو الذي يدعوا الى الجلال الالهى . وأضرب لك مثلا الآن فأقول : اتنا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلانهيج شهواتنا ونفرق طبعا بين هذه وبين الصور الجميلة الانسانية . فلزهرة نجبها ولكنها لاتثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة



فبنا للشمال بعقولنا أشبه بحبنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذي ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الغزالي في الاحياء في « كتاب السماع » في الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرمه ولكنه شرط له شروطا كلها ترجع الى أمر واحد هو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا في السماع وشروطا في المغنى وشروطا في نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون فتي بهتاج بالسماع وأن المغنى اذا كان امرأة هييج الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلاعة كذلك ، وقد أطل في ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) في نحو القرن الخامس على ما أذكر في كتابه (حي بن يقظان) الذي تلخصته لك في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حي بن يقظان) لما ترعرع في الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جمالها وقلدها في حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يغشى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به في حب خالقه وعبادته إلا هذه السيارات الجارية ودورانها حول الشمس هو عين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها في القرب من ربه . أفلا تعجب مع أيها الذكي كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا في العالم العلوي والسفلي ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم يذكروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وإنما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا نائمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراؤهم قد خبت في كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) « ان العبادة مع الفكر عند الفلاسفة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف » وذلك في أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام استطرادا

#### ﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ﴾

لقد ذكرت في هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والثلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هنالك أنوار الماء الثلاثة في البحار الاستوائية التي تلمع أنوارها بأشكال كالقمر وهاله والبرق وأنواره المشرقات بما هنالك من الفسفور المتحلل من الحيوان البحري وهذه هي الأنوار الظاهرة التي صارت مناطق تمنطقت بها أرضنا

أما مناطق الأنوار الباطنية فهي الحيوانات والنباتات التي أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما في (شكل ١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقول من « الأطلس الحديث » المقرر في المدارس المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندي العسال) و (محمد أفندي حمدان)





## المناطق الخمس وحَيوانها



( شكل ١٥ - صورة مناطق الحيوان حول الأرض )

( فليَظَر الإنسان إلى طعامه أنا صببنا الماء صبا \* ثم شققنا الأرض شقا \* فأنبثنا فيها حبا \*  
وعنبا وقصبا \* وزيتونا ونخلا \* وحدائق غلبا \* وفاكهة وأبا \* متاعا لكم (ولأنعامكم)



( شكل ١٦ - نبات أفريقيا )

( إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها )





( شكل ١٧ - حيوان افريقيا )

( وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون )

ففي شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النبات حول الأرض وهي (ثلاثة أقسام) نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسيأتي في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا فانظر كيف زين الله أرضنا (بزينتين) زينة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسبابه خفية فلا يشبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله محيطه بأرضنا زينة لها بديعة . فظاهرها جميل ولكن باطنها أجمل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكاتها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تعقلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام (خمس فصول)

(الفصل الأول) في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية (الفصل الثاني) بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركاً عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم

(الفصل الثالث) في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كراقصة بما حلت حول الشمس

(الفصل الرابع) في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وجحيم الاستعباد

(الفصل الخامس) في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين

(الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية) هانت ذا أيها الذكي رأيت بعض صور الحيوانات في افريقيا وأمريكا وتقيس عليها ماسواها . سبحانك اللهم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسما وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم - . نعم أنت تعلم كل شيء لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فانك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ما ضربته لنا في القرآن . كلا . إن النجوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصغرة جداً . فكوكب الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرقالة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجوّ المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فاذا كان القنديل في مساجدنا ضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخلوقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فاذا قيل لنا فلان كالبدر فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بكثارة ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التي رأيتها هنا (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فما هي إلا صور للقرود وعجل البحر والنمر الأمريكي والبيغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتج لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك العصر الذي امتاز بأب أن الله يرينا آياته فيه إذ قال - ويريك آياته فأب آيات الله



تسكرون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولا معنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان إلى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون إن الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشى على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ما هذا التطويل . أريد أن تجعل هذه الآية كتاباً ضخماً . فها هذا الاكثار . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل تجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة - . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلوا كما رأيتموني أصلي ﴾ وهكذا بين الزكاة فقال ﴿ في كل أربعين شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام في ذلك كتباً شتى . قال بلى ولوجعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها مئات مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيها بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثر هذا من جهة ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ لا يقتصر الوجوب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لانكاف نفس إلا وسعها . ولا معنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوباً كفاً على مجموع الأمة وعينياً على أفراد ممتازين ذكاء وفراغاً بالمعرفة لله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوا الله بالازدياد ولا معنى للدعاء بأمر نحن لانطلبه ولا نتوجه إليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالدعاء بالاستقامة فقلنا - اهتدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - اعلموا أن الله يحيي الأرض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضح في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سلمنا به ولكني أقول اني أخاف سآمة القارئ . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا تجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا تجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائنهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبنى أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروع العين لأن نفعها أعم ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ما ينفع نفعا خاصاً وتركوا ما ينفع نفعا عاماً الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أنا وأولادنا فقراء محدودي في الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن نحانحوه وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر لحي من الجهالة وهم ساهون

فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحسن بآثاره في نفسي منه . ولا بد من نتائج له تحصل في الاسلام . قلت إذن لا يسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وتبيان الزكاة . قال انه لم

يسألم لأنه يسمع ذلك من النبوة . فالتبى ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ومحورها فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتباً جمة فيها . قلت والبيع والاجارة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغبوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوصاً . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن نقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شئ بل في الشرائع وحدها . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظر وإذا جهلنا سألنا أهل العلم . ألم تتذكر ما قلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ ان النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن المجوس لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فهما هوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خاصة . أفلا يسعنا ما يسع رسول الله ﷺ وندرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل - فإنا يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم في كل علم وهم أهل الذكرفيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهديون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكرراً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

### ﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إني أذكرك أيها الذكي بما تقدم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن الذبابة بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان الى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصليّة والرخوة والنباتية . فقال صاحبي ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تغيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن تقرأ ما هناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جلال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقريّة (٢) حلقية (٣) مفصليّة (٤) رخوة (٥) نباتية





( شكل ١٨ - نبات أوروبا )

( وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أتروا ثمره ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون )





( شكل ١٩ - حيوان أوروبا )

( ومن الأنعام حولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين )



الحيوانات الفقرية فيها الأقسام الثلاثة في الآية من يمشى على أربع ومن يمشى على رجلين ومن يمشى على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما ﴿ الأول ﴾ الحيوانات ذات اليدين وهو الانسان الذي قسموه الى الصنف القوقازي وهو الأبيض والى الصنف المغولي وهو الأصفر والى الصنف الافريقي وهو الاسود والى الصنف الأمريكى وهو الأحمر والى الصنف (الأيبير بوري) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكيمو ﴿ القسم الثانى ﴾ ذوات الأربع الأيدي وهى القرودة وهى أصناف (الحيون والاورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى) ﴿ القسم الثالث ﴾ الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والتمور ولها أسنان ناعمة وهى القواطع والأنياب والأضراس ﴿ والقسم الرابع ﴾ الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفى كأنها المجاذيف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) المجول البحرية والبقر البحرى ﴿ القسم الخامس ﴾ الحيوانات ذوات الأيدي الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى ويتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه المقدم والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها ويقضى الشتاء وهو نائم ﴿ القسم السادس ﴾ الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والنار الغيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس ﴿ القسم السابع ﴾ الحيوانات الثديية . القراضة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأشجار وتتغذى بالنبات وبالثمار وهى تشمل ذوات الترقة كاليربوع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . ومما لا ترقة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لا تنسلق على الأشجار ﴿ القسم الثامن ﴾ الحيوانات الثديية عديمة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرقة وهو نوع مغطى بصفايح كقشور السمك وبعضه له درع مثل (التاتو) ﴿ القسم التاسع ﴾ الحيوانات التى لا أطراف لها ذات الجلد الثخين وتتغذى بالنبات وهى (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والحمار وحمار الوحش والخرتيت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل ﴿ القسم العاشر ﴾ الحيوانات المجترة . ليس لها ترقة وتتغذى بالخشائش والنبات من غير مضغ ومعدتها أربعة أقسام تقدم رسمها وشرحها فى (سورة النحل) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكوره عن أنثاه بنايين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركات جانبية وبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجل واللاما . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما







﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تنفس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامنتين . وإما أن تتغذى باللحوم مثل القيطس والكشالو والدلفين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان و يصعد الماء من أنفه كالنافورة . وأما الكشالو فهو كالقيطس ورأسه مقدار ثلث أو نصف جسمه ويستخرج منه العنبر السخاى وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما الدلفين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسماك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الغرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرجين وهى فى (دونلاند الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لا تتحمل أحوال الجؤ فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والذى أمام هذا الجيب والابن يسيل من ذلك الذى بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أمد معلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (الفقير) وهو كالأرنب الكبير إذا جلس معتدلا وهو فى استراليا وتسمانيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما دجاجية مثل الدجاج والطاووس والحجل والسمان والحمام واليمام (٢) وإما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والبجع (٣) وإما شاطئية مثل أبى قردان والقلق وأبى مغازل والنعام والبطاروش (٤) وإما دورية مثل البلبل والعنديات والخطاف والقنبر والغراب والهدهد (٥) وإما متسلقة مثل الببغاء ونقار الخشب (٦) وإما جارحة مثل الذئب والحداة والبوم والمصاص والعقاب والصقر

﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة استطوانية عديدة الأطراف . ومن الثعابين ذوا الجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين ما لا سم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدراء ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسماك والديد والحشرات

﴿ القسم الرابع ﴾ من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

﴿ القسم الخامس ﴾ السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

هأنذا أيتها الذكى إذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجد مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا الغنم وهى من ذوات الأربع والأفعى وهى من التى تمشى على بطنها والببغاء وهى من التى تمشى على رجلين وبقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقة بهذه





( شكل ٢٢ - نبات أمريكا الشمالية )

( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رجته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون \* والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكاحا كذلك نصرّف الآيات لقوم يشكرون )

( شکل ۲۳ )



( والأَنْعَامُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمُنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا جَالٌ حِينَ تَرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ \* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْفِئَةِ إِلَّا نَشَقَّ الْأَنْفُسُ مِنْ رَبِّكُمْ لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ )

(القسم)



﴿ القسم الثاني ﴾ من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وما جاورها مثل السربيل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (السايل) وهو يسكن أشجار الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو الذي يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعما للسماك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لمعان معدني . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا الدود (١) الدود الذي يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والدود السكوي وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضح كثيرا في هذا التفسير فسكانها من أنواع الديدان وكلاهما من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البلهارسيا) و (الانكلستوما) وغيرهما . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات العامة وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فلكل حيوان عضوا للتذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها ما يتولد بطريق الإزرار كأزرار النبات

﴿ القسم الثالث . الحيوانات المفصلية ﴾ وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والعقرب وأبو شيت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جملبو والسرطان والجبري فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقدمت كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها

( شكل ٢٤ )



( شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية )

( هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون \* ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون )





( شكل ٢٥ - حيوان أمريكا الجنوبية )

( والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويحاق ما لا تعلمون \* وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين )

ومن الحشرات ما لا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النجى والحفار . ومنها نصفية الجناح كالبق والقمل . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعران وخنافس الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البراغيث والزعقومة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهى الحيوانات المفصلية

( القسم الرابع الحيوانات الرخوة ) مثل المحار وصدف اللؤلؤ وأم الخلول و بعض هذه مشروح شرحا وافيا فى (سورة مريم) فى أولها (شكل ٢٦)



( شكل ٢٦ - نبات وحيوان أستراليا )

(والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين \* وانا إلى ربنا لمنقلبون )



( القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية ) ومنها الزبوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج) بهيئة خمسة أشعة منتظمة جميلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذي يفهمنا القدرة أى قدرة الله على التنوع فهو ينوع الحيوان أنواعا لا حدها ويعطى كل ذى حق حقه . وهذا هو الذى نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم نذكره فى هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه فى سورة البقرة عند قوله تعالى - إن فى خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفى سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أثمر - وفى سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وفى سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه فى تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فبأيها المسلمون أذكركم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذى ينزل اللبن له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنينا لأن أمه ذات رحمين كما تقدم أم نضيع زمانه فى حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذى يوافق منهج أمثال هذا التفسير - ولتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين ضحى يوم الأحد

(٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردها هنا (لغرضين \* الأول) أنها ابضح لهذا المقام (الثانى)

ان خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجريين )

قال المفتش بلطف وأدب (وهو ممن أتموا علومهم فى أوروبا) أيها الاستاذ لقد حل كثير من المفسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى ان بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفهم موجود فى القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التحمل ترفضه العقول وتنفر منه النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الخرائط فى التفسير مبينا حيوانات ونباتات افريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل الى ادخاله فى القرآن إلا بتكلف . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفهم فى القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات فى الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكر لنا أن الحيوان منه مالا أرجل له ومنه ماله رجلان ومنه ماله أربع . هل هو يريد أن تقف على تعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء ان العدد لا مفهوم له وإذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض فى اتمام مبحث الأرجل ولكنى أعارض فى ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها ( كما نص عليه علماء المنطق ) ترجع الى أربعة تحليل وتعريف أو رسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة أو هذه النخلة لا يجوز أن تقول عرفت هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وإنما تقول حلها فالتحليل كتحليل الماء الى الأكسوجين والادروجين هو السبيل الى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد ويتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الانسان بأنه حيوان ناطق أو تاتى له برسم فتقول هو حيوان عريض الأظافر يمشى على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجناس كما تستدل بأن للعالم محدثا . وأما التقسيم فهو لتمييز الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة الى اسم وفعل وحرف وتقسم

اللباب الى نجم وهو مالا ساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالقسم الذي ورد في الآية اليه يرجع ربع العلم . وهنا نقول هل الله يريد أن تنظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقط أم يريد أن تفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحر وفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما قسم . فقال هذا حسن ولكنك قد استغنت بعلم المنطق على إيراد هذه الخرائط في التفسير وفيه بعض التكلف غير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذي يصرح بالتقسيم الذي أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المسمى الحيوان على الهواء أوفى الأثير بل هو يمتشي على الأرض . فإذا رسمنا الماشي رسمنا أرضه معه . وإذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . وإذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . نغير لنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم \* تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم \* إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين \* وفي خلقكم وما يبث من كل دابة آيات لقوم يوقنون - فيها هوذا سبحانه جعل الإيقان وهو أرقى من الإيمان مرتبطاً بمعرفة الدواب المفرقة في الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى في (سورة البقرة) - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واللك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرق الدواب فيها . فهذه هي الأرض مرسومة أمامك وهذه هي الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . أليست ترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر الكل والكميات لا تعرف إلا بالتقسيم وهما هي هذه قسمتها على المناطق نارية وعلى القارات نارية أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هي الأرض أمامك في الرسم وهذه هي الحيوانات عليها . فقال نعم لقد انشرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت في أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم في مسارح السينما وهم يظهرون لهم قصص الأنبياء كموسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون من الوقائع والحوادث ويكون . فبالله كيف يثبت الدين في القلب إلا بنقشه في النفس من الصغر كمثل ما رأينا هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرومون . فقلت التصوير الشمسي قد نشر في هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت في (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا إذا كان للتعليم . فهذه هو التصوير الشمسي أصبح في نفس التفسير وقد قلت هناك \* إن من حرمه فقد انحلع من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصور الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظر إليه فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهي الصور المتحركة فليس يزيد شيئا عن ظهوره في هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما في محال الصور المتحركة فإنه يقرؤه مئات مجتمعون وإذا جاز ظهور الصور للآحاد جاز للآلاف \* فهذا التحريم لا معنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال \* إن التصوير المجسم لا يحرم في هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف في الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك \* فقلت اني لم أطلع عليه ولست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما احتاج اليه في هذا التفسير وهو التصوير الشمسي فأما كون قصص الأنبياء تظهر في الصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألب قديما المسلمين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين في الدين مثل ما جاء في كثير من حكايات \* ألف ليلة وليلة \* وخرافات سيف بن ذي يزن وأمثالها



فقد جعلوها روايات تحجب المسلم في الدين وما أكثرها فلتهدب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ

﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى العصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلتني صديقي العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجمل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . ولعمري لم أجدر روضة أجل ولا مجلسا أسمى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطلع منظر الصحراء في افريقيا وجبالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن اذا أنا أرى الخريت والتمساح والفهد وفرس الماء وأنواع القروود والفرقوى العنق حاد الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فيعلو السفينة في النهر ويهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة اذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا

﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رمى اللون عظيم القوة حتى انه ليقصم ظهر ثور حتى وهو قنوع . حافظ للجميل محب بنفسه كريم ولا يفترس إلا اذا جاع ، ينام النهار كالنمر ويسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخبث والحيل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يجول للصيد ليلا ويختفي بالنهار ويحفر له حجرا منفرجا قريبا من جذور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو واذا لم يجد نحو الدجاج تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل الفواكه كالغلب ولذلك يتلف الكروم

﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوقه الى الافتراس إلا الجوع وهو لجينه يدخل صوامع الدجاج برجليه الخلفيتين وهكذا لا تصيد الذئاب غالبا إلا وهي قطعان فتفترس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئاب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كره كالثعلب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئاب . واذا رمى الانسان ذنبا أكلته الذئاب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسه ولذلك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناده اذا أهين وحقده وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت أنه يعيش (٢٥) يوما بلا شرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله مملوا بالعصير النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والماعز المجتررة التي لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتزل في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتضع ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلايف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يعط القروود ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يعط الطير أسنانا بل جعل له القانصة والحوصلة يهضمان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والأمعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لا آكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبحانه عضوا إلا لمنفعة فترى الأنبياء القوية في السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الأولية التي

تعليمها في الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامي . تم الفصل الأول

### ( الفصل الثاني )

( بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغراثرها

وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين )

جل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك خرسهم برحتك وحفظتهم بنعمتك لا إله إلا أنت ذو الجلال والجلال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فعمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا والاقيانوسية . هاهي هذه الحيوانات رائعة في بحبوحة النعيم وأظلالها في كنفك وأبحت لها الحشائش والمراعي والأشجار وهي رافلات في حلل السعادة والنعيم . هذه نعمك ماثلة أمامنا نحن قراء هذا التفسير التي أنعمت به علينا بعد شوقنا إليه آمادا طويلة وألهمت أناسا رسموا خرائط أرضك بأقسامها وآخرين رسموا حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيرا لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات وبحيوانها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانقات قاراتك وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بمجيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظن المسلم وغير المسلم أن الطبيعة شيء والدين شيء آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة الديانات للعلوم وللطبيعة ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس يوضحون علوم الطبيعة أصبحت هي تفسيرا له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم هذا تكون الديانات مفتراة أو مغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول العمل دل على أحد أمرين إما أن القائل كاذب وإما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن دين الاسلام ملائما للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجل نعمة على وعلى قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وخير سعادة لي ماشاهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهاهي هذه آيات القرآن تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وستصير هذه أمرا شائعا بين المسلمين وسيكتبون هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق العامة النباتية ويكون ذلك ديدنا للمسلمين

( جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى )

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيال في ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرة ضئيلة ليست في العير ولا في النفير . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر الفرد الذي يدق عن أن نراه بالمناظير المعظمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لذلك كان علمنا وإدراك حيواننا ضئيلا ضعيفا . فأما الحيوان فانك أنت ألهمته منافعه فعاش بها وهو يسير بارشادك ووحيك على قدر ما قسمت له فالفرزة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وان أعطيته العقل وهو به حر فهو مسكين مني بالتقليد . ذلك انه وان أعطيته ملك الأرض وأباحتها له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في محابس التقليد وضل وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقلي وجسمي فإلى وما للنصب والتعب فلا قلد الآباء فأنا لست خيرا منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاوية الجهالة . فرأينا أهل هذه القارات المرسومة في هذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقا بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير . واتبع الأول الآخر في الضلال وقلت أنت فيهم - ومن أعرض عن ذكرى فان له



معيشة ضئيلة \* ونحشره يوم القيامة أعمى \* قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا \* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - عبرته بالتقليد وأبنت محاجة الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار الخ وأوضح قيمة التمسك بأراء الآباء إذ قلت - قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون - فطبائع الانسان تكاد تشبه طبائع الحيوان . فالحيوان بالغريزة لا يترشح عنها والانسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابهه فدار في مدار واحد بتقليد الرؤساء أو الآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالغريزة والانسان بالتقليد . هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهاً في أفعاله شرقاً وغرباً كالذئب والأسد . أما الانسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي اتبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافاً بيناً فزئيراً الأساد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الانساني فقوم تراههم يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحرمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفنونهم مع ان الغربان مثلاً جميعها تدفن جثث موتاهم . فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأمهات عند المتوحشين في أواسط افريقيا وبين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عند الأمم المتمدنية ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان في دفن الجثث الذي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئب في أكل ما مرض منها ولا مثل اتحاد النمل في العطف والراقة على ضعفاها ومرضها . إذن هذا الانسان قد ضلّ عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لأن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشتات كما قال شاعرهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم \* لا يستوون كما لا يستوى الشجر  
هذا له ثمر حلو مذاقته \* وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وان كان مراداً به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنته ملكة العقل والتفكير فأنحط كثير من هذا النوع عن صاحب الغريزة وهو الحيوان . ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم اذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبه الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي المنزل وأن القول السماوي موافق للعلوم الطبيعية لا يستطيع أن يكتبه في كتاب ولا يرى في قلبه قبولاً له ولا يحبه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولاً لأن الانسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبته ومنها وبها وعليها خالق وتغذى وتكمل وحل فهو يذكرها مغرم ولعلمها محب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله يمنعه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو اعارته التفاته فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جريمة ودليله التقليد . - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوماً جهولاً - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم بأنفسهم أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون في أعين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيوهمهم رؤساؤهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالمدافع والاحيلة لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باحتقار الدين وتظاهروا بالعظمة أمام صغار الأمم الشرقية . إذن أمثال ما كتبه الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولا ينحون نحو إلا المسلمون ومن على شاكلة كلهم وهم قليل بخلاف الشرع فان الشرع بأي لغة كان يفرح به جميع الأمم . فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل عربي . وشاعر الغربيين من أي أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرقي وحكيم الشرق وحكيم الغرب كشعرائهم كلهم محبوبون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سبنسر) فيلسوفهم . وهذا (هوميروس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافه . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقائه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاهها ومالها لكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لا تتم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى إذا قرؤوا ما أكتبه الآن لم يحلوه المحل الذي يجعلونه للشاعر أولفيلسوف الشرق إذن التقليد في أمم الأرض يمنعهم عن فطرتهم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطق به هذه القارات وحيواناتها وكما تستسمعه قريبا هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تقرير كتابي ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يعبره غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرتهم شاهدة به ولله الأمر وله الحول والقوة - ولو شاء ربك مافعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

### ﴿ الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقصة

حول الشمس بما حلت ﴾

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسنوية لا تفر ولا تهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فانها وهي في رقصها قد حلت بالمناطق الهوائية والسحابية والثلجية والنباتية والحيوانية . فهي أبدا راقصة وهي أبدا عليها حليتها وحولها نعماتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح \* بنورها وبنور الشهب في الظلم  
تنأى وتقرب أحيانا بما حلت \* من ناضر النبت أو من باهر النسم<sup>(١)</sup>  
فالنور مؤتلق والطير مخترق \* والنبت مقسق بهـدى الى النعم  
والخوت في لجج الأمواج يقطعها \* ويقطع الليث قفرا وهو في قرم<sup>(٢)</sup>  
والأرض أمهم طرا تسير بهم \* خوفا عليهم واشفاقا من العدم  
في الصيف تدفئهم بالنور محترقا \* وفي الشتاء يرون السحب من أم  
سوطان حرّ وبرد سيق بينهما \* مافي الخلائق بين الخوت والرخم  
والريج هزهزت الأشجار مائلة \* تشدومع الطير في الروضات والاجم<sup>(٣)</sup>  
في كل أرض وفي كل البحار وفي \* جو السماء أفانين من النعم  
من كل مائسة الأغصان والهة \* تختال في حلل الأزهار كالغنم<sup>(٤)</sup>

﴿ نظرة في قوله تعالى - فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين - الخ فوق ما تقدم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشى على رجلين وكونه يمشى على أربع وكونه يمشى على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . الله يرشدنا الى أن الأشياء المشاهدة غض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وابراهيم فافقرؤه هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت

(١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روح (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) نبت أجر



لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة  
(٢) فانظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم  
في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النباتات تمثل فينا القوة الشهوية  
والحيوانات التي تأكل أمثال الغزلان والأرانب كلاسود والنمور تمثل فينا القوة الغضبية والقوة المودعة في العالم  
علوية وسفلية التي بهارتبت هذه الأنواع وحفظت وبقيت بحيث لا تنفنى أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات  
التي تعتذى منها بل يبقى الأكل ببقاء الماء كقول ولا يفنى الماء كقول مع تمادى الأكل في التغذية به . فهذه القوة  
المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بني آدم سميناه عقلا . إذن عقولنا أشبه بالملائكة وقوتنا الغضبية  
أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآية  
وكراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشير له القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير  
من الكتب التي تؤلف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك وعجائبك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا .  
فأما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب النزوان . فالانسان وهو يزاوها قد شارك  
الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . ألا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم  
كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة الغلبة والقوة والسطوة  
وهي التي تمتعت بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها  
وان أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نجمة مثلا واحدة كل جمعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في أحداث  
ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فاذا  
آنتت أسدا فرّت الجوع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة  
وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر  
فهؤلاء الملوك وهؤلاء الأمراء لذتهم اذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الفتيان بالمطاعم والملابس  
والتزويج المقتصرين على ذلك . وانما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترق الى المرتبة  
العليا وهي اللذة العلمية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم واما  
أسد واما ملك

فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته

(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل  
والمعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البروحوت العنبر في البحر

(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الذوق وحصول الغذاء بالألبان واللحوم وهذا معروف

(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها

(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجيلة من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لأنواع

الحيوان تكسبه حكمة وعلمها وذلك كالألوان التي شرحناها لك في أول سورة المؤمنين . فهذه تدهش عقل  
العقلاء وتدعوهم للتفكير والتأمل والعجاب بما أبدع الله فيها

(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر العجب العجاب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقدونس) كيف لونت بلون أزهاره حتى لا يمتاز عنها ، وانظر هناك صورة الحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لا تنقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحت لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تجدها مفصلة بحساب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار ولا اللون الزاهي في الزبور رمية من غير رام كما أقر به فلاسفة القرن العشرين

إذا عامت ذلك في النظرات الست المتقدمة هناك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلوم التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموهم العقلاء والحمد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وبحيم الاستعباد ﴾  
اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الإنسان وألهمه معاشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الإنسان على الأرض . إن الله قد فعل مع الإنسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى إذا وضعته أمه وجد القابلة التي تساعد في وضعه والثدي واللبن واللفائف وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الإنسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الإنسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا إلى حين . واقد مرة في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الإنسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فأنك تجد الإنسان ماضع مركبا في البحر ولا طيارة في الهواء ولا حصنا لمدينة ولا سردابا تحت الأرض فيها إلا وقد سبقه إليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش في الخلوات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الإنسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالغزلان والآساد والثاني كالكلاب والغنم فالأول بحريته صار أعز نفسا وأشرف وأجل وأكمل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوة الحيلة والتدبير لأن الإنسان قام بحاجته وتكفل بغذائه فأنحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العز والذل . هكذا أتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل وعلينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان إلى ذليل وعزيز حر هكذا انقسم إلى ما أعطاه الله صناعة وإلى ما لا صناعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عزيزا أينما حل في البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى إن الإنسان إذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته العجيبة فأما العنكبوت فإنه لقوته الصناعية يحتل كل مكان في الحقول والمنازل ويصطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين التقسيمين ﴾

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي مما استذله الإنسان إلا وقد ذكر معها الذبح فقال - إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - ثم قال - فذبحوها وما كادوا يفعلون - هكذا الأثم التي تركت مواهبها وعقوبها سلط الله عليها من الأثم من يقودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهؤلاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون



الفرق بين الأسد والكلب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاء وأوسع حيلة من أختها العنز التي استذلها الانسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصانعة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النمل في (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعها نبي من الأنبياء وهو سليمان - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك - وقال الله في النمل - قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - كما انه لما خاطب الهدهد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعد بالذبح أو التعذيب الشديد لم يهنه ولم يذله لانه سمع منه الجواب المحكم والعلم إذ قاله - أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبا يقين - بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى - فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى - فليت لم يخبر بقائه إلا بعد ذبح البقرة وهو هدد بالذبح ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حي . ذلك فرق ما بين الحر وغير الحر . الحر لا يذبح فتفيد حياته وغير الحر يكون طعاما للآخرين فلذلك أفاد الهدهد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر للأمم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلو القدر والعظمة كلها تابعت للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكه بل نزل للحكمة ولم يختر الله الهدهد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل الهدهد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتسبوا أنفاسها ويذلوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبلا ما ذل المسامون ولا ضعفوا ولا استكانوا ولكن الله عز وجل هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء - وكل شئ عنده بمقدار - ولقد كان من الجائز أن يذكر الله بدل الهدهد حمام هو المجهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عز وجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر الهدهد لهذا وأمثاله والله هو الفتاح العليم . ثم تأمل كيف ذكر الله الهدهد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كاه مقبسا من (سورة النمل) مرتبطا بآية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولا جرم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النمل) الذي تضمنه حديث سليمان مع الهدهد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأنا أجذك يا الله على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في النحل - وأوحى ربك الى النحل - فها هو ذا سبحانه أفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه يوحى اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفاد أن الغراب معلم للانسان إذ قال سبحانه وتعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين - وعلى مقتضاه يقول يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الهدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوي العزيمة أخطب ملكا عظيما كسلمان فلا أخشاه لعلمي ولصدق ولقوة عقلي ويقيني ولحررتي وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل والنمل وكالعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهب الكامنة في وهنالك يلهمني الله رشدي ويزيدني علما بما أزاوله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتن نسجها والى النمل لتربي أولادها . هذا ما فتح الله به

صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿ حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان ﴾

ولعمري - إن الانسان انى خسر \* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -

الله يقول - إن الانسان لفي خسر - لماذا؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وحلهما الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . اللهم انا نحن سكان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السن فأرى انك قويت صحتي وأتذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكلما رأيت في صحتي اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعده الله . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل انحراف عقلي أو صحتي أو خلقي عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أني أرى عظماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبعجون بالاعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المرطبات أو الحلوى في مجالسهم العامة وهكذا فإذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا عجبا . ما لي أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المرطبات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فمن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورثته مرضا دفينًا واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذى لا يأكل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغباوته وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التناسل ولذة الوقاع يقول الأطباء ﴿ إن حفظ هذه القوة يقوى الجسم والعقل وبضدها تميز الأشياء ﴾ . ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لا يقرب الذكر أنثاه مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته بواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهى ترديه . نعم أنا لست أقول انا نقل الوقاع كما نقل الأنعام أى عند ارادة الحمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى تقرب من حكمة الله فى أرضه التى أظهرها لنا فى الأنعام التى اقتصرت على طلب الولد والله أشار لذلك فقال فى (سورة البقرة) - وقدموا لأنفسكم - بعد قوله - نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم -

اللهم إنا على الأرض أمما ﴿ كتابان ﴾ كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذى أوحيته وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلتوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك فى كتابك المنظور حتى يعقلوا فيفرحوا بجمالك وليتخلقوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذى فرقته على حيواناتك فى أرضك وقلت - قل انظروا - فهانحن أولاء يارب نظارنا فوجدنا أن النوع الانسانى حاد عن الجادة فى تصرفه واتباع العادة ولم يفكر منه إلا الأقلون . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثر ما يكون ذلك منهم فى ولائهم وأفراحهم ومجتماعاتهم العامة

ويدخلون دخان (التبغ) فى أفواههم بدور فى دورة الدم فيؤذيهم ويشربون المراد المتخمرة التى تضر أجسامهم ويفعلون مابه يستضرون . وقد تمتحننا بالجوع الكاذب بين الأكلتين أو العطش الكاذب بين المرتين من الشرب فنطبع تلك الداعية فنستضر واذا ذاك تضل القوة العقلية ويفتر الدهن وتقصرا الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت فى كتابك - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله - وسبيلك يارب فى كل شئ بحسبه - إن ربي على صراط مستقيم - وقد ذمت التقليد فقلت - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأئمة سيكثرونها المفكرون فى أمر هذا الحيوان والافتقار مما جيل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة - فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٨



( نداء الى أم الاسلام )

( تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين )

إن من أعجب العجائب أنى بعد ما كتبت ما تقدم اطلعت على محاضرة مسهبة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكى الاختصاصى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اتنا الآن نقصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اتنا نكثر من تناول الأطعمة ونقل من ممارسة الألعاب الرياضية ونام قليلا ونرتدى ملابس غير صحية وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ما تصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله ﴿ إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلاين لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول . عجبنى أن تنشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون وليعلم المسلمون أن دين الاسلام سيأتى زمانه أما هذا الزمان فانما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر وتحريمه والربا وتحريمه ولكن كان الخمر هو أجل ما يفرح الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر فى هذه المحرمات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالخمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لا يزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاسقنى خرا وقل لى هى الخمر \* ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغاني بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم ومساءهم وختل منهم الديار وبثت عاقبة الغافلين . فبالت شجرى أى أثر يتركه أمثال ما كتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعاداته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال - قل انظروا - وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنيا فى مطعمه ومشربه وملامسة أنثاه . هنالك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأيدينا وسوء التربية والملكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثال ما ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبنائنا بعدنا اتنا ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة تنقلها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرننا لهم وهم الراجحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت - انظروا - وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقتم أمما وأمما ففكر الجميع فعرفت روسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بعقولهم فأدوا بعض ما جاء به القرآن والمستقبل أجل وأكمل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأم الاسلامية . اسمى . هذه هى حقيقة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ - فذكر انما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر - كأتى بكم قرأت هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها وبهجة حكمتها فتقولون ان فى الحشرات كاللادود والجراد والنمل والنحل لعبرة وكذلك فى الطيور كالحمام والغربان هكذا فى الأنعام وفى الآساد والفيلة . اتنا نرى هذه الأنواع تجرى على وتيرة واحدة فكما كانت أنقص مرتبة كان عملها قاصرا وكما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والذبابة والناموسة لا تربي ذريتها والنحل والنمل يعطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى الدجاجة والبطة والحمام تربي أبنائها ولكن لا علم لها بنظام الغربان وأمثالها من كل ما لها به نظام عام يجمع طائفة ويساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن الى أمد معلوم ولكن الفيلة والذئاب والقرود وأمثالها قد كوَّنت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجماعات ثم يقولون إن الشرف يتبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغرابان والقرود أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الانسان نظرة فيقولون ان الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه الدود والجراد إذ لا همَّ له إلا حفظ حياته . والأقوياء من هذا الانسان يرتقون فيلدون الذرية وتكون لهم أسرات ثم جماعات ثم أنفاذ و بطون وقبائل وهؤلاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جماعات الحيوان يكون الانسان كلما ازداد جمعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أم أوروبا كالجرمان والانجليز وأهل فرنسا . واذا رأينا أهل الشرق الأقصى كاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفا ممن صغرت جماعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم تزد عن الغرابان وعن الفيلة وعن النمل والنحل

اللهم انك أنت الذي ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت الفيلة وألهمت الغرابان وألهمت هؤلاء جميعا نظام جماعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالفيلة والقرود - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغرابان والنحل - إلا أم أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا الى دراستها . هانحن أولاء درسنا هذه الحيوانات باعتبار التقسيم كما قسمتها أنت هنا بالمشى على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها ووازنناها بالانسان وجدنا أننا في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم نرها ارتقت عنه أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند آبائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آباءنا (بريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا في الأسباب ولم يعقلوا ما عقلته الأمم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى ان الأمم العربية مثلا متفرقة متشاكسة يجهل بعضها بعضا . فهم في شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالمصري والطرابلسي والتونسي والجزائري والمراكشي كل هؤلاء يجهلون انهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آباءنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلا هم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغرابان والفيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب الى طباع الصبيان والشيوخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

### ﴿ آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام ﴾

الى هنا تقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكامهم فيرمون ﴿لغاييتين﴾ إحداهما أبعد من الأخرى ﴿الغاية الأولى﴾ ان كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرقى الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الانسان الآن ﴿الغاية الثانية﴾ التي هي أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحادا أشبه بالممالك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون ان الجماعة كلها كانت أكبر كانت أشرف والشرق لاحدله والأمم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزيدوا جميعا عن الحيوان شيئا . فأى فرق بين جماعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جماعات النحل والغرابان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغرابان الشرق لاصلة بينها وبين غرابان الغرب . لا لا هذه الأمم الحاضرة لم يترقوا عن الحيوان ولكن نحن أرقى وأرقى منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿نعمتين﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آباءنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأمم المحيطة



بهم شرقا وغربا فنحن أعظم من أن نسير على منهج آباءنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات الى النور . من ظلمات الدل الى نور الحرية . من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة الى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء اذا كانوا مخطئين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار \* قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون - فهذان البابان أقفلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آباءنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الانسان في زماننا ولكننا نحافظ على كل شرف وورثاء من المتقدمين وأما نعمة الدين فانا سمعنا الله كما أنه قال لنا - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أمثالكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهذه كتابنا المقدس في الآية الأولى يجعل الانسان أمماً كأمم الحيوان سواء بسواء والانسان الذي نعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وان لم يصل لها آباؤنا المسلمون بعد العصور الأولى حين فرقت جوعهم وخضدت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشربوا في المال ونسوا مجدهم القديم وعزتهم الموروثة لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفريق والهووان التي أشار لها حديث ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ ﴾ فان ما خافه نبينا ﷺ قد تم فعلاً وأيقننا به ووقعنا فيه تبعاً لآبائنا في نحو ألف سنة بعد العصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علماً فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الانسان الحالي إن الانسان في هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قررناه إذن انسانته ضعيفة حقيرة والقوى الادراكية التي في أرضنا ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان واما فكر وروية كما هو شأن نوع الانسان واما قوة ملكية قدسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الانسان فهذا الانسان اليوم بفكره لم يصل الى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن اذا كنا نجده لا يزال طفلاً في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غدا . هاهوذا يحارب بعضه بعضاً كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويسخر غيره لنفسه كتسخير النمل إذن هذا الانسان اليوم جد جاهل فوالله لا فرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بآبائها الغافلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمدة لامدمة واتباعها شرف لامنقضة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حده صغر في النفوس وحقارة في الانسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروثة وعلى فضل أمتك المعهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاء الانسان لم يرق به في النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فانه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغربان الغرب لا ينتظر منها أن تتصل بغربان الشرق ولا نمل الغرب بنمل الشرق لأنه لا مصلحة في ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فن مصالحهم جميعاً أن يكونوا بممالك كالممالك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الانسانية الحقة . ثم يقولون علم الله أن عادات الانسان وتقاليد تمنعه عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفى رجالاً قديماً وحديثاً حكماء تارة وأنبياء أخرى فذكروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم المجموع المجموع . وقامت في الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحي فهو الذي يؤثر في النفوس وهو الذي يكون نورا تهتدى به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى ﴿أمرين﴾ أمر وحي جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه الى هداه والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهنا نحن أولاء درسنا العلوم التي عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت على العلم والحكمة كما في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا - فها هو ذا القرآن يقول لنا إياكم والعصية الناقصة بل اذكروا الله . ثم سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا عجميا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول ﴿لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى﴾ وسمعناه يأمر بلالا وهو غير عربي أن يؤذن في الكعبة والعرب يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محلّه نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل فيها استعدت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها والله يقول - لا تكاف نفس إلا وسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التي تناسبها فلا يكون في الأرض كسل ولا بطالة . ولا تبقى في الأرض أولهواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا وجب على الانسان استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشكلة من حكماء مصطفىين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لالعبيين \* ما خلقتناهما إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون قوى نفوسهم ولما كمن في المادة فهم لا يزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبناؤنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿أمرين \* الأول﴾ أن نجد في تعليم كل ذكر وكل أمة في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ومتى أتمنا هذه الخطوة وهي قربة المثال لا يعوزها متى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه همنا إذ ذاك الى نظام النوع الانساني كله ونتفاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هو الذي جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا \* وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا \* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول . إن الرسول يأتي بوحى والوحى أرقى من الغريزة ومن العقل والفكر . والوحى يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومتى خرجت من قيود العادات وصلت الى ما ذكرناه وكان السلام العام

### ﴿ تذكرة ﴾

ولقد أوما الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ ﴿ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه﴾ وورد أيضا ﴿تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقه فيقول الذى يعطاها لوجئتنا بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من يقبلها منه﴾ رواه البخارى ومسلم والنسائى فيأليت شعرى هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالمظهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال

### ﴿ عجيبة من عجائب أخبار اليوم ﴾

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿البلاغ السماوى﴾ فى بمباى بالهند أن المسلمين فى شمال



(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستمسكين به وأن الديانة الحقّة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلق تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبي ﷺ ﴿ نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع ﴾ وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الاطباء أن يأتوا بخبر من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع في ربع قرن أن يقهر دولتين فارس والروم ﴾ انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدأ نهضة الأمم ورفق الاسلام فيتعاون المسلمون في أوروبا والشرق على اصلاح الأمم كلها واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطالبها علماء العصر . وهنالك لا يجد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما فى كتابى ﴿أبن الانسان﴾ كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا فى هذا المقال ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته فى العمل لنفسه ولغيره وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاه منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادّة واذن يصبح الناس اخوانا فى العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل الفلسفية والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالاقناع وبالعقل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٨ ﴾

فى الأرض أشرق ﴿ نوران ﴾ نور ظاهري ونور باطنى ، أشرفت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق وبنور أرواحنا ازدادت قوانا الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأمثالها . فى الجوّ الذى نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفى نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها وتتحيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أزدقناه نجد له صورة فى نفوسنا إذن هناك عالم واسع فى نفوسنا كالعالم الذى نراه حولنا . النور المبصر والنور الذى لا يبصر كلاهما من السماء . لانور حول الارض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار فى نفسى وفى خيالى وفى قوى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولى صورا جميلة فى جؤك وفى سمائك ولكن هذه الصور لم تظهر لى إلا بأنوار أشرفت من السماء لامن الارض . هكذا أحسست فى نفسى بصورتها لى بنور آخر إذن هو حقاً من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها شراف عام على هذه العوالم المحيطة لى وإذا كنت أرى نور المشرقات مسيطرا على الارض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الارض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء فى نفسى أحس به من ابان صغرى وهو لازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتعبوا فى تحصيله . فهم لا يعيئون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يمتدونها نعمة هكذا لا يعتدون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشربة ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة يحمدون الله عليها وقنطار من ذهب لم يتعبوا فى تحصيله يبذرونه تبذيرا - وحملها الانسان إنه كان ظالما جهولا - . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور ولا قيمة لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صورا عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أنفجر عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد ونصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندنا . فأما  
 صوري المرسومة في نفسى فلا قيمة لها لأنها مبدولة لى ولجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض  
 نزلت اليها لتدرسها وتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة بى تعيننى على درس قواى الباطنة التى هى  
 المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وارق فأنا أقرؤه اليوم ولكنى ما كدت  
 أشرع فى القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى فمنها ماهى صحية ومنها ماهى منزلية ومنها ماهى  
 سياسية نعم أمتنى كلها ولكنى مع هذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء  
 الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحابة ساعة فانه يضىء بعدها . إذن روحى لاحد لرقبها ولا مانع  
 لاسعادها ولانهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى  
 إذن فلا بحث فى قواها ولا استعداد لاسعادها ولأعلم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى  
 تقوم بين نفسى وبين مطلوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ما جاء من طريق الورثة والتقليد . ورثت  
 بعض آباءى الأولين وبعض الأشياخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من  
 رأيهم فى بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا فى كل قطر من  
 أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا فى أوقات خاصة وأكثرهم شغلوا عن معانى القرآن .  
 أنا لا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب  
 الجهل . إن روحى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص قابعة بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم  
 بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فاقرا هذا المقام فى (سورة الكهف) ففيها بيان ما  
 يقوله الشيخ الخواص والشيخ الدباغ فى قيمة الأوراد وحصر التلميذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) فى  
 المجلد التاسع وكذلك فى (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا  
 فلانعيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد فى النظر والفكر ولأحصر فكري فى عالم واحد بل أطلق نفسى  
 لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد  
 لها والأعمال الدنيوية كثيرة فإذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهر لى أن هنا فى الأرض معى نفوسا أخرى فنفسى  
 ونفوسهم أشبه بجسم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبته فى هذا التفسير ظهرت مساعدة  
 الناس لى فيه فأنا أستمد من الشرق والغربى وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا  
 وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسلة من السماء التى أمدها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا  
 بانحادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . واذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أممهم الى العلم وهكذا العلماء  
 والحكماء فانى رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبي مفرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه  
 بجسم واحد شاؤا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تعصب حقوق الضعيفة وتحاربها ولكن العلماء فى الأمتين  
 ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة فى الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا نقائص وجهل يورث طمعا  
 واغتيال الحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الأعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين  
 المسلمين أورادا خاصة وحجبهم عن العلم وعن الأعمال العامة خسران مبین . الأرض التى نسكنها قد خبئت  
 فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثمائة ألف سنة  
 ولم نره أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد بحثم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد  
 والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع ان أكثر  
 العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر والعصر الحجرى هو الاصل أما عصور المعادن



وما بعدها من الكهرباء والمغناطيس فهي قليلة . ذلك لانه لا يريد أن يعطيهم الا بجدهم ليعرفوا قيمة ما يعطيهم لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجميلة التي هي أعظم من هذا العالم المادى فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا في تحصيله

### ( القرآن والعالم المادى )

وهنا نظرت في أمر القرآن وفي عالم المادة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم المادة والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والامم استيقظت الآن فهل خبا الله لهم في القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لانقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبا في الأرض المعادن ولم يعطها للناس عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادة من عند الله فليكن في الكلام من الحكم الخبوءة مثل ما في المادة بل أعظم فلنبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما في الأرض فاستخرج المعادن فماذا نرى ؟ رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظرا كثر المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعي عادات الأمة لكلا يبنذوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ لمجرد التبرك والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يتبع صاحب مذهبه فيما يقتبس لا غير وتلاميذ الصوفية يتبعون شيوخهم في بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم - في خوضهم يلعبون - ويفهمونهم أن يذكروا الله ويتركوا ما عدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن الجاهل من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكثروهم جاهلون

في القرآن قصص وفي القرآن مواضع وفي القرآن حكم . فلا ذكر الآن ما فتح الله به اللبلة حتى اذا قرأه العقلاء أيقنوا إيماننا تاما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله في العوالم المادية لأن المادة منه والروح منه فهو خبا في مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبا في القرآن حكما وسينتفع بها المسلمون بعد انتشارها في أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان في هذه الدنيا ( أربعة ) زراعة وتجارة وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المادى وبه يكون نظام الأمة كلها . واذن روحى باتحادها في هذه الاعمال مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادما في هذه الارض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لاندرى ماذا تفعل فيها . نرى الله في (سورة النمل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت علىّ وعلى والدىّ

جلّ الله وجلّ العلم وجلّت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعنا هذه القصة لمقصد أشرف ومقام أسمى مما يفهمه الجهال في أمة الاسلام الحالية . اذن هذه القصص ما تليت في القرآن لمجرد البركة أو العبادة . هذا رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأمم الاسلامية تنظر اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب علىّ الشكر بل قال في مسألة العرش واستقراره عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيها الانسان ولم يفهم قيمتها دلّ ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها فيسلبها كما يسلب الله الملك ممن ليسوا أهلا له والمال ممن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فعرف قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وأدراك الحقائق أعلى ما في هذا العالم وطلب من ربه أن يلهمه الشكر وشكر النعمة لا يتم إلا بعرفتها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد الى بلقيس ثم جاءت وجاء عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليبلوني  
أ أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - فمسألة الهدهد انتهت بالفوز  
السياسي كما أن مسألة النملة كانت فوزا علميا . إذن النملة والهدهد مع سليمان انتهيا بفوز علمي وفوز سياسي  
أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والاسلبها الله تعالى  
ولذلك لما خطرت لي هذه المعاني كتبتها اليوم خيفة أن تسلب مني إذا تركتها لأنها أعطيت لي الليلة وهذا من  
الله ليبتليني أشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها التفاتا كما أتى إبني صغرى لم أعز هذه النفس  
وقواها التفاتا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال في هذا العالم المحيط بي

إن (سورة النمل) متصلة بسبأ اتصالا علميا لا قرآنيا لأنهما غير متجاورتين في الترتيب . وذلك لأن مسألة  
الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهي من سبأ والهدهد يقول - وجئتك من سبأ نبأ يقين - إذن نظرنا  
في (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب  
وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور - ثم ذكر بعد  
ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزق  
ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر في ﴿ موضعين ﴾ في موضع أبان فيه الصناعة  
وانقائها وموضع أبان فيه الزراعة في الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتي بيانها هناك . إذن شكر الله عز وجل  
جاء في القرآن مقرونا بالعلم وبالسياسة في سورة النمل وبالصناعة والزراعة في سورة سبأ

الله أكبر . جلّ الله وجلّ العلم . أيها المسلمون . هاهي ذه أعمال الناس في الدنيا والآخرة لا تخرج  
عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالأمور السياسية وبالأمور العلمية وبالأمور  
الصناعية وبالأمور الزراعية . ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهي إلا انقلب المال لأجل  
الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون . هل من سميع . هذه بعض المعادن التي خبأها الله في القرآن وأذن باستخراجها اليوم  
وأرانا أن نفوسنا نفوس سماوية قد جاءت الى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاونها مع الأئمة  
التي تكون فيها والأمم كلها متعاونات وبهذا التعاون يقتسمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هي  
التي بها الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة

أيها المسلمون . تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النملة وطلب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وأنما  
طلب من الله لعله أن النوع الانساني محجوب بالعادات يحتقر ما يصل اليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل  
أصبح أدنى من الحيوان وعلم النملة وعلوم الحيوان كلها مزدرة عند الأمم الاسلامية المتأخرة التي نزل لها القرآن  
فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب النملة ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ ان  
أكثر هذا الانسان جاهل لا يهيمه أمر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه المعجائب  
إلا اذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم . فاذا جاء لهم أيضا من طريق  
القرآن لاسيما من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقر عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة ويطرب بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة  
وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها . وسبأ أعطوا سدّ العرم وأعطوا جنتين هناك  
فماذا فعلوا تركوا السدّ فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التي درسها آبؤهم ولم يتعهدوا للمحافظة على هذه  
النعمة فسلبها الله منهم وقال - فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق -



هذا بعض السر في قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - وقد اتصل بآية - الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿ وجهين ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه الطيور والدواب التي تشمل هدهد سليمان والنملة التي سمعها وتبسم ضاحكا والهدهد متصل بسبأ وفي هذه جماع نظام الأمم

أيها المسلمون . في هذا المقال مجامع العلم في الأمم التي حولنا ففيه الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خبأها الله لكم وأبرزها الآن لما استعدادتم لقيادة أهل الأرض بعد نوم آبائنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعود لاسعاد أمم الاسلام واخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعوه من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهانحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة واقامتها شكرها والله يقول - وان تشكروا يرزقكم - ويقول - واشكروا لى ولا تكفرون - ويقول علماء الاصول ﴿ شكر المنعم واجب ﴾ فالشكر بأنواعه المقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جرت اليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسبحات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إني الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجل النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لى وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا نمتحنون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشارها بالصرح الممرد من قوارير وبصناعة المحاريب والتماثيل وبزراعة أشارها بالجنتين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلادو بعلم أشارها بالتبسم ضاحكا بقوله - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأما واثق أن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

( في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ )

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الاطعام وعلى ما شرحت به صدرى وما أفضته من نورك للأم الإسلامية التي يعوزها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة والى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب العجائب أن المسلم في كل صباح يخاطب ربه ويناجيه ويدعوه بنفس ما كتبته فيما تقدم . يناجي المساكين ويطلب في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهى الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماش على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أى تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصلنا الى كل ما يمشى وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال الى الهدهد والتل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن التل يمشى على الأرجل والهدهد يمشى على رجلين ولها حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا ينبغي لأحد من بعده . نحن مهمما طال بنا المقال لم نخرج عن نظم القرآن . لم نخرج عنه كما لم يخرج أصحاب المعلقات بوصفهم الناقه (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) بيتا في بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربي . فنحن اذا بحثنا في حادثة الهدد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ماسمعناه ﷺ يقول ﴿ اوتيت جوامع الحكم واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعناه يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - فالآن أشرع في شرح مافتح الله به في هاتين الليلتين . ذلك أن المسلم يقول في صباح كل يوم ﴿ اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيما عافيت ﴾ فهو ليس مهديا وحده ولا معافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فهاذا الشكر . أليس هذا هو المذكور في علم الاصول « ان شكر المنعم واجب » أليس هو الشكر المذكور في قصة سليمان الذي ذكرته في المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القائل - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين \* وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنت بقاء الأمة مادامت مصلحة . فبالت شعري ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذي اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والمحافظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومرتفعهم كل ممزق الله أعطى آل داود صنعا يعملون لهم ما يشاؤون من محارب الخ فقال لهم - اعملوا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الفيلة وعلى نعمة الملك في حديث الهدد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنتين وذلك بعدم المحافظة عليهما . جمع الله ذلك كله في قول المصلي صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيتها الأمم الاسلامية . هلا كان من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شرحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذي يقوله المصلي كل يوم وهو يناجي ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله في (سورة سبأ) وفي (سورة النمل) نعم بعض القائمين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكأنهم اتبعوا ما أرفوا فيه وهذه الآية التي جاءت في (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النهي عن الظلم الذي يقوم في أمتنا بتوجيه الذم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقم فيها هادون علماء حكماء - ينهون عن الفساد في الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين في تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن الترف وحب الراحة هو الذي أضرت بأمتنا الاسلامية كما أضرت الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألافليقم في الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامي أيها المسلمون الشكر الذي تكرر رونه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التي أنعم الله بها عليكم جميعا وهي نعمة الأرض التي تسكنونها والممالك التي سلمت لكم فلا تعطلوا نعم المزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإهمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التي تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التي تعيش معكم رقيا والافانتم ظالمون مترفون والله يعطي أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التي لاتتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو القيام بأمر الدولة التي منحكم الله إياها وعرش الملك الذي سلمت اليكم مقاليدته والله ماسلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم فحسب فان فتم به حق القيام أبقاه وان أنتم قصرتم في نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذي أعطى ملكا لم يعطه الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلي والله يختبرني أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذي ليس بنبي هو مختبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما نذكره الآن من أعجب



ما جاء به القرآن . يقول سليمان الذي هو نبي وهو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يعطاه أحد بعده انى مبتلى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثريا وأين الثرى \* وأين معاوية من على

فإذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فما بالكم بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السر في قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت مما لكنا وأعطيتمنا لغيرنا وأذللتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة لماضت مما لكم . أظنتم أن قول المصلى ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ أمر بسيط وذلك أن نطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا طيبا . والافهامنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذى يقوله علماء الاصول وهو الذى جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكله راجع لحفظ الدولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ما تقدم . هذا بعض معنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرما . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر بلفظ - ينهون عن الفساد فى الأرض - كما عبر فى الصلاة بلفظ - تنهى عن الفحشاء الخ -

إن الصلاة ذكر فيها الحمد . والشكر والحمد لا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق النعمة يوجب حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا النعم العامة وهذا كله واضح فى قول المصلى ﴿ اللهم اهْدنى فيمن هديت ﴾ وفى قوله - اهْدنا الصراط المستقيم \* صراط الذين أنعمت عليهم - لاصراطى وحيدى وفى قوله ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ انه لاسلام فى بلاد الاسلام أو فى أى بلاد أخرى اذا أهمل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا فى كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بنى آدم . فالأمة التى تهمل من أهم الاسلام تتحد الأمم التى حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لامفر منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بمحافظه الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم فى الرقى . فتى انحطت عنهم جاء غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لايسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولايسر الصالحون . فقول المسلم فى الصلاة ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يلزمه حفظ بلاده ورقبها فان لم يتم ذلك وتركه ضعفت عما جاورها من الأمم فلاسلام علينا ولاعلى عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدولية والمدنية حتى ان النبي ﷺ نفسه يتألم فى البرزخ لأجل أمة فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لاشكر فيها بالمعنى الذى ذكرناه إن المسلم يستعيز فى الصلاة من فتنة الحيا وأى فتنة أعظم من فتنة الجهل التى أوقعت المسلمين فى الدل وكيف يستعيز من فتنة المسيح الدجال وقد أحاط الدجال فى السياسة وفى الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم فى القرآن - واجعلنا للمتقين إماما - وهو عينه مستعد للإمامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام الدولة سبحانهك اللهم وبحمدك . أنت الذى علمت وأرشدت وأوليتنا نعم لا تحصى فألهمنا اللهم شكرها حتى نقوم بما يجب علينا ولا تجعلنا ممن قات فيهم - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال \* وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال -

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكننا فى مساكن أم قبلنا فيجب علينا أن نتبين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حل المسلمون فيه محل أم سبقت وهذه الأمم لم تسقط إلا بالظلم والظلم مقرون بالتفريط كفى آية هود . والتفريط والتفريط مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهمنا الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ما وصلوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا وبناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »  
 اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة الهدى  
 مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا  
 أن يعلم ذلك حكماؤهم (وبعبارة أوضح وأصرح) يجب على العلماء بعدنا أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية  
 ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجور . كل ذلك دين اسلامي عليه  
 ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده  
 وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التقصير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن  
 صلاة الوتر (١١) ركعة وختمها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله

اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقعوا فيما وقعوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن  
 أمراءهم اذا كانوا صالحين نراهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فالأمراء الصالحون يعلمون مصالح الدولة  
 وصغار العلماء يجهلون ما قلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء ظلمة تجار وأنهم هم والصوفية والذين ينقطعون  
 للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب  
 في ناحية والأمراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها الذكي في (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في معمر وانه سافر  
 الى الأقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك ماملخصه عند آية - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - انه يريد الاصلاح  
 وأن علماء الدين ربما يقاومون اصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أم الاسلام وورق أم أوروبا وأن علماء  
 الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة

ألا تعجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالي سنة . فانظر ماذا جرى  
 رجع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق  
 الاصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الاصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة  
 مثل ما حصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد في العالم والتلغرافات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف  
 الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طغت في بلاده وعمت وأنهم قد طالبوا منه  
 أن يتنازل عن العرش . وهاهي ذه الجرائد أمانى وفيها ما نصه

(يبحث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في الدوائر العلمية في لندن . وآخر الأنباء الواردة من كابل  
 مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الثائرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ  
 أن الملك أمان الله والملكة ثريا سالمان في قصرهما الخ)

ثم جاء نبأ آخر مقتضاه أن العصاة قاتلهم الحكومة ففازت عليهم فأسرف فريق منهم وقتل آخر . هذا ما  
 جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار  
 أفلا تنظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذن ظهرك صدق قولي ان تعاليم الأمم الاسلامية  
 مخوفة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أجدك إذ وفقتني لهذا التفسير . يا الله هذا ما في طاقتي . اني ألفت هذا التفسير باعانتك وهو  
 يساعد المصلحين في الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار  
 العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بتربية ناشئة جديدة  
 على هذا المشرب فأولئك يكون عاقبتهم وعلمائهم وملاكهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة  
 رضوان الله عليهم أجمعين



إن هذه الأيام مبدأ نهضة تقوم بها الأمم الإسلامية . فليخام المسلمون ذلك الخلق وليلبسوا ملابس جديدة وهل أذاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فإنه ينما تأتي بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على ملكها لأجل الإصلاح نجد جرائدنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساسي لمدرسة الطب بالجزيرة لمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها وهذه المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجاز للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون للبلاد محجر صحي كما تفعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه وقد روى له أبو عبيدة الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - الخ فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي فقل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غرّبه عن البلاد . فانظر لأُم الإسلام كيف يتبع السابقون اللاحقين . يقرؤون قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلموه من نفس الدين . فالجرح الصحي في حديث عمر وفي الإسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينكره ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلماء مصر منذ مائة سنة هم علماء الأفغان في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا \* على ما كان عوده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الإسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطا يقول فيه ﴿ ان النبي ﷺ قال فرّ من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فعرف ما لم يعرفه أكثر علماء زمانه . فالجد لله على نعمة العلم وعلى أن قيض الله للأُم الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ذماما والجد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجنه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سأنتي صاحبي قائلا هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم دغار فهل تعتبر ديننا اسلاميا واذا قلت نعم كما هي طريقتك فهل تسمعي ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الاحياء ﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رجة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فعرفه بالألف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرّفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴿ الى أن قال ﴾ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴿

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقصّ أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . انما كنا نقعد فتذكر الايمان وتندبر القرآن ونتفقه في الدين ونعدّ نعم الله علينا نفقها ﴾ قال الامام الغزالي فسمى تدبر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم آيين من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعناها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الاحياء في (باب التفكير) قال مانصه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشى وانقسام ما يمشى الى ما يمشى على رجلين والى ما يمشى على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجوّ والى وحوش البرّ والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تشك في عظمة خالقها وقدرة مقدّرها وحكمة مصوّرها وكيف يمكن أن يستقصى ذلك بل لو أردنا

أن نذكر عجائب البقرة والنحلة أو العنكبوت وهي من صفات الحيوانات في بنائها بيئتها وفي جمعها غذاءها وفي ألونها الزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيئتها وفي هدايتها إلى حاجاتها . لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعا بين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخيوط بين طرفيه ثم يبتدىء ويبقى اللعاب الذي هو خيطه على جانب لياتصق به ثم يفتدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانيا وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا هندسيا حتى إذا أحكم معاقد القمط ورب الخيوط كالسدى اشتغل بالاحمة فيضع الاحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء الاحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أو الذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد بادر إلى أخذه وأكاه فان عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقي منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجله وأحكمه ثم أكاه (أقول وستراه في سورة العنكبوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أولا هادى له ولا معلم . أفبشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعة لفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما تتعجب فيه الأبواب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لا حصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وانما سقط تعجب القلوب منها لانسها بكثرة المشاهدة ثم اذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجدد عجبه وقال سبحان الله ما أعجبه والانسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألّفها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وأكناها لهم في ظعنهم واقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأثقال قاطعة للوادي والمفازل البعيدة لأكثر الناظر التعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خلقها إلا يعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف برؤيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلاله وعظمته ﴿ انتهى

هذا نص كلام الامام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانسه أيضا ﴿ قد أثنى الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو يصلي بالليل - حتى بلّ لحيته ثم سجد حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد ذكر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى عليّ في هذه الليلة آية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها \* ونقل عن الحسن \* تفكر ساعة خير من قيام ليلة \* وقال ابراهيم \* التفكير مخ العقل \* \* ونقل عن طاوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطقته ذكرا ودمته فكرا ونظيره عبرة فانه مثل



وقوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قل الغزالي معناه أمتع قلوبهم التفكير في أمرى \* وقال عمر بن عبدالعزيز « التفكير في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القاب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جلة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقلت نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقل ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو اجماعهم فأما كون كلامهم فيه مبالغة أو أن الحديث صحيح أو ضعيف فهذا ليس مقام الكلام فيه وإنما ملخص ما فيه أن هذا رأى المتقدمين فأما الحديث فتشهد له الآيات كلها فإذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح ما كتبه في هذه الآية وأمثالها تماماً لما ابتدأ علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صغار العلماء وصغار المتصوفة وأعداء من الخارج كأئمة التتار وغيرها ثم لما أراد الله انقاذ المسلمين من الدل وأنه سيرفعهم الى العلا لهم الأمم الاسلامية الحاضرة فهأهى ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جلة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد إعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها على أنا وعليك أنت أيها الذكي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

( موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام )

أذكرك بما مضى أيها الذكي في أول (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولاً من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالاً في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليقات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعالج عن قيمة أقوال المرذعات والمجائز وأثبتوا اثباتاً تاماً أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الغرائز المودعة في الحيوانات . وأبانوا أن الكون محكم الوضع واحكام الوضع لا بد له من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكابر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطالوا آراء صغار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرنقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب مذهب القائلين بالتحول التدريجي الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البط خلق منسوج الأرجل أولاً ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشد الوضوح . أوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آنفاً هو بنصه وفصه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علماً ومعرفة \* عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرؤا العلم كله وإما أن تبقوا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وها هو ذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العالم وعجائب الخلق وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ربيع الثاني ١٣٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨

( إيضاح آتم لما تقدم )

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء ما نصه  
 ﴿ وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً  
 لا تفتق بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلك خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي  
 منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون  
 الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه  
 فكأنه ما عرفه ومن عرف أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيبطل في ثاني  
 الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون  
 له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي إذا  
 قرأ التالي قوله تعالى - أفرايتم ما تحرثون - أفرايتم ما تبنون - أفرايتم الماء الذي تشربون - أفرايتم النار  
 التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحراث والبنى بل يتأمل في التي وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم  
 ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس  
 واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى مظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها  
 ثم إلى مظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه  
 المجائب ليترقى منها إلى عجب المجائب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى  
 الصانع ﴿ أقول وهنا أذكرك أيها الذكي بما تقدم قريبا هنا من ذكر قطرة الماء وانها عبارة عن ذرات  
 تعد بمقدار آلاف الآلاف وبينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضية والضياء حركات  
 في الأثير والحركات أعراض لا غير . إذن المادة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي  
 ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زمانا ومكانا . ومن هنا تعرف تقارب العلماء  
 في الأمم . ورجع إلى كلام الامام الغزالي فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى اخراج الحروف من مخارجها وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرّد الاتباع للسموع  
 من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير  
 معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حل  
 عليه شيطان التقليد حلة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان  
 فيتباعد منه ويحترز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ﴿ إن العلم حجاب ﴾ وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها  
 أكثر الناس بمجرّد التقليد أو بمجرّد كلمات جدلية حررها المتعصبون للذهاب وألقوها اليهم . والتقليد قد  
 يكون باطلا كن يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتسكن فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس  
 عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لانجر ذلك إلى كشف ثان  
 وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا  
 مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن  
 وجود الطبع على الظاهر يمنع من الودول إلى الغور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن  
 وأشار إلى أن الاصرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي



يفهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال - إنما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب أنه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني كلمات القرآن لا تتناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار . قال فهذا أيضاً من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المنقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - أعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وذكر قول أبي الرداء ( لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً ) وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي وردت النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال إن أريد الاقتصار على المنقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعاً من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهم من أنفسهم فإذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول أنه بالرأى أيضاً لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قائل به وأيضاً إن الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعاً من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعاً لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في ( الر ) أنها حروف من الرحمن أو أن الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً . وأيضاً قد دعا ﷺ لابن عباس فقال ( اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ) فان كان التأويل مسموعاً كالتنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع ( لأمرين اثنين \* أولهما ) أن يقصد مبتدع التلخيص على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجهل ذلك وعلى كلا الحالين يعيل فهمه إلى الغرض الذي يرمى إليه فهذا حتماً اتبع القرآن هواه وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ ( تسحروا فان في السحور بركة ) ويزعم أن المراد به التسحر بالذكور وهو يعلم أن المراد به الأكل وكالذي يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب إلى فرعون انه طغي - يشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصالحة وهو ممنوع وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغري الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعامون قطعاً أنها غير مرادة به . هذا هو الرأي الفاسد الموافق للهوى ( وثانيهما ) أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة وما فيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط انتهى ملخصاً

فيأتيها الذكي إنما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم وما التفسير بالنقل واستأكتب هذا لآخذ بكل ما فيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فيشرح صدرك وتبلغ أملك

ففر بعلم تعش حياً به أبداً \* الناس موتى وأهل العلم أحياء

( فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات - إلى آخر السورة )

وهذا الفصل مفصل إلى أربع جواهر

( الجوهرة الأولى ) في تفریع قوم وتوبيخهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مبينات - إلى قوله - وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار وللبئس المصير -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في آداب عامة كالاستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وكلاذين بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنوه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا مع امرئ جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾ يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال صنعه وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشمس وسناء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأفضة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزينتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقتطعة ما فيها من المحاسن وكأنها قائمة مقام المادة بحيث تحمل كل ما حلت من صور ونقوش وكأن الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعملوا ويعلموا متخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مبینات للحقائق ودلائل الخالق وأنه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه المجائب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لكل انسان فهمه بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فألهم الله وعلمه (والله يهدي من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كبشر المنافق الذي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي تتحاكم الى محمد ﷺ وقال المنافق بل نتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يدعون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي ﷺ الذي حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لا تحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم (أفئ قلوبهم مرض) كفرأوميل الى الظلم (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام للذم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فالأمر يرجع في صدورهم الى النفاق أو الريب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ظلمه ﷺ ولكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتحاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويتقه) فيما بقي من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم



المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفعل محذوف أى يجهد اليمين جهدا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقليل جهد اليمين أى جاهددين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لخرجنا (قل لانقسموا) لاتحلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سراؤركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نيائكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما حل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان أطيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق فى طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين (لطيفة فى قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم - )

إن تبين القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولأ كشفه الآن هنا بموضوعين

### الموضوع الأول محاضرة فى القرآن الكريم

( وأثره فى اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق )

ألقاه فى مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومندوب الحكومة المصرية والمؤتمركان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقيون أعضاء والمحاضرات التى أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قديمتها وحديثها وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والخطبة أقيمت فى يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ فى مدينة (أكسفورد) بانجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تتلوها مناقشة فى موضوعها فكان من المبهجرات انها قوبلت بالاستحسان العام إذن علماء أوروبا الرسميون أقرتوا ما فى هذه الخطبة بالاجماع . وهالك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبعظمة نبينا ﷺ وهامى ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين \* والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

( القرآن الكريم )

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره فى اللغة العربية (٤) أثره فى الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) وصفه

القرآن الكريم - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزل من حكيم جيد - . - الم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون \* والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم بوقنون \* أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون -

(٢) محتوياته

احتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان فى معاشه ومعاده - ما فرطنا فى الكتاب من شئ - ويمكن حصر ذلك فيما يأتى

(١) (العقائد) وهى مبينة فى الآيات التى توجب الإيمان بالله واحدا وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد \* الله الصمد \* لم يلد ولم يولد \* ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موضحة في الآيات التي توجب الصلاة والصوم والحج مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - (البقرة)  
وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون \* أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرا وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون - (البقرة)  
وقوله تعالى - والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين - (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة في الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - (آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)  
(٤) (الإنذار والنبشير) في الآيات التي ذكر فيها ما أعد للكافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)  
(٥) (الجدل والتحدى) في الآيات التي دعى فيها المخالفون إلى الإتيان بآيات ولومفريات فجزوا مثل قوله تعالى - وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين \* فإن لم تفعلوا وإن تفعلوا فأتوا بالنار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)  
وقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذي ورد في تاريخ الأنبياء والرسل وذى القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوتى معه والطير وأنا له الحديد أن يعمل سابغات وقدّر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير - (سبا)

وقوله تعالى - واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا \* فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا \* قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا \* قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا \* قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أعصيا \* قال كذلك قال ربك هو على هين وانجمله آية للناس ورجة منا وكان أمرا مقضيا \* فحملته فانتبذت به مكانا قصيا \* فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا \* فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا \* وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا \* فسلمى وأشرى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا \* فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد



لقد جئت شيئاً فريباً \* يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً \* فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً \* قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً \* وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً \* وبرّ ابوالدني ولم يجعلني جباراً شقياً \* والسلام علىّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً \* ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمتنون - (مريم)

(٧) (التشريع الاجتماعي) وهو في الآيات التي توجب الزكاة وإخراجها لمستحقها مثل قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم - (التوبة)

وقوله تعالى - يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وما نفعلوا من خير فإن الله به عليم - (البقرة)

(٨) (التشريع السياسي) وهو في الآيات التي توجب الطاعة لأولياء الأمور والوفاء بالعهود والمواثيق مثل قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً - (النساء)

وقوله تعالى - وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون - (النحل)

(٩) (التشريع الجنائي) وهو ما جاء في الآيات المبينة للحدود والقصاص مثل قوله تعالى - وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص - (المائدة)

(١٠) (التشريع المدني) وهو ما تكفلت به آيات الربا والميراث وما أوما إليها مثل قوله تعالى - وما آتيتكم من ربا ليروبو في أموال الناس فلا يروبو عند الله وما آتيتكم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون - (سورة الروم) وقوله تعالى - يحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم - (البقرة)

وقوله تعالى - يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليمًا حكيمًا \* وإنكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين \* وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس \* فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حكيم - (النساء)

(١١) (التشريع الحربي) وهو في الآيات التي تؤذن بالقتال وتشير بالسلم وتبين معاملة الأسرى وتوزيع الغنيمة مثل قوله تعالى - وأما تخافون من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين \* ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يججزون \* وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون \* وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم - (الأنفال)

(١٢) (المواعظ والارشاد) وهي في الآيات المشتملة على الأمثال والحكم مثل قوله تعالى - ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون \* ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يحق المكر السيء إلا بأهله - (فاطر)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (الذثر)

وقوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى \* وأن سعيه سوف يرى - (النجم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان قریش عظیم الأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للماخرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفصاحة وغير ذلك فأخذت قریش المستعذب من لهجات العرب حتى لطفت لهجتهم وجاد أسلوبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام . وكان طبعيا أن ينزل القرآن بلغة قریش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشي وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قریش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرروا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لو نزل القرآن بغير لغة قریش التي ألفها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن وكلام النبي ﷺ وكان ذلك مدعاة الى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهباً لا قول فيه فتنشق الكلمة

(٣) اختلفت لغة القرآن الكريم على وجهه يستطيع العرب أن يقرؤه بلحونهم مع بقاءه على فصاحته في الوضع التركيبي وتلك سياسة لغوية جمعت العرب على منطق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البين في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها وألفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمرا طويلا

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلاً كاملاً ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبوه مهما فرقت بينهم الأسباب المتباينة . وقد كانوا قبل ذلك تنوهم كل قبيلة منهم أنها أسلم فطرة في اللغة وأوضح مذهباً في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون اليه ولم يكن في طوق انسان أن يقيس قدرة أقوام وعجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا اذا كان بالعاجد الكمال ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بالسنتها . وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتواتر أداء القرآن الكريم حفظ لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافا قليلا أو كثيرا بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم . ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية)



والاسبانية والطلليانية وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد

(٤) ﴿ أثر القرآن في الأحوال الاجتماعية ﴾

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفارقة وتشتت الألفة واختلفت كلمتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأمم دارا وأجدبهم قرارا لا يأتون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعتمدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاء عظيم من جهل مطبق وبنات مؤودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم وانفتحت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته ألفتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهر ثابت وصاروا حكاما على العالمين وملوكا في أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يضيها فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجمل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا سلالة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتقدمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف وخير القرون قرنى ثم الذين يلوونهم

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية المقنونة وأحل محلها التعصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور وخلال الحد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب الفساد في الأرض لهذا كله انعقدت عليه قلوبهم وهم يجهدون في نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبغون في رفضها فكانوا يفترون منه في كل وجه ثم لا ينتهون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فغلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديمهم

ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير معجزة في أساليبها التي ألفت اليهم خلا من موعظه الذي هو فيه وكان سيده بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص ولنقضوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعلمهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأن من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأنسقنا كموه وما أنتم له بخازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن بومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولاواهم ولا شاعر وخطبهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في أمم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بري مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أوصناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفظ لشئ الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصبون نفوسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين

قد بلغوا في العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبة والتسك وصاروا أولى قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة وتجمل في فاقة وصبر في شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى وتخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجرُوا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدلهم الله العزيز مكان الدنْى والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فعجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق إلى تنمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الأمة العربية تضاع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعطيه مع ذلك محض ضمائرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بامعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات البينات تدل على أنه ليس هناك في الانسان من نقص إلا والقرآن كفيل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أحذق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه فحسب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حوّل طبائعهم وغيّر أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذي يهتدى به ولم تستطع الفلسفة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنشئ جيلا من الناس كالذي أخرجه القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وطهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والخضوع للحق ومماثل إلى ذلك من أممات الفضائل

( محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر )

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بدع أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل أمة آنا بعد آنا هاديا يرشدهم ويصلح حالهم فيدوم النور الذي جاء به زمانهم ينحسروا قليلا قليلا حتى إذا كاد ينطفئ أنقذ الله هذه الأمة برسول بعده يجدد لها الهداية وقد تواتر الدهور والأحقاب والأمم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - جاني بعض الأمم وخصها بمزايا لم يمنحها غيرها من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضى على ما خالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخلالا ودينا وأن تجعل من الانسان جسما واحدا فنّ الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لا يضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة إلى هذه المصاييح المحدودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقدموا المصطفى ﷺ تهذيب أفراد أئمة وجعلهم صالحين لتكوين أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين في أئمة فكانت حياته أسوة للخلق الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائزها وكات حياته العملية ﷺ ملأى بالمثل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بني الانسان جميعها ولذلك كان مثلا كاملا



للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بني إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورجة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٢) إن كانت العظمة تتحقق بإصلاح أمة قد وصلت الى غاية الانحلال الاجتماعي فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أنقذ الأمة العربية من هاوية الدمار وجعلها مصابيح الحضارة والعرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تآصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل الاسلام إخوانا متساندين - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كان مثل العرب في تفرقهم كمثل رمال بلادهم فلام الاسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق بإقامة ملك الله في الأرض فمن يطمح الى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذي ينكر على محمد أن أعداء وأصدقاءه أجمعوا على تسميته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتما لا قوة له ثم صار فاتحا عظيما أسس أعظم دولة لبثت تزد مكابد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يجارى محمدا في ارتفاع اسمه الذي تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الاخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

### ﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المربي الأول الذي يتعلم فيه الانسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما \* واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا - ولم يرخص في عصيانهما إلا اذا أراد أن يحمله على الاشرار بالله - وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذي بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الامور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بأولى الأمر الحكم فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير الى ذلك قوله ﷺ « كالكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته »

ومن هذا يتبين أن دين الاسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتث بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلّ تصفح الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتقى الانسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكون حدود المساواة قائمة في المجتمع الانساني لا تحصل فيها ثلثة ولا يطرأ عليها وهن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - \* وقد جاء في الحديث ﴿ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ﴾ والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا يمكن ان تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية . وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلق العظيم لجعل أكرم الناس المتساوين في الحالين الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجالا ولا ألقبهم فكرا ولأعظمهم علما ولاشياً من ذلك مما لا يصح أن يكون سبباً للتفاضل إلا في إدبار الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه - ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى - وقدر القرآن مظاهر التقوى إلى ( ثلاثة أشياء ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى - كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه العقل الصحيح حقا ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا إذا توافر استقلال الإدارة ( كذا ) وقوتها والمنكر هو ما ينكره العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحرية والإيمان بالله هو الاعتقاد بوجوده ووحدانيته ولا يتم ذلك إلا إذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا هو الإيمان الذي يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بثقة إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع التي تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالخبث والنفاق وإيثار العاجلة وما إليها فان هذه الصفات لا تتحقق مع صحة الإيمان بل هي أنواع من العبادة للقوى والمستبد وللشهوات والنزعات وما شابهها وذلك لا يتفق والإيمان الصحيح بالله . ما تدبر أحد القرآن إلا وجده يمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرية - وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذ الجليل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولو أن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأولئك العرب مكان القرآن ما أغنت عنه شياً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتما إلى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولا سبيل لظهورها غير العمل . ومنى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجماعة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل الأمة والأمة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع

والتأمل في القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظاته ترمى إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالنصار والمغول وغيرهم ممن اشتدوا عليه ليخزلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والفضب له . ليس للقرآن طرائق للدعوة إليه إلا الأسوة - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة والقُدوة مظهر آدابه ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وان لم ينتحلوها ويعملوا لها وما استحث أحدنا بالعطايا لأنه الدين الطبيعي للإنسان تأخذ فيه النفس عن النفس بلا وساطة ولا حيلة في الوساطة . وما أفصح ماورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ ( فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل )

### ( أثره في الحال العلمية )

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية وأن النهضة الاسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيتها وهي التي أوسعت المجال للعقل يبحث وينظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمي في أوروبا . انفراد القرآن بأنه هو الذي حرر العقول البشرية من أصفاد الجود والرق وحفز النفوس البشرية وساقها إلى قراءة صحف الكائنات وتدبر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذي ساق النفوس إلى تقصى غوامض الكائنات والتنقيب عن دقائقها وبين لهم أنهم لم يؤمنوا من العلم إلا قليلا - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - ثم دهم على



مواطن التفكير والبحث وبين للناس بضرب الأمثال فيم يفكرون فقال جل شأنه - ومن كل شيء خلقنا زوجين - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شيء حي - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - كل في فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا \* والجبال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذي أعاد العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولا مشادة فقد كرم العلم ونوه بالعقل وذم الذين يعطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم إذ يقول في شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون - إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون - ولاتقف مالميس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزلمكموها وأتم لها كارهون - نحن أعلم بما يقولون ومأنت عليهم بجبار \* فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه في الدين - إنما أنت مذكر \* لست عليهم بمسيطر - . القرآن هو الباب الذي خرج منه العقل الانساني الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب \* الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - وفي خلقكم ومايث من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - ومامن دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه إلا أوم أمثالكم -

كانت هذه الآيات وأشباهاها سببا في اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى مافيه صلاحه . القرآن هو الذي أوجد العدد الجم من أعظم المؤلفين في العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلكية وغيرها . ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم فمنهم قوم عنوا بضبط لهجاته وتحريك كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالمعرب والمبني وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو . وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقائدية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو مجمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الاصول وتلمست طائفة مافيه من قصص القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص . وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات المواريث . ونظر قوم الى مافيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذي نزل في البداية على أمي وقوم أميين لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذاهبهم لاتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى عمر السنين أخرجوا من كل علم فرعا حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه في الحضارة الاسلامية التي أنتجت الحضارة الحديثة

كفاك بالعلم في الأُمِّيَّة معجزة \* في الجاهلية والتأديب في اليتيم  
لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض  
غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما -  
مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفتقت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي  
أن تميد بكم - مما يدل كما أثبتته العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببحارها واضطربت بأمواجها ولما  
طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهاجا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس  
جسم مشتعل تبت النور والنار من ذاتها وترسلها إلى سياراتها المرتبطة بها  
وقوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا  
تنفذون إلا بسلطان - مما يشير إلى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان  
وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب  
والدهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الإنساني لغير العقول ينبه  
بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم  
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - فلو محصت جميع العلوم الإنسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في  
الآفاق وفي أنفسهم - . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت  
الإشارات التي انبثت في ثنيات القرآن - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اه  
هذه هي الخطبة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به  
أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه ﷺ أعظم العالم . انتهى  
الموضوع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسيوية الفرنسية) من اعظام هذا الدين واقرار هؤلاء العلماء  
بأنه دين الفطرة بمناسبة تقریظ هكتاني (نظام العالم والأُم) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبولاً للنعمة الله وقياماً  
ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقریظ الذي سأكتبه هنا  
انما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي تفسير للقرآن وانما هو كتاب (نظام العالم  
والأُم) وهو عبارة عن ملخص للعلوم العصرية ممزوج ببعض الآيات القرآنية فاتي من هؤلاء العلماء الآتية أسماؤهم  
اعظاما واجلالا للقرآن وتقریظا للكتاب . أفلا أجد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقني هو لهذا التفسير فلا ثبت  
مقاتلهم هنا تفسيراً لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا التبيين في خطبة صديقي (جادمولى بك) واجاع  
علماء أوروبا الرسميين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في كتابي (نظام العالم والأُم) كلاهما  
مصدق لقوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهاك نص هذه المقالة  
(تقریظ كتاب نظام العالم والأُم)

( الجمعية الاسيوية الفرنسية والشيخ طنطاوى جوهرى والاسلام )

دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأُم) فلذلك نشرت  
الجمعية المذكورة التي تدار بجمع من خول الدكائرة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتى أسماؤهم  
(١) المسيو باربيه منار (٢) اوبارت (٣) روباسى (٤) شاقابه (٥) كليرمون چانو (٦) هاتقى  
(٧) هيبارت (٨) ماسيرو (٩) رينس ريفا (١٠) سيتار بمجلتها التي صدرت في شهرى يناير وفبراير  
سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية الذبول تحت العنوان الآتى



( الشيخ طنطاوى جوهري أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والأمة )  
 ( أو الحكمة الإسلامية العليا (المجلد الأول) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م )  
 إن كتاب ( نظام العالم والأمة ) الذى ظهر المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألفت للنشأة الحديثة  
 الإسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على ( نظريتين اثنتين \* أولاهما ) أن الدين الإسلامى دين الفطرة أى  
 ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية ( ثانيتهما ) أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق  
 الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناطمة لعقده  
 ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه ( الزهرة ) وأبان فيه  
 أغراض الكتاب بجزأيه وهى ( تسعة مباحث ) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى  
 تشمل الفائدة من لم يتسع له الزمن لدراسة الكتاب ونبئنى الآن بإيراد ما فى الكتاب من المباحث باختصار  
 فنقول ان مباحثه ( تسعة \* الأول ) ان الانسان مسوق بغيرته للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل  
 الحبيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد  
 وابطالها الى أبعد غاية بل الى ما لا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك  
 على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها  
 على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلائق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله ( الثانى )  
 بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة ( الثالث ) درس علم الطبيعة مع ايضاح قوانين ( نيوتن ) و ( كبلر )  
 ( الرابع ) مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات ( الخامس ) مبحث مسهب  
 فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب ( داروين ) من علماء الافرنج فى  
 ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا فى ايضاح ما يسميه ( داروين )  
 بقاء الأصلح والأوفق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن  
 بعض بنسبة عجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب ( داروين ) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان  
 وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا ( المادّة الأثيرية . العناصر . المعدن  
 النبات . الحيوان . الانسان . الملك ) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفيل  
 والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه ( داروين ) ويقول المؤلف ان مذهب ( داروين )  
 محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وأن ( داروين ) ربط ما بين  
 الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور ( داروين ) عن العرب من ( وجهين \* الأول )  
 ضعف الرابطة ( الثانى ) قصور البحث على قوس من الدائرة ( السادس ) علم التشريح أى تشريح الجسم  
 الانسانى ( السابع ) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكانها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان ( الثامن )  
 الوحدة العامة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأمة منطبق تمام الانطباق  
 على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء قدماء الفلاسفة كفيثاغورس  
 والعلامة الفيلسوف الفارابى ( التاسع ) فى العمران الإسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون  
 التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتحصيل لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين  
 وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة  
 وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لدراسة أحوال الأمم شرقية  
 وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى ( الوحدة العامة ) عجيبة بفتنة وحكمة وذكاء عجيبة  
 ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملائمة كل الملائمة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والدورة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقه الوحدة العامة . وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لا تندهى فهكذا نشأت الأنواع التي لا تنتهى من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ وما يليها) ولا جرم أن هذه منطبقة تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد أنحى المؤلف على جلة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورماهم بجهل مقصود القرآن وخواء لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينجي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنو غمهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجبا عجبا فيه وأمرأ مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للواء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معلومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها خيبت باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فن مهارة المؤلف المدهشة لمقارنته لهذا بالتحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به وبالجملة فإن المؤلف بتفسيره العجيب الدال على حكمة عالية وعلم غزير واقتدار تام لآيات القرآن يثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الانم لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكد في (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يظنون تناقيا القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأمرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم غنى المؤلف أن تفرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلالجام يكبحها ولا زاجر يردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الأمة بالآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويدوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا تدوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمة لا دوام لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبني على العلم والحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تفرق حسنا وتقيه عجبا تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة . وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤلفي الانكليز مثل (أفبري) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجع زبدة آراء



جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جيلة دقيقة كما وصفناها واتبع الفائدة أينما وجدها الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية فى الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية . فهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ويحاول إزالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجود الخيم عليها فى جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى نحلة ببلاد الشرق لأن بحثه عام فى الكائنات ونداءه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية فى المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت المجلة من تقريرها كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ كتبت كلمة عن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ ترجنا منها ما يأتى

هذا المؤلف أهدى الى (الميكادو) ليقتد الى مؤتمر الأديان الذى انعقد فى سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن حالة المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ فى كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتابين يرميان لغرض واحد وأن كتاب ﴿ التاج المرصع ﴾ كمنهم ﴿ لنظام العالم والأمم ﴾ وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغات الاوروبوية فى حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره فى فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . ان القارئ لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الغرض والتعصب فانه يجدها منطبقة تمام الانطباق على الدين الاسلامى . انتهى التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والمرحوم صالح بك جدى حماد

﴿ أنواع تبين القرآن فى الارشاد خاصة ﴾

اعلم أن ما تقدم من الخطبة التى ألقيت فى جماعة المستشرقين وما ذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية انما ذلك فى التبيين العام ، أما التبيين فى الارشاد خاصة فانه على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ تبين هو موعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى فى (سورة النحل) - ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها الدكى أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام فى القرآن وفى حديث رسول الله ﷺ كما ورد ﴿ أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ﴾ فاذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأنزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - . أما الموعظة الحسنة فمثل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمته من حيث قدرته فى قوله - له ما فى السموات وما فى الأرض - الخ وعظمته من حيث علمه فى قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تكفى للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فمثل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم فى ربه - فإن ملخصها محاجة إبراهيم عليه السلام للتمروذ ببابل ولما كان الجدل يجب أن يكون فى موضوع يقربه الخصم اذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الكواكب ذكر له إبراهيم عليه السلام سيرة الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إماتة وإحياء فماذا تفعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلتأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذي كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لالزام الخصم . وقد قال العلماء انها لا تكون إلا مع المعاندين وهم ليسوا في الدرجة العليا من التفكير ولم يبقوا مع العامة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحجة تقام لهم فاعجب كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا - وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب آفلا والقمر آفلا والشمس آفلة فقال أنا لا أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون والمنتقل حادث فكيف أحب من يغيب عني والله لا يصح أن يغيب عني لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك ممسكا لها يدبجها وبشيتها لم يكن لنا وجود - كل شيء هائل إلا وجهه - فكيف أحب ما حركته وانتقاله دالان على أن وراءه من له الحكمة والجمال والعلم والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأي قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى أوسع مع الدوام في ذلك كله إلا في الله . لذلك وجهت وجهي اليه ولذلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - فهذه الحجة المذكورة في الأنعام هي المعبر عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في محاجة النمرود ذلك فلاذكر انها حجة ولا قال بعدها - نرفع درجات من نشاء - بل قال - فهت الذي كفر - وهذه من أعجب وأبدع ما جاء في القرآن من اللطائف وانما لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادي القائل في هذه السورة - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - فلنسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التي لا تعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتي لم تظهر ثمرتها إلا في زماننا اظهارا للمعجزات القرآن الحكيم وقد كانت مجملة غير مفصلة في الأزمان الغابرة ما جاء في (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسي بوضع آيات إذ يقول الله في ثانيا الكلام على الانفاق والتحريض عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم \* يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاعجب للقرآن الذي يبين للناس أمورا دقيقة مثل هذه المسألة . ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجلى بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذي أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت الى أقصى ما يصل اليه الامكان وبأن الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانساني يكون كله متعاوناً وأن التتصير في هذا ضار بالمجموع . إذن انفاق المال للفقراء الوارد في شريعتنا الغراء جزء من المساعدة العامة للانسانية فالشرقي والغربي بظهور آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصبحون في سعادة لم يحلم بها الأولون وهناك يظهر سر قولته تعالى - حتى تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رجة للعالمين وأي رجة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل المال للمنافع العامة ثم يدخل في غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة لا يتذكرها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجل شيء يبتغى ولماذا يذكرها الله عند التحريض على الانفاق ولم يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كما صنع في آية الانفاق ولم يقل ان الحكمة خير كثير ولم يمدح أولى الألباب بعدها . فلعمرك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الانفاق من المساعدة العامة والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منا منفعة العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادتنا أيضا . فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع



الخاص . وملخص هذا أن الناس ﴿ قسمان ﴾ قسم لا يحب الانفسه فيسعى لها وهو لا يبالي بالمجموع وقسم يسعى للمجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعاليمه شيطانية والثاني تعاليمه حكمية والاسلام جاء للحكمة العامة لا للخاصة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أمم لا تعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قنعوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهواتهم وسخروا الأمم لها فقال الله لهم كفوا أيها المسلمون ودعوا حكم عبادي وسأُنشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الامم باورو باوقد قدمت لك أن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بمصر ذكرتها عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الى قوله - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون \* فقطعوا أمرهم بينهم زبرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنين) . فهاهوذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة المذكورة في (سورة النحل) الداخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات مبينات - . فهذا هو التبيين في القرآن ، ففي القرآن تبيين ولكن الله أذخر كثيرا منه لأمم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العامة حتى انهم اذا حاربوا أهل الكفر وقاتلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العامة فقتل صناديد قريش في واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والنار والشمس نافعات للعموم ضارّات للقليل كإغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد وإحراق عجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يقدح في اسعاد المجموع . ومن عجب أن (بنجام) الانجليزى مؤلف ﴿ أصول القوانين ﴾ قد نحى نحو هذا فجعل القوانين مبنية على أن العموم مقدم على الخصوص وأن قتل القاتل وان أذى أهله فقد سرّ الناس كلهم والمسرّة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصدت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أعم غرق السفينة لتبقى في يد أصحابها الأيتام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أعم لذويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام المجاعة بالسرقه في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كما هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبه مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العامة وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذي فتح الله به قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفي نفس صلاة الصبح عند قراءتي في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض خنيقا وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية من قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - وماؤاهم النار ولبنس المصير - ﴾ قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأئمة وأقسام (لنستخلفنهم في الأرض) أي يجعلناهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم (كما استخاف الذين من قبلهم) مثل بني اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بني اسرائيل أرض الجبارة وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبذلهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمننا) منهم ثم استأنف لبيان مقتضى الاستخلاف فقال (يعبدوني لا يشركون بي شيئا) الجملة حاك من الواو في يعبدوني أي يعبدوني غير مشركين (ومن كفر) أي كفر هذه

الذمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك الذمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (اعلمكم ترجون) أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لأتحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض) أي لأتحسبن يا محمد الكفار معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الأرض متعلق بمعجزين (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المأوى الذي يصبرون اليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الخ ﴾

قيل ان النبي ﷺ مكث بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أمروا بالهجرة الى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأنزل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أماناً وبسطاً في الأرض \* روى البخاري عن عدي بن حاتم « قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة فلترين الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لاتخاف أحداً إلا الله قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أوفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجان يترجم له فليقولن ألم أبعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول ألم أعطك مالا وأفضل عليك فيقول بلى يارب فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم قال عدي سمعت رسول الله ﷺ يقول انقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهباً الخ \* وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدى ثلاثون ثم تكون ملكاً ثم قال أمسك ﴾ ولقد كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إثنى تسعاً وعشرين سنة وستة أشهر وكانت ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهي ستة أشهر ثم نزل عنها معاوية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ان أول من كفر بهذه الذمة وحجدها ولم يقم بواجبها أي بواجب نعمة النصر والتمكين في الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون بعد أن كانوا اخواناً

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجالون . لأذكر لك ما كتبت في كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتي

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المؤمنون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل جهلت العلوم



الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فنبذهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الاوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهداهم ويرتوون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلاً على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهات الحقائق وظنت أن المسلم لا يعنيه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسموات وبرأ فيهما من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذراً من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقاته فضر بهم الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ الذليل وخضع العظيم وعظم الحقير - قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

كنّا الجهابذة الكبار \* كم قائد سلك القفار

وبجيشنا قطع البحار \* وطغى على أعدانا

إنا ملكنّا المشرقين \* إنا ملكنّا المغربين

إنا قرأنا الحكمتين \* العلم والإيمان \*

ألستم أتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حذركم وتبنوا مجدكم وترفعوا رؤسكم وتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنعم به من صناعة

( فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها )

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأتمم الخطابون به . فبالله عليكم يا معاشر المسلمين في أقطار الأرض أنتم اليوم أكثر عدداً وأعظم مدداً فإذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أنا مسلمون وقد تخطانا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبديلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده قال تعالى - ومن أوفى بعهده من الله -

يعجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٣٥٠ مليوناً من بني آدم يعجبون ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على رقابنا والذل محيط بنا وأمم الفرنجة يطاردوننا

( فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم )

أقول على رسلكم يا معاشر المسلمين لا تظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ما تعملون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيما بينكم وعجميكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما ذرأ الله في السموات والأرض من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السموات من كوكب وما بث في الأرض من دابة ونبات . ودليلي على ذلك قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - بهذا أنذركم الله إذ قال - وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - فكأنه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناضرة في ملكوت السموات والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلمة كل صناعة وحرفة حتى لا يفوتها صنعة من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطبيب والبيطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا فقها وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد عثت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا وانحططنا فلذلك جاء القرآن موبخاً ومنكراً على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من الصناعات وما أنشأت من المصانع وما أحكمت من بناء وما عممت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما أنظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سيرت في الجؤ من طيارات ومناطيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسبروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان المسلمون كثيراً ما يسيحون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم بخفي حنين ثم هم لا يندرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جماعات منهم تتعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فإنها لاتعنى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

أيها المسلمون . انه لينقصكم (أمران) الاتحاد والعلوم فإذا اتصفتم بهما تم وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتمكين في الأرض وأن يبدل خوفكم أمناً في الآية المتقدمة . وهذا إذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

(ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم)

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا في طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الابل والبغال والخيول والحيل وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسن آباءهم ويتغنون بحداثتهم ويتغنون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضى أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - فالله عز وجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الابل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقلون مفكرون

(معنى الجهاد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم \* تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون \* يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم \* وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجي من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فأنا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . ان الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يخص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العامة فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقة والمدفع إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المحاذي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق وتزرع الأرض وتسمدها وترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج ما فيها والحداد والمصانع للمدافع والقطار والنجار المكمل لكل منها - ما والجبار الخايز لهما



والمجندى . من ظن أن هؤلاء أقل أجرا في الآخرة من الجندى الذى أحضرت له أعمال هؤلاء وهو فى معصية القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

إن النبى ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلك يأمعشر المسلمين دليلا على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العدو وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسباحة فى الأرض وبتترك الشر وتهذيب النفس . فاللهذب لنفسه مجاهد والمحكم لصنعة مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ما شاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد ما معناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذى يزرع العلم والبركة فى نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هائنا ذا قد بينت معنى الجهاد والايمان واضح من نفسه . ولا جرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التى منها العدد الحربية والآلات الصناعية والحدع الحربية والسياسات المدنية فان الله ضامن لهم النصر . هذه سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا . وليس النصر مضمونا لنا ونحن غافلون . ان الله أمرنا بالنظر والتعقل والتفكير . أوليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم يصلون صلاة الخوف فى الحرب - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلا واحدة - فإذا كان الله يقول لنا ونحن فى الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فان الكفار ربما مالوا عليكم ميلا واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التى تناظر ما عند العدو التى صرح بها فى قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت فى هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة . ايضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾  
ليجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين فى الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر المعمورة قديما وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس فى القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضا بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم فى بلاد الاسلام . ولعلك تقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النعمة هى السبب فى الجهل العام فى الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألا ترى كيف قال المفسرون رحمهم الله تعالى ان أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأوا فى هذا العصر اقاوا قد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قد تركوا الملك الذى أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا الملك أى لم يحفظوا النعمة أى تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فيا عجبا للمسلم . أياظن أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويبقيها فى يده . كلا . إن الله قيوم أى قائم بتسيير الملك فمن لم يكن متخلقا بخلقه خلعه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - سيقول جهول من الذين ينتمون للاسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علماؤنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القبيل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها آثمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آثمون بترك العلوم والصناعات وهذا الاثم قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلالنا

وهذا عذاب مجمل وسنكون جميعا في الآخرة ملومين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سمي الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فالسالمون اليوم متمتعون بنعمة الإيمان الساذج ولبسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عز وجل حكيم لا يعطى الشيء إلا المستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجزأتان) فصدرها اصدر الاسلام وعجزها للأثم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابة هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقد تم ذلك كما تقدم وبقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يعرضان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعل المستقبل كفيل به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك النقود كما يقول (الباشفية) وأصبح التعامل بالمبادلة فان النقود إذن لازوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تذبذبت الشرق) وتعاملوا بالسوية وألغوا النقود كدولة البلشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذلا فائدة للذهب ولا للفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكفيه . انتهى الكلام على الجوهرة الثانية

﴿ الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم -

الى قوله تعالى - كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون - ﴾

روى عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدحج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية

وروى أيضا أن أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأنت رسول الله ﷺ فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها فأنزل الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء

والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب \* وقيل يسق أن يستأذنوا لأجل الدخول في ﴿ ثلاث أحوال ﴾ وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم

للقبولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بذياب النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يختل تستره فيها . ومعنى العورة الخلل

ومنها الأعور المختل العين وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم) وهذا القول رجوع لتتميم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الاهيات ما يشرح الصدور وبوجب الاذعان ويفتح

الأذهان والذين ملكت إيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار الذين ظهوروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلوغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة

سنة فقد بلغ عند الشافعي ولا يرى أبو حنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف ومحمد وأحد فقد وافقوا الشافعي في أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى

بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات هي (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هي (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يختل تستركم فيها (إيس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن)

بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا تظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم (طوافون عليكم) هذا مستأنف لتبيان العذر المرخص في ترك

الاستئذان وهذا التعليل يبين أن الأحكام تعال (بعضكم) طائف (على بعض) أي يطوف بعضكم على بعض (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما

يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وان تهاون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون



الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية . ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكُم الحلم) أى الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) فى جميع الأوقات فى الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أى الأحرار الكبار (كذلك يبين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكيم) بما دبر وشرع وهذا يوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (والقواعد من النساء) أى اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أى لا يطمعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقذروهن . فأما من كانت فيها بقية جال فهي محل الشهوة فلا تدخل فى هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أى الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذى فوق الخمار حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أى غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والساق أى لا يقصدن بوضعها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستغفن) أى يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خير لهن والله سميع) لما يعلق (عليم) بما يقصدن \* قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا خرجوا الى الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمريض والأعرج وعند أقاربهم وبأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرّجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير ما تقدم فانه لما نزل قوله تعالى - ولأنأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولا على أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أى لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت لقوله ﷺ (أنت ومالك لأبيك) وقوله ﷺ أيضا (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملكتكم مفتحكم) عنى بذلك وكيل الرجل وقيمته فى ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل بيوت الممالك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صديقكم) أى أو بيوت صديقكم وهو الذى صدقك فى المودة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا انما يكون اذا علم رضا صاحب البيت بأذن أو قرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر فى الحقيقة الى الرضا واذن لا فرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالدار على الرضا ولم يذكروا فى الآية إلا لأن الرضا فيهم غالبا محقق . والخفية لما رأوا ما جاء فى هذه الآية حكموا بأن لا قطع فى سرقة مال المحرم . هذا ولقد كان بنو ليث بن عمرو من كنانة يتحرّجون أن يأكل الرجل وحده فر بما قعد منتظرا نهارة الى الليل فان لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا ان قوما من الأنصار اذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تحرّج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزاة والنهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أى ليسم بعضكم على بعض . هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته \* قال قتادة \* اذا دخلت بيتك فسلم على أهالك فهم أحق من سلمت عليه واذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورجة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة تردّ عليه \* وقال ابن عباس \* اذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورجة الله وبركاته \* وعن ابن عباس فى قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . ويصح أن يقال من عند الله متعلق بتحية  
التي هي منصوبة باسمها مصدر بمعنى التسليم والتحية في معنى طلب الحياة وهي من عند الله تعالى وقوله  
(مباركة) أى ترجى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يطيب بها قلب المستمع \* وعن أنس رضى  
الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ متى لقيت أحدا من أمتي فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم  
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأواين ﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات)  
كرره لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلكم تعقلون) الحق والخير في الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة  
﴿ الجوهرة الرابعة - إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه

على أمر جامع - الى آخر السورة ﴾

كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج  
حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله  
تعالى (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا صادقا (وإذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد  
والحروب والمشاورة في الأمور . وإنما ودف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لأنه هو الجامع للبالغة (لم  
يذهبوا حتى يستأذنوه) أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما  
أكده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالمستأذن مؤمن لا محالة والذاهب  
بغير إذن إذا استحلت ذلك كان كافرا (فإذا استأذنتكم لبعض شأنهم) أى ما يعرض لهم من المهام (فأذن  
لن شئت منهم) فوض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فأذن يكون بعض الأحكام موقوفا الى رأى رسول  
الله ﷺ وبعضهم يقول - فأذن لمن شئت منهم - إذا وثقت بصدقه في العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم  
ومقدمهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يتفرقون عنهم إلا بأذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون  
الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد وأذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم وكذلك كل  
أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالأذن . وإذا استأذن الامام إن شاء أذن  
وان شاء لم يأذن وهذا كله إذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلا حاجة الى الاستئذان ثم قال  
تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولولعذر قصور (إن الله غفور) لفرطات العباد (رحيم)  
بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى  
بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يانبي الله أو يا رسول الله مع التوقير  
والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضا لا يجوز الاعراض عند دعائه لكم ولا المساهلة في الاجابة ولا الرجوع بغير  
إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى  
يتسللون قليلا قليلا من الجماعة (لو اذا) ملاوذة بأن يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج فيروغ أحدكم في خفية  
فيذهب \* وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة  
واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار (فليحذر الذين  
يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنة) أى لئلا تصيبهم  
فتنة أى بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع في الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر في هذه الآيات  
أنه يعلم الذين يتسللون لو اذا وذكر العلم هنا ايدان بالمجازاة على ما يفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف  
لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أتم عليه) من الايمان والنفاق  
والاخلاص وضده (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل  
شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثالث من السورة



## ( خاتمة )

هذه هي (سورة النور) ولقد تبدى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظروا اليها الذكى كيف ذكر الله في هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملاءمة أخلاق الطيبين للطيبات والخبيثات للخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للمحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للإنسان . ولا جرم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فإن الملاعة وحد الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضى الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل في خلالها ما ليس منها وفاجأ القارى بقوله - الله نور السموات والأرض - وبين كيف يكون الكافرون وأعمالهم كظلمات البحار المائجت فوق موجهن سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف اختلف الحيوان في عدد أرجله وفي سيره فوق الأرض أو طيرانه في الجو . أما الذى لا بصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وإنما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حال الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خص هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغي أن تكون هي المقصد الأسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هي المقصد الأسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى فى القرآن إلا مهنذبات لنفوس الناس حتى يعتدلوا في شهواتهم ويقفوا فيها عند حد خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولا يتركوا أبصارهم ترتع في شهواتها وتنظر لكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكلما زادت الفتائل فيها وانقادت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب نفادها . وكلما قلت السرج المتقدمة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا في طغيان شهواتهم وزادوا في غلوها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا ألسنتهم العنان ولعيونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضيع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكاً لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليغضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجسيمة فتتحول القوة العاقلة الى صور مضمحلة فيقل الإدراك ويذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لنزول الوحشة ويدوم الأنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبيدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع وليقوم الناس بما أعادوا له من النسل واكثره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفي أثناء ذلك قال الله تعالى إياكم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر في جمالى وحسن صنعى فان ما ذكر في هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك إنما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ماهى إلا مقدمات لما هو أعلى (وبعبارة أجلى) ان هذه آداب والآداب مقدمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس ولاصفاء للنفوس والعقل مضطرب بالجدال والخصام ونفور الجيران وشقاء النظرات وتفرق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أنزلت عليكم مابه تهدأ الخواطر وتفرق النواظر ويستتب الامن فما أحرأكم أن تنظروا فيما زوّقت وأبدعت وزينت ورقشت ونقشت فذلك هو المقصود وما سواه فانما هو تمهيد ومقدمات والمقدمات غير المقاصد إياكم أيها الناس ان تظنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم إنما أنزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل في خلياتها والزناير في بيوتها والغربان في أعشاشها وطيور الكراكي

في أسرارها والآساد في آجامها والحر الحبشية في جبالها ولم أدر صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تبني لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس أنكم بمعرفة هذه الآداب قد زدت من هذه الحيوانات فإنكم واهمون فوعزتي وجلالي لن تفوقوها كمالا ولن تعلوها علما إلا بنظركم في جالي وإطلاعكم على بهائي وكالي

إني أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويري لهما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات بينتها . فاتخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعيما واقروا وجود الكائنات وسطور المخلوقات وافهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة تضيء لكم مشكلات الدجانات فتعرفوا أنوارى في ملكوتي فلا القضايا ولا اليبينات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وإنما هذه آداب أوجبت أن تكون لتتفرغوا لمعرفة آياتي في خليقتي . ومن ظن أن المقدمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشري أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصلوا إلى ما وصل إليه الحيوان في حسن نظامه فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الإنسان عليه واجب عظيم هو النظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم إلى جوق من النور بهيج . إني اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرقي يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذي جعلته متمما لظلمات البحار في دجانات الحياة . السحاب الذي زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلمع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم المملوءة بالأخطار المدلهمة في البر والبحر . إني لقادر أن أجعل النور يلمع من خلالها كما يلمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المنزلية والشهوات البهيمية والقضايا في المحاكم الإسلامية عن إطلاعكم على جالي وحسن صنعتي وجمال أعمالي الباهرات في هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فلم لا تشرق أفئدتكم بنور المعرفة في وسط هذه الظلمات الانسانية والحدود الشرعية والقضايا الإسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أجزتم التأليف في الملاعة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم أجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطير صافات في جوف السماء . فلماذا أيها الفقهاء أجزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر في معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطير الخ . أليس هذا كلام الله . أليس العلم بهذه المعجائب واجبا على كل مسلم إذا كان قادرا لازدياد الإيمان وللشكر كما أوضحه الامام الغزالي وذكرته في (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجبال الالهية غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء في محل الغذاء والغذاء في محل الدواء

أما أن للمسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه . أما أن لأمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذي نهجوه . أما أن لهم أن يكفوا عن الجود ويوقفوا الأطفال على عجائب ما صنع الله في الأرض والسماء . أما أن لهم أن يقفوا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها في جوف السماء الصافي . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبوؤا منازلهم بين الأمم وينالوا مكائدهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون -

### (الجمال والنور في سورة النور)

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في اظهار الحقائق العلمية والبديع الحكيمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وأنه من نطفة فعلة فصفحة الحج . ذلك جاء في سورة الحج وفي المؤمنون . فأما في سورة



النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه ﴿وبيناه﴾ أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا في الهواء والضياء الأرض تحته والهواء يحيط به والضياء فوقه فكان من الحكمة أن لا يخالو عالم من هذه العوالم من فائدة له . فن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شرابه وطهوره وبالهواء تطهير دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون الحمرة بما يخاطه من مادة الاكسوجين التي يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فمن اللسان حركات في الهواء وبالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يذر عالما مما أحاط به إلا انتهز الفرصة للانتفاع به فلا أرض ولا ماء ولا هواء ولا ضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان ولا الحيوان . فترى الفم للغذاء والماء فهو إذن معد لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركاته بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جيل ومن أعظم انعامك علينا أنك أريتنا هذه العجائب التي يجهلها أولايقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء والهواء والكواكب . فترقت هذه العوالم على أعضاء حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للابصار في العين كما أن الهواء معد لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه ما جاء في (سورة الحج) من خلقه من نقطة فعلاقة الخ وما جاء في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين هو الذي خلق الانسان على هذا النمط بحيث يجعله مستفيدا من كل ما حوله من العناصر والمركبات . ولقد كان من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يعبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحس به ويعلمه ويزاوله ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الابصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها وكان له أداة للتناسل وهي العورة في الذكران والاناث . إن أكثر الآثام في نوع الانسان يحدثها اللسان بالشم والذم واذاعة الفاحشة والتعير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . ومما يعين عليه ويدعوله طموح العين لما تراه من محاسن النساء . فكأن الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب والقمر ولتتناولوا ما يصلح لأغذيتكم واقامة بنيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم أحرّمكم منها كما حرمت الدود الذي ألزمت أن يقنع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجهله وسيلة للذم والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكملتها وجعلتها صالحة لاجداث ذرية تبقى بعدكم حفظا لذكركم وعمرا لنا لأرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فإياكم والزنا بل إياكم وكثرة تعاطي هذه الشهوات بانباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروا على هذه الشهوة الضئيلة . انما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتدرکوا جمالى وبهائى ومحاسن أرضى وسماوى فغضوا الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلائل اللاتي يلدن منكم الذرية . أى عبادى أنتم ﴿فريقان﴾ فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أنى نور السموات والأرض فبهروهم الجلال والبهاء في مشرقات الدجى والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين والعقول والآذان فظنوا انى أطلقتمهم في أرضى كما أطلق الدواب فعكفوا على جنى الذات التي لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال الثمار والأزهار والأشجار والأنهار لم تحدثهم نفوسهم بأكثر مما يعرفه الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم سائحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية العذاب الجائمين في جبلتهم فضر بهم بمقامع الشهوات والعادات الحديدية فارتدوا على أدبارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بنحفي حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وألسنتهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأصحاب الإفك الذين ذموا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أي عبادي أنا كافتكم بالصلاة وفي الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمي فتعنى تحيط بكم في الأرض وفي السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وباطنة في قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جبال ونور . ترون في السماء بهجة النجوم وفي الجوقوس قزح وفي الأرض أنواع الجبال في كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور في نوع الإنسان لأجل التناسل لحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتقر بعد الوقوع وعند الفتور تذهب شهوة اللذة بجمال الوجوه . إني نصبت ذلكم الفتور (الذي يعتورك بعد فراغكم من تلك اللذة) علما ليهديكم إلى المقصد الأعلى من جبال الوجوه الانسانية والجبال في العوالم العلوية والسفلية . إن بواهر الجبال في تلك العوالم داعيات تحشكم أن هلموا إلىّ وأقبلوا علىّ . هذا ماتقوله الشمس عند اشراقها والقمر عند بزوغه والنجم عند طلوعه والنهر وهو يجري والطير وهو يطير . كل أولئك يا عبادي يدعونكم إلى العروج إلى العلا . ولن ينال هذه المنقبة منكم إلا أناس أدركوا مقاصدنا في حواسهم وغاية ما خلقت له فخصن لم نخلق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عجمت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والحقول وأزهارها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد في صلواتكم لتذكروا ولتعلموا أنكم إن لم تنزهوا اللسان عن النطق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرم فلا سبيل إلى أن تعرفوا وتفقهوا في نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لا تحمرونها فإذا أخذتم تحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلكم الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا إذا ظلمتم تفكّهون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر في صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . ومنى ضعفت القوة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجبال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا في الصلاة في الجلوس بين السجدين ﴿رب اغفر لي وارحمني﴾ والمغفرة التامة إنما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحساب إبقاء لصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلفين بأخلاق في فأنا منزّه عن الحوادث وأنتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تتوافر الأسباب لأدراك ما يحيط بكم من النور والجبال . أنا لم أحرم عليكم النظر إلى المحرمات حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أمنعكم من مقارفة الشهوات بخلا عليكم بخزائن ملكي . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائز وأودعت في غرائزه أن لا يكون الوقاع إلا للولد ولم أجعل ذلكم في غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقكم في الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذاتنا وأطلق الحيوان يتمتع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بغريزته ولولا ذلك المنع لمات وضعف وهلك بكثرة الوقاع . ذلكم حاصل في بعض الحيوان في البرية . فأنا حرمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف في جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التي لا تستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأعلى الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات في (سورة النور) فاني أحفظ له عقله وجميع قواه وأجعلها ذخيرة له في هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكيّ الفؤاد قويّ الذاكرة . إن في افلات ما أخزنه في عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى ويضرها وحفظها أشبه بحفظ الماء في الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان



الانسان مسؤولا عن عقله كما انه مسؤول عن أهله وعما يملكه من المال وما يملكه من الولد وعما يدبره من الممالك بل ذخيرة الانسان المكنونة في نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تتسرب الى الخارج بلا ضبط يضبطها ولا حافظ يحفظها تركته ملوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجلال فاذا أهملها بقي مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصفة فيرى بعيني رأسه أناسا مثله قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعنى والانكماش في الجد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غنا وسكوته فكرا فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة تامة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أي عبادي المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعتها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجلال وهو من نوري الذي انبعث مني في السموات والأرض فإياكم أن تعطوه أو تشغلوا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأنتم عنه مسؤولون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور الواردة عليكم بنور المشرقة عليكم فاذا شغلتموه فيما يضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لتغير فائدة أوفيا لفائدة فيه حرمت النظر الى بهجة جمالي في سمواتي وأرضي فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسر المائدة الدنيا وهي الحيوانية والمائدة العليا وهي اللذة الملكية بالنظر الى جمالي فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالذرات (المكروبات) والحشرات التي تطونها بأقدامكم فهي وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزايا عقولكم وفضائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسماعهم وأبصارهم وشهواتهم يبصر الناس اليوم جمالي وهم لا يبصرون ويبتهجون بمحاسن سمائي وهم لا يبتهجون قلمهم أسماع والكن لا يعقلون ولهم أبصار ولكن لا يبصرون . فاذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب انما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفي حنين . ألم تقرأ في كتابي - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون \* ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - . أي عبادي . أنا لم أنزل القرآن وقفا على اللعان المذكور في آية النور ولا على إقامة الحد على الزاني والزانية . ان هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجمالي فاذا جاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معاني ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير في جوار السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرارى التي أودعتها في غرائره وبهذا تفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته في (سورة النور) يومى الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

## ﴿ سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية ﴾

( وهي ثلاثة مقاصد )

( المقصد الأول ) في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

( المقصد الثاني ) في العجائب الكونية من قوله تعالى - ألم تر الى ربك كيف مد الظل - الى قوله - أو أراد شكورا -

( المقصد الثالث ) في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

### ( المقصد الأول )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا \* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا \* وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ مَّخْرُوعُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا \* وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أ كُتِبَ عَلَيْهَا فِيهِ تَمَثَّلَ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا \* قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا \* أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْجُورًا \* أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا \* تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا \* بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا \* إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا \* وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا \* لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا \* قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتُؤْلًا \* وَيَوْمَ يُحْشَرُ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ



عِبَادِي هُوَ لَا أَمُّهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ  
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا \* فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ  
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا \* وَمَا  
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا  
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا \* وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا  
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا \* يَوْمَ  
 يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا \* وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا  
 مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا \* أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا \* وَيَوْمَ  
 تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا \* الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى  
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا \* وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
 سَبِيلًا \* يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا \* لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي  
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا \* وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ  
 مَهْجُورًا \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا \*  
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ  
 تَرْتِيلًا \* وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا \* الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى  
 وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا \* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا  
 مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا \* فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا \*  
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا  
 أَلِيمًا \* وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا \* وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ  
 وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا \* وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا  
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا \* وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ  
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا \* أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا \* أَمْ تَحْسَبُ  
أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

التفسير اللفظي

( بسم الله الرحمن الرحيم )

تكثر خير الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل الفرقان) وهو القرآن مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما فانه نزل مفرقا وهو يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وتبارك كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى الزيادة كما تقدم ورتبه على انزاله القرآن لما فيه من كثرة الخير وأول دلالته على تعاليه . ويقال أيضا دام كما تقدم من بركة الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها (على عبده ليكون) أى العبد أو الفرقان (للعالمين) للجن والإنس (نذيرا) منذرا (الذي له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) رد على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء) أحدثه (فقدره تقديرا) هياها لما أراد منه من الخصاص . وقد تقدم في هذا التفسير من عجائب الخلقة وبدائع الحكمة ما يدهش الألباب ومن الخصاص العجيبة للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به ابداع الخالق وعجائب صنعه جل جلاله وعز كماله ولا إله إلا هو . ولما أثبت التوحيد والنبوة بما تقدم أخذ يرد على منكريهما فقال في المشركين (وانخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن العابدين لهم هم الذين ينصتونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إماتة أحد ولا إحياءه ولا بعثه ثانيا . وقال في منكرى النبوة (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم اليهود أو عبيد بن الحضر الحبشى الكاهن أو جبرويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فقال المشركون ان محمدا ﷺ يأخذ منهم وقد سبق في قوله تعالى - إنما يعلمه بشر - (فقد جاؤا ظلما وزورا) أى فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سموا كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين) ماسطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فهى تلى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمى لا يقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض) ألا ترون انه أعجزكم جميعا بفصاحته واخباره بمغيبات مستقبله وأشياء لا يعلمها أحد . أفنل هذا يكون أساطير الأولين . ولولا عفوه ورحته لعاقبكم ولكنه حلم عليكم (إنه كان غفورا رحيمًا) ثم أخذ يذكر الرد عليهم فيما اعترضوا به على نبينا محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذى يزعم انه رسول (يا كل الطعام) كما نأكل (ويعشى فى الأسواق) كما نمشى لطلب المعاش . يقولون إن صح دعواه فما باله لا يخالف حالنا حاله (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) أى داعيا وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى اليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) أى إذا لم يلق اليه كنز أفلا يعيش عبثة المترفين أهل اليسر فى الدنيا فيكون له بستان كما لهم بساتين وهذا يستلزم أن يكون فى عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن متصفا بأحد هذه لم يكن ما يدعيه من النبوة صدقا فأنما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى (وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا للظلم عليهم (إن تبعون) ماتبعون (إلا رجلا مسحورا) انظر كيف ضربوا لك الأمثال (الأنبياء التى لا فائدة منها) وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى النيل منك ولا الى سبل الرشاد



(تبارك) تكاثر خبر (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة \* ورد أن النبي ﷺ قال ﴿ عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يارب ﴾ وفي رواية أخرى ﴿ لو شئت لسارت معي جبال مكة ذهباً الخ ﴾ وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) فقصروا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهي الثروة في الدنيا (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) نارا شديدة يبتدىء في الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيحبسون في سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا رأتهم من مكان بعيد) أي إذا قابلتهم النار وكانت بمرأى الناظرين في البعد (سمعوا لها تغيظاً وزقيراً) أي سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر (وإذا ألقوا منها) من النار أي فيها (مكائاً) في مكان (ضيّقاً) لزيادة العذاب عليهم (مقرتين) أي مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) في ذلك المكان (ثبورا) هلاكاً يمتنون الهلاك وينادونه ويقولون يا ثبوراه أي تعال فهذا حينك ويقال لهم (لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً) هلاكاً واحداً (وادعوا ثبوراً كثيراً) لأنه كلما نضجت جلودكم بدلتم جلوداً غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خيراً أم جنة الخلد التي وعد المتقون) أي الذي ذكرت من صفة النار خيراً الخ (كانت لهم جزاء ومصيراً) أي كانت لهم في علم الله جنة الخلد ثواباً ومرجعاً (لهم فيها ما يشاؤون) أي إن جميع المرادات إنما تحصل في الجنة وهناك لا تشتهي طائفة إلا ما يناسب حالها حال كونهم (خالدين كان) ما يشاؤون (على ربك وعداً مسؤولاً) موعوداً مسؤولاً سألته الناس في دعائهم إذ قالوا - ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذ قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها في التعبير بما وسيئتها الله الذي أنطق كل شيء كما ينطق الأيدي والأرجل (فيقول) للمعبودين (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لا خلاصهم بالنظر والاعتبار بالعقول والأعراض عن الهداة . وقوله - ضلوا السبيل - أي عنها وقد تركوا الجار كما تركوه في هده الطريق والأصل إلى الطريق (قالوا سبحانك) تعجباً مما قيل لهم أوتريها لله عن الأنداد وايداناً بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء وإما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغي لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) أي أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعتهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة في هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواعظ والإيمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوماً بوراً) هلكت غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أي كذبكم المعبودون أيها المشركون (بما تقولون) انهم آلهة (فما تستطيعون صرفاً) دفعاً للعذاب عنكم (ولا نصراً) يعينكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالهرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لانصر لهم ولا انصراف فهم معذبون لا محالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلاً (ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً) وهي النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق . ولكن العلماء يختلفون في الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون « إن الفاسق بالتوبة يغفر له بشرطها كلها وكذا بالعفو » (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - الخ . يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلاً - انهم ليأكلون الطعام - الخ حذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أي إن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعاً من الرسل - وهم كانوا بشراً مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (وجعلنا بعضهم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر وفيه حث على الصبر على ما افتدوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع \* في البخارى ومسلم أن النبي ﷺ قال (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم) لفظ البخارى ومسلم (انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ﷺ (أو نرى ربنا) جهرة فيخبرنا برسالة (لقد استكبروا في أنفسهم) أى أضمرُوا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وتجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عابوا المعجزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق اليه الأنفس القدسية . واذكر (يوم يرون الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لابشرى يومئذ للمجرمين) أى لهم وانما وضع الظاهر موضع المضمحل لوصفهم بالاجرام (ويقولون) أى الملائكة (حجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وانما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنصوبة بأفعال متروكة اظهارها (وقدمنا الى ما عملوا من عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التي عملوها في حال الكفر (فجعلناه هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء ما يرى في السكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى في الظل والمنثور المتفرق وكذلك ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقر فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والتمتع بهن وذلك مجاز من مكان القيولة وفي ذلك رمز الى ما يميز به مقيليهم من حسن الصور وغيره من المحاسن \* ويقال ان أهل الجنة لا يموت بهم يوم القيامة إلا قدر ما هو من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة \* ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور في قوله تعالى - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة - (ونزل الملائكة تنزيلا) في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ، ثم نزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلاملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم بعض الظالم على يديه) عض اليدين كناية عن الغيظ والحسرة لأن عض اليدين من روادف الحشرات وأل في الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبى معيط الذى كان سبب نزول الآية وغيره (يقول ليتنى اتخذت) في الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلنا) \* وقرئ - ياويلتى - لأن الرجل ينادى ويسته ويهلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصدق عن الهدى ويوقع صاحبه في الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبى معيط كان يكثر محالة النبي ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعامى وهو فى بيتى فاستصيت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتية فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله .



وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقد أضلني) أي الخليل (عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن (بعد إذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خيله لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للإنسان) المطيع له (خذلوا) يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يث شكواه إلى الله (يا رب إن قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بأن تركوه وصدوا عنه . مأخوذ من الهجران وفيه تخويف لقومه وماشكا نبي قومه إلا حل بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلما فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والعدو يحتمل الواحد والجمع أي لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصر لك وهاديك وهذا قوله تعالى (وكفى بربك هاديا) إلى طريق قهرهم (وانصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزلت التوراة والإنجيل والزيور (كذلك) يقول الله إجابة لهم أنزل كذلك أي مفرقا في ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤون ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلو ألقى عليه جملة واحدة لم يستتب له فإن التلقف لا يأتي إلا شيئا فشيئا . وأيضا نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصا في المعاني وبنزوله منجما يتعدى بكل نجم فيجزون عن معارضته فيزيده ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فاقرأه هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلا) قرأناه عليك شيئا بعد شيء على تودة وتمهل والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ويقال فرقناه تفريقا آية بعد آية (ولايأتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أي يضربونه لك في إبطال أمرك (إلاجئناك بالحق) الدافع له في جوابه (وأحسن تفسير) وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤلهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يساقون ويجرئون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شر ماكانا) أي منزلا ومصبرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا وكأنه قيل انه ما حلهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانه ﷺ وتضليل سبيله وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر ماكانا وأضل سبيلا - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ قد ورد في الحديث مايناسب ذلك وهو قوله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يحشرون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمشاكم على أقدامكم يحشرون على وجوههم) . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراسا للصلحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرّس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل - لكل نبي عدوا من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم إلى ذلك النصر ولارشاد أمهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشرى كان في النبوة متوازران فيها (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميرا) أي فذهبا إليه فكذبوهما فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك إليهم يا محمد فان كذبوك فاني أدمرهم تدميرا وقد تم كل ذلك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) لأنهم بتكذيب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذابا أليما) كما عذبنا هؤلاء (و) أهلكنا (عادا وثمود وأصحاب الرّس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعبيا فكذبوه فبينما هم حول الرّس (البرالمطوية)

انهارت نخسف بهم وبديارهم (و) اهلكنا (قرونا) أى أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها  
 الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا \* قيل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا  
 ضربنا له الأمثال) بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصروا على الاستكبار والكفر  
 فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تبرنا تنبرا) فتننا تفتينا ومنه التبرلقات الذهب والفضة (ولقد أتوا) يعنى  
 قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطرا سوء) وهى سدوم التى هى أعظم  
 قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا .  
 ولا جرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون  
 بعثا أولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هزؤ  
 أو مهزؤ به إذ كان أبوجهل اذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا \* إن كاد) أى انه  
 كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها  
 لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا  
 (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يفعل وفيما يترك فهو عابده وجاعله إلهه . يقول الله لرسوله  
 ﷺ هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة  
 ما أذى اليه هواه فتكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى فما عليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى  
 (أفأنت تكون عليه وكيلًا) \* يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فاذا مرّ بحجر أحسن منه  
 ترك الأوّل وعبد الثانى \* وقال الحسن « هذه الآية فى كل من اتبع هواه » ثم قال تعالى (أم تحسب أن  
 أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أتحسب أن أكثرهم يسمعون  
 ما نقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج . وهذا الذم أعظم مما تقدم فكأنهم لا سمع لهم  
 ولا عقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير بل هم أضل من  
 الأنعام لأنها تهتدى لمراعبيها ومشاربيها وتنقاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق  
 الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم \* ويقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى  
 مجمع الكل فان غلبته النفس والهوى فضلت الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . انتهى  
 التفسير اللفظى للقصد الأوّل من السورة وفيه لطائف

- (١) فى قوله تعالى - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -
- (٣) وفى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفى قوله - وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام -
- (٥) وفى قوله - لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفى قوله - أنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل \* قالوا سبحانه - الى قوله - ولكن  
 متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفى قوله - وجعلنا بعض فتنة لبعض أتصبرون -
- (٨) وفى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفى قوله - ويوم تشق السماء بالغمام -
- (١٠) وفى قوله - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفى قوله - وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا -



(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً -

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً - ﴾

تقتّم أن معنى تبارك يشمل تكاثر الخير والدوام والتعالى على كل شئ فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم .

فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفعل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شئ

(٦) وانه قدره تقديراً وجعله على أبداع وأتقن الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخير كله والبركة من نور ينزل الى الارض وهداية الناس وملك يعم سائر الكائنات

وجميع الملوك خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يفنى فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة

وليس الانفراد بالملك وعدم المنازع وعدم الفناء الذي دل عليه انه لا ولد له بمنع عن انه قادر على خلق كل شئ

فربما كان مالكا لكل شئ دائم الوجود لا ضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شئ بل ربما كان هذا الملك

قد أخذه اغتصاباً فقال - وخلق كل شئ - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن

غيره ولم يخلق الأشياء اعتباراً بل جعل لكل شئ قدراً مقدوراً وحداً محدوداً ونظاماً ثابتاً وهذا هو السبب

في بقاء ملكه ودوامه لأن دوام الملك على مقتضى النظام . فكما اختل النظام كان زوال الملك أسرع وكما

كان النظام أتمّ كان الملك أديم ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدل على ذلك الدائرة المشهورة

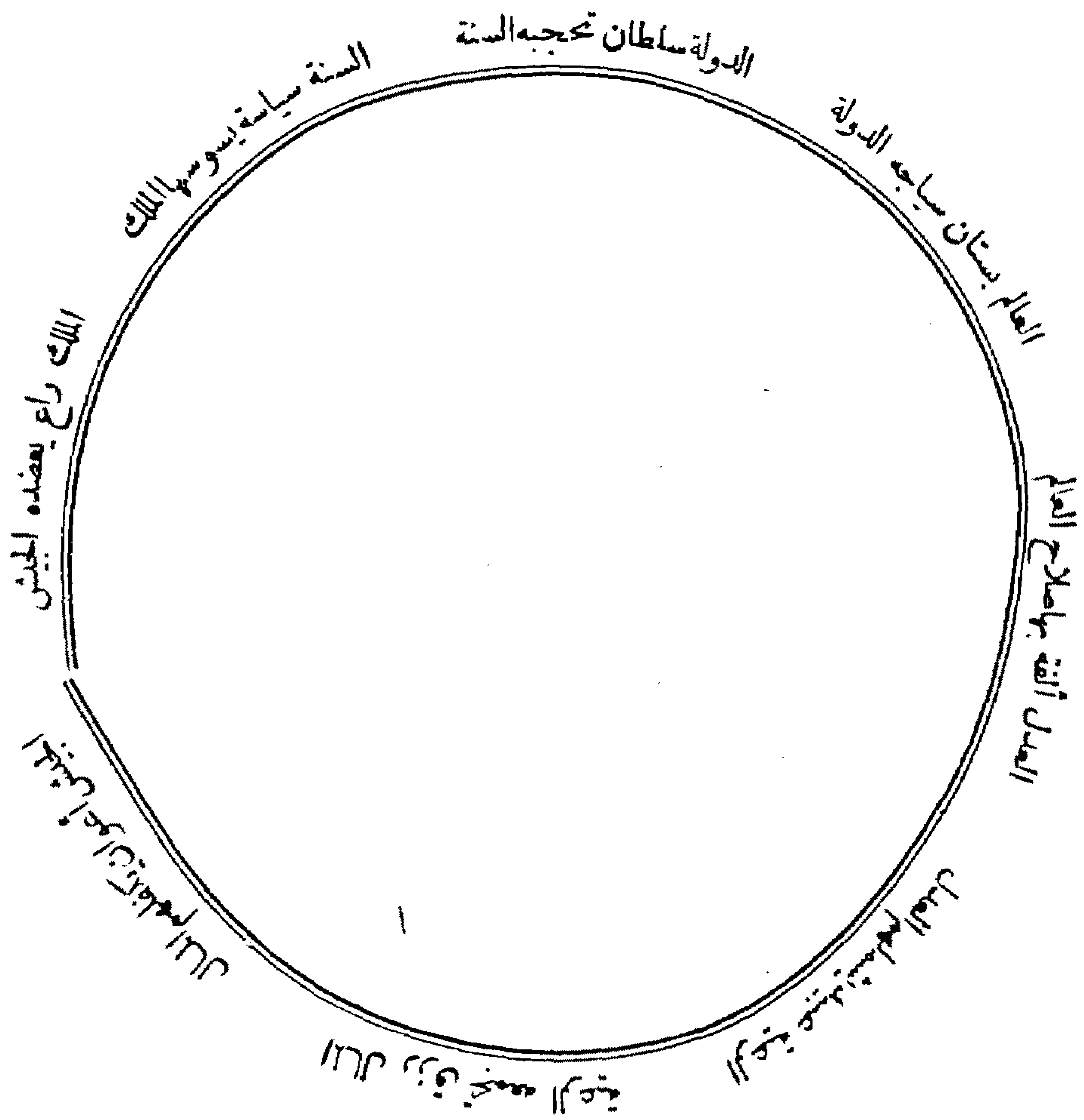
التي أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر المقدوني تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس

تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والذخائر الثمينة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى

تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شئ وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها

الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها

وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة في (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه في جهاته الثمان . هذه هي الكلمات الثمان وهذه هي الوصايا التي عرف الناس قديما أن لبقاء للملك إلا بها . فتأمل أيها الذكي وانظرو تفكر وقل لي أأست ترى أن الملك مضطر الى شريعة . الى جيش والجيش الى مال والمال الى رعية والرعية الى العدل والعدل الى دولة والسولة الى سلطة وقوة والسلطة والقوة تحتاج الى قانون والقانون الى الملك . فانظر أأست ترى أن الفلاح محتاج الى رئيس الدولة ورئيس الدولة محتاج الى الفلاح . أأست ترى أن الناس في الحقيقة كجسم واحد . وكما أن العين لا بد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنتقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لاحتيا لها إلا بنظام تام ودوام الملك على حسب ثبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختلف نظامها أسرع فناؤها هذا في ممالك الأرضية . ولتعلم أيها الذكي أننا لم نكون دولا ولم نقيم ممالك إلا على مقتضى القانون الإلهي فان الأدنى تبع الأعلى ولما كنا عبيدا لله وضع في نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أكمل . وكما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أضعف وأقرب الى الزوال . انظر بعقلك الى نظام النمل والنحل والزناير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسماك في البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاهما نظاما ثابتا بالهام لا بتعليم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الانسان فإنه هو الوحيد الذي أمر أن يقتني آثار الحكماء والعلماء ويفكر فان شاء صار أقل من تلك الحيوانات وان شاء صار قريبا من الملائكة



## ﴿ اعترض على المؤلف ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا عجبا كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدره تقديرا . فالتنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . يا عجبا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فأنت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما تخوض في مواضع لا علاقة لها بتفسير القرآن

فأين الثريا وأين الثرى \* وأين معاوية من على

سارت مشرقة وسرت مغربا \* شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له برجك الله لا تعجل على قبل أن أبين لك ما أريده . هاأنا ذا ذكرت لك نظام الدول وأنها كلما كانت أقوى نظاما كانت أدوم . وأقرب شاهد على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أأست ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أأست تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأهم وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الدوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الدوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولا نهضت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريعا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم اننا نجد نظاما ثابتا لا يتدهور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . اننا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف تحكمون بذلك وأنتم عبيده قصار الأعمار قلنحكم بالتنازع ونوازن ملكه بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملكه قائم شامخ لا ينقضي ولا ينهدم ولا يتساقط ووجدنا شمس وقمر وكواكب ساطعة رائحة غادية دائرة ساهرة جادة لاتنام ولا تغفل عرفنا أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده تفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولولده ولانثله وانه خلق كل شئ فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولا يستبين لنا ذلك إلا بما قدمناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذي بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خيره ومعنى دوام خيره

فلما سمع صاحبي ذلك قال لقد أحسنت صنعا وأجدت معنى وأريتنا مالم نكن لتوقعه وكأملك بذلك نرينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثنا الى أن نحذو حذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شئ . تدعو الى البحث في الأنهار . في المزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظروا انظروا وتعجبوا . انظر الى الدائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظر كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدتته على مثل هذا النظام والتقدير

ترى ضوء الشمس يحرك البخار من البحار ويحرك الهواء في الجو فيصير الهواء ريحا هابة ويحمل البخار ويسير به بين جبلين ليحفظاه وهو جار حتى يحمل البخار الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبت . والشمس التي أثار البخار وحركت الرياح هي بعينها تلح على الحبة وعلى الأرض فتنبت وتخرج حبا آخر والشمس لا تزال تلح بأشعتها فيخرج الحب فيأكله الناس . ولا حياة للناس ولا للنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التي تهب من وقت لآخر ثم يصير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخارا يصعد الى الجو فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لا تزال دائرة . ولقد تقدم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضاحه بحيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتا والاهلك وسهام النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كلمات قلنا هناك كلمات لا تحصى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا -

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلامعنى للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله للكل وكيف قال تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فالتقدير يعرف في الكليات وفي الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدم في هذا التفسير ما فيه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والكلواكب وكتبنا فيه من كل فن ولم نذكر النحل ولا النمل ولا العنكبوت إلا كتبنا في عجائبها فبعضها قد كتبناه فيها مضي وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة الدموية الى الدائرة الغذائية رأى تعاونها بديعا جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست النار الجلد أسرع الانسان الى مجانبته وذلك بالحواس وهي هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرئتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملا الكربون أي المادة الفحمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادة الفحمية تذهب الى النبات فتغذيه فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التي أصلحها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن (أربع تجاويف) اثنان أعليان واثنان أدنيان ويقابل في الرئتين الهواء الجوي فيصلح ويرجع للقلب ويتفرع للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفله لسكل منهما بعرق غليظ مفرع الى فروع تمتد وتغور في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعوض ما فقدته من المواد التي صارت لحما وكيف احتاج الدم الى الهواء لينقي من المواد الفحمية وكيف احتاج الهواء في دخوله الى أن يكون في الرئتين وكيف كانت الرئتان لا يدخلهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الخنجر ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الامعاء وخالص الغذاء في الامعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من الفم والفم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخباز والطباخ وهما مدينان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهذه الدائرة هي عين التي قالها (أرسطاطاليس) انما هذه أطول وأطول . وقد قدمنا لك أن هذه الدائرة لانهاية لها بل هي متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس في مدنهم على مقتضى دوائر الله في نظام ملكه



بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الخ ثم قال - الذي له ملك السموات والأرض - كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليفرق بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قدرت كل شيء تقديرا ووزنته بميزان عدل . فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظامكم على نظامي . فأنا إذا أنزلت الفرقان على عبدي فاني أقصد أن تجعلوا نظامكم على وفاق نظامي أي أن نجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . ألسنت أنا القائل - والسماء رفعها ووضع الميزان \* ألا تطغوا في الميزان \* وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسبروا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل ألا تطغوا في الميزان أي لا تزيدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولا تنقصوه على مقتضى نظامي . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلي المعنى في أحسن زى وأبهى جلال وأبدع صلة وأوفى بيان

( حكاية عجيبة بديعة سارة شارحة للصدر في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى - فقدره تقديرا - )  
لقد سبق الكلام على التقدير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه . ولأذكرك حكاية بديعة شارحة لصدرك وإن كانت دقيقة المعنى فأقول

بينما أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل أفرنجي ألقى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألماني الجنس . وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم وبدائع القرآن والمصادقات التي تدهش القارئ الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البارون (ولدمبر اوسكول) ألماني الجنس وهو روسي المنشأ وقد ساح العالم وألف كتباً عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه إلى إسوج ووقع في يده كتاب في جامعة (استوكهلم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التي وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمنفيس تهتم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شيقة من هذا الكتاب في إسوج وفي ألمانيا وفي الدانمرك وجعلها في كتاب . وهذه الصور اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بمصرنا مما يوافق هذه الآية . قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجمع والطرح والضرب والقسمة . وأما الذي يختص برجال الدين فهما الجمع المقدس والطرح المقدس . وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فإذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلانصف ولا ربع ولا جزء من (١١) ولا جزء من مئات الألوف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شيء . ثم اتنا إذا أضفنا إلى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التي تكون بزيادة ٣ فنقول (١ - ٣ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ١٦ - ١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سرّ تكوين هذه الدنيا عند قدماء المصريين بل فيها سرّ المبدأ والميعاد . فيها سرّ الأولين والآخرين . فيها سرّ الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والحرب فيها سرّ الله وسرّ الخلق . فيها سرّ كل شيء . وبيانه أنك إذا أضفت ٣ إلى واحد بطريق الجمع المقدس فإن

ذلك اشارة الى آثار الله في الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصبح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوانات الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ما هو أربع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال في كل شئ في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى منقلبات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورقم (١٦) اشارة الى الدمار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة النائمة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دينية تقرّب المعاني البعيدة . وأما أزيدك على ما قاله ان هذه المتواليات العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروباً في اثنين إن كان واحداً أو الحدين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدين ١٠ و ١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدين فأما فيما قبله فان عدد الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما للآية وهذه المحاضرة ؟ أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وأنه لا ولد له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شئ وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثار الله في الطبيعة . ومعلوم أن لله أثرين اثر في الخلق والتقدير وأثر في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخالق كل شئ فقتره تقديراً . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعد (١٣) وبعد (١٦) لأن الهلاك والدمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو المرموز له باعادة الخلق بعد العدم ﴿ بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - وخلق كل شئ فقتره تقديراً - وفيه ثلاث ياقوتات ﴾ الياقوتة الأولى « في قوله - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - الياقوتة الثانية « في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قدم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العملي يخالف ترتيب نظام الآية « الياقوتة الثالثة « في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقتره تقديراً - ﴿ الياقوتة الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - ﴿

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشمس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا حكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعد بالسنين وبالنسبة للأمم يعد بالقرون . إن الله يعد للطفل قبل ولادته كل ما يحتاجه حسب زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لثديها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الثدي في تحويل الدم الى لبن شيئاً فشيئاً وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدوا له القابلات والثياب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فاللبن يبذل والدم يصير لبناً والحكومة تعد الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم إلينا . إذن الحكمة التي دبرت هذا العالم لا تدركها إلا أحاطة برحة لاحد لها . فلننظر للأمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن



إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اننى لا ترائى العيون ولا تحيط بى  
الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقها (يو) و (كونفسوس) بالصين وقها موسى  
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت ﴿أمريين الأول﴾ أنه خيل لهم أن  
الإله كالآب والمادّة كالأم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهرائنا وقد أرسله  
وصلب لأجلنا ورفع وذلك ليسهلوا للناس أن لهم إلهافكيف يكون إله لا تراه ولا تراه له ابنا . أليس الله  
مثلنا يلد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد فى البلاد التى يحكمها ﴿الأمر الثانى﴾  
انهم لم يقدروا أن يتصوّروا موجودا لا يرى فعبدوا الكواكب ثم الأصنام التى ملأت السهل والوعر فى العالم  
الآن . وقد تقدّم هذان الأمران فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفى (سورة  
المائدة) فى آخرها وفى (سورة إبراهيم) عند ذكر الأصنام وفى (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفى (سورة  
الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه - الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح الذى أصله توحيد سيقبله أهل الأرض  
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أباء وابنا  
وروح قدس . العالم الانسانى كله كجنين فى بطن أمه وهذا الجنين عاش فى هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة  
وأما أكثر الى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للأمم فنقول إذن الأمم لا تزال  
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقي جاهلا لأنه لم يستعكم عقله ودخل  
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من  
أمة جاهلة وهولم يتعلم مثلهم فقال لهم لأصنام ولا أبناء وكسر الأصنام وذم عقيدة الأبناء ورفع سيفه آونة وأعلن  
السلام فى الأرض ثم فارق هذه الأرض الى ربه . مضى على ارسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن نحسب  
هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق ونقول إن هذا الانسان لا يزال مرافقا وأن أهل هذه  
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء . وهام أولاء الآن أخذوا يدرسون . فإذا  
تم فى ذلك . نقول أذكر لك ﴿حادثتين اثنتين﴾ لا ثالث لهما ﴿الحادثة الأولى﴾ معابد بلاد الصين  
والاسلام المنتشر فيها ﴿الحادثة الثانية﴾ كيف انتشر الاسلام فى جهات أفريقيا المظلمة على نهر النيل فنفق  
هذا الطفل الذى أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ما صنعه مع الطفل المولود حديثا .  
فكما أن الطفل الحديث الولادة ترى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذى أخرجه الله فى  
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالته لأنه علم انه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما  
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن عام . وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا  
الآن أخذت الحقائق تظهر فى أهل الأرض فانظر الى أمة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقدرها الشيوخ  
ويحقرها ويستهنئ بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (نايشان) فى تلك البلاد القاصية معابد يحج اليها  
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد  
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك جالين يحملون الحاج الى  
الأصنام فوق الجبل وفى الطريق زوايا صغيرة للآلهة الصغيرة وزوايا كبيرة للآلهة الكبيرة ويمجد الحاج بيوتا  
للشاي ليسترىج فى الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآلهة (التي اذا حج إليها المؤمن بهارجع بعد طول  
الشقة ووعاء السفر والجهد والنصب قرير العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء  
والسخرية من الشبان الذين قرؤا الحكمة والعلم وتنوّرت بصائرهم إذ يرون انها أشجار لا تنضج ولا تنفع كما نطق  
به القرآن وتراهم يذهبون اليها لتنجسها تحقيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيامنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزي يقول انه وجد زنجيا في (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ما قرؤوه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والفساد والظلم بسبب نظام اسلامي جيل فيه الولاية والمحكمة وكل امرئ من هؤلاء الحكام يشعر بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزوج في حال همجيتهم ووثنيهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يبالون بالأقذار ولا يعرفون المحارم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فاذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين ويقرؤون الكتب التي ألفها المسلمون

فهناك الحادتان من الحوادث الكثيرة اخترتها لتنف أيها الذكي على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فهناك الصيني العريق في المدنية والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محترقا بها معابده . وهاهنا الافريقى المتوحش لما باغى دين الاسلام بطريق مقبول تدين به واتقى ربه وهذا في آخر الدنيا شمالا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يخلو اسلامهم من خرافات تبعا لآبائهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يمشون على أقدامهم الى مكة يسألون الناس تكسفا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزوج في (برمويه) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لا تفوته صلاة ولا يهمل فرضا ولكنه مقيم على عوائده الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) ورعاياه لا ينظرون اليه ولا يخاطبونه إلا اذا ولاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لاتعزف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدي الافريقى . وهاهنا في بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد اتضح العلم لهم الآن فحرقوا الأصنام . فبالت شعري ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ يلجئون اليه كما أن للطفل عند ولادته ملجأ يلجأ اليه . فليجأ الطفل القابلة وابن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشية كانت أو متمدينة إن ربها ليس بغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أعد لهم الله الفائف قبل ظهورهم أو الأساندة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا نعقل عمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نعقل عطفه على الأم فنظن أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأم مجموع أفراد . أفلا ترى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقرؤوه وأنشروه فقرؤوه ونشروه . ولما انتشر في بلاد الصين لم يف هذا الدين الاسلامي بحاجات تلك الأم لأنهم قوم علماء وحكماء حكمة قديمة غامضة والمسلمون هناك (٧٠) مليوناً ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تجد الوثنيين الذين يحرقون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ واجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله في الأرض وعجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فان دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والغسل والحوض والنفس والولادة وأحكام ذلك كله وأتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذي أخبرني به العالم الصيني المسمى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قواد من قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلوني لأبحث في أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة عدو للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لي : لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والحمد لله على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)



ولقد قال لي انه سترجم الفاتحة وكتاب القرآن والعلوم العصرية ، وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل  
 إن هذا الدين الاسلامي لما انتشر في الأرض وأخذته أمم بعد العصر الأول لم تفهم ما يراد منه فأخذوا  
 يتلونه بلا عقل وحسروا العقل الانساني في أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأمم التي جلت هذا الدين بعد  
 العصر الأول ليسوا كفوا لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري ألف كتاب  
 ﴿ الإحياء ﴾ وقال انني أريد أن أحيي به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه  
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر في الحجاب والمخلوقات هي أصول هذا الدين وهكذا  
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيباً عملياً وذم أهل زمانه ذمّاً شديداً ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر  
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله نحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد  
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في معضلات هذا التفسير فقال لقد  
 أطلت المقال فاملخصه . فقلت

- (١) ان الأمم كلها أطفال
- (٢) وأن رحمة الله تشمل الأمم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهد ل هؤلاء الأمم بدين الاسلام كما يهد للصبي ندى أمه
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام في الصين عابدة الأصنام وفي نيجيريا المتوحشة
- (٥) وأن المسلمين في الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا  
 الأحكام الحنفية والشافعية الخ

(٦) وأن هذه الأمم استعدادهم لحل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة في العصور الأولى ولا التابعين  
 (٧) وأن الامام الغزالي رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنادى في الناس بكتابه الإحياء يقول « أيها الناس  
 دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم في هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جهالة وبلاهة » وقد مضى  
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدرُوا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التي تعبد الأصنام  
 فقال وما دواء هذا الداء . فقلت دواؤه في ﴿ الباقوة الثانية ﴾ وهي انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله  
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأي شئ في هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية في هذا الموضوع  
 فقلت إن الدواء في هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافق هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم  
 في هذا التفسير أن أبا بكر رضى الله عنه وقف خطيباً في سقيفة بني ساعدة وقال لا نصار أسلمنا قبلكم وقدمنا  
 في القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . فبهذا التقديم في الآية حكمت  
 قريش العرب وأم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والعلوية وهكذا . كل هذا لتقديم  
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعي يقول ﴿ يجب في الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن  
 الله قدمه في الذكر في آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما تقوله في هذه الآية من حيث التقديم والتأخير  
 لأن الحجة قائمة . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول  
 - الذي له ملك السموات والأرض - وهذه جملة اسمية تقتضي الثبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره  
 بجملة فعلية تقتضي الحدوث . قال هذا حق . قلت فلو أن نظم القرآن مشى على سنن آية الوضوء وعلى سنن  
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازاة ما هو موجود لكان هكذا  
 تبارك الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنا مع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسرّ ظهر في عصرنا وحكمة بهرت في أيامنا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤون القرآن ولا يعرفون إلا التزويل فهم يبتدون بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرؤون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره وبينه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ ونسمع فعله وقوله . أفلا نفعل مع الله ما نفعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نجد في تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب في إصلاح المسلمين أن نمزج قول الله بفعله في التعليم . ان قول الله أشبه بما يحى الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى في جسم المرأة لتغذية الجنين يفيد الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كما قدّمنا آنفا فاقضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشر به الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنة يحيون بالقرآن حياة الجنين في رحم أمه فلذلك لم يصلحوا اقيادة الأمم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين في الصين لم يغيثوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكيمية لجهلهم بها فهم يتخبطون في عبادة الاصنام يائسين من دين حق في الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنة فهم اليوم في حال الرضاع فحق لهم أن يعطوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المعبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد في الحديث إذ خير ﷺ بين الخير والابن ليلة الإسراء فاختر الابن لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التدرج في التربية . فقال صاحبى هذا القول غامض أى تدرج تريد وكيفية هذا التدرج . فقلت إن الأمة إما أن تحفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله ممزجا بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ندى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولوانه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الخيرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة في التغذية . فقال صاحبى إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - نزل الفرقان - أشبه باللبن وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعها أنت في التفسير (وبعبارة أخرى) . انك الآن تقول نزل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية ومزج العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فالتك أن مصطفى كمال باشا نقل تركيا من حال إلى أخرى وقال (العلم شئ والدين شئ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا ويظهر انه ينجح في ذلك بدليل أن الأمم كلها تنهيه الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وما هذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسعون على النظام الطبي وأحسن الطب ما كان جاريا على التاموس الطبي فاذا أكل الانسان القواكه والخضر وترك ما يضر استعماله وبرز في الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الادوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك اثرها في النفس تنبع آثار ثم ينتهى بالموت . ومما مثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا كمثل الاتسكال فى الدين على المجهزات وخوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكما أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وقتى



يعقبه مرض آخر هكذا الانكسار على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - إذن فالهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وتركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهلات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل الثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي اعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما في الحديث واعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسهلات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الانكسار على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرانيشتان) الذي هو من أقطاب الطب في ألمانيا ﴿ إن الضعف في درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء كانت رديئة أم طيبة فهي إذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن ترك هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا في الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف إلى المركبات مثل (حض البروسيك) والرصاص والزرنيخ والكبريت الخ

(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الأستاذ (بلز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة في أكثر الأحوال ﴾

(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميت) الذي قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطى الدورة الدموية سما كما يعطيها السم تماما ﴾

(٤) وهناك نحو ثمانين عالما من الأطباء الرسميين نقل عنهم الأستاذ (ولز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعا أن الصحة في الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطلق والغذاء الجيد الصحي وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الانسان عملا جسديا معتدلا وأن يستحم بالماء الفار والبارد وهكذا مثل ما تقدم في (سورة طه) في أواخرها

فقال صاحبي ما الذي أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويتبعون شهواتهم ويحققون نظرياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحدث أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾

فقال وما الذي يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت ان عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستعجل لرقى أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا في وجهه فن الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطرا يعقبه رد فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الإسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فليمزج العلم بالدين كما فعلت في هذا التفسير فيكون لبنا خالصا سائغا للشاربين وبه ينتهج العلماء في أمة الاسلام ويحبون رقى أممهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يشيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسيما أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الديني أعظم أثرا في رقى الأمة من الإصلاح السياسي ﴾ فإصلاح مصطفى كمال باشا نافع ولكن هذا الإصلاح الذي اتبعناه عاقبته حبيدة وهو سرع الأثر بعيد المدى يرح الملوك والأمراء ويجعل الأمة روحا واحدة . هذا هو الذي هداني الله إليه وأريد به اراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والدسائس - وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب - ومن العجائب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسراعه في الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قدمت في (سورة الحجر) منذ سنة انه زار مصر إذ ذاك واني أشعر بكراهة الشعب له لاسيما العلماء وقد حصل هذا فعلا الآن

فقال صاحبي وأي دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها في (سورة

طه) وأن فعلها وقنى إذ عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأهم تعقل وتفهم لا أنها تخوّف كالصبيان

﴿ حكاية ﴾

كان لى صاحب وهو مجاور لى فى المنزل وهو شيخ طريقة مشهور فى مصر وكنت أجالس معه فى بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوك ويجعلون يومه عيداً ولاعتقادهم فيه كان اللصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حدثه أحد اخوانى فى ذلك فقال انى اذا وصلت الى البلد فانه يأتى الى واحد فيقول لى ياسيدى أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويذكر جميع الذين كانوا معه فاذا حضر واحد منهم قال له ارجع لا تدخل على فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت بخاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لا تنفيذ الأئمة إلا مؤقتاً وانما هى أشبه بالمخدرات أو المسهلات أو الأدوية المركبات وانما السبيل لرقى المسلمين حقا أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل الفرقان على عبده - وأنبعه بذكر انه له ملك السموات والأرض - . فبه نزع العلم بالدين ترقى الأئمة . أما الأدوية الوقية للأئمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما فى صاحبنا الذى ذكرناه سابقا وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقلى فانه لا يدوم أثره فى الأمم مالم تصبح الفضيلة لها عادة ولكن يبقون فى العلوم والمعارف عالة على الأمم فلا بد حتما مما قلناه . وإلى هذه الحال يشير قوله تعالى - فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فعبّر بتم للإشارة الى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل وبيان القرآن حق البيان قد ابتدأ فى هذا الزمان الذى عبر عنه بتم فى الآية . وكذلك قدّم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا بدارك الحقائق التى تعرف بملك السموات والأرض فالأهم الاسلامية السابقة أكثرها قرآنية والأهم الاسلامية اللاحقة أكثرها فرقانية . فافقروا هذا التفسير وبعده تعرف هذه الحقائق والحمد لله رب العالمين كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الباقوتة الثالثة فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - ﴾

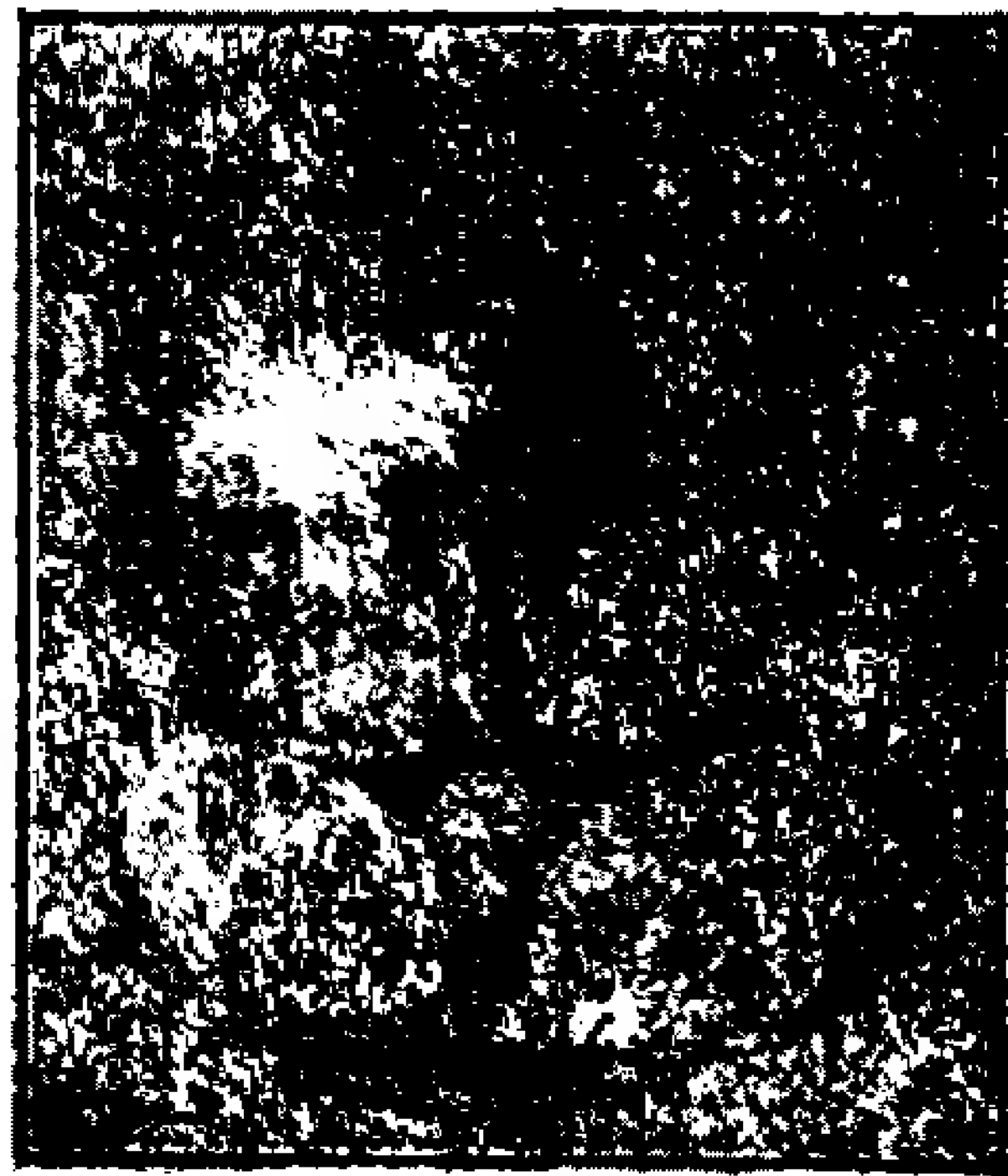
من أطلع على هذا التفسير أو أكثره استقرّ فى ذهنه أن الله عز وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجلي وما مثل الحكمة والنظام والتقدير فى هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت فى هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشمل جميع حجراته تكون سكناه ضارة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس فى أركان البيت تكون صحة سكانه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات فى المنزل أوعنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العلوم والعبادات والأعمال والرقى والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلننظر إذن لنور الله وحكمته . الله عز وجل كما جعل نور الشمس عاما وجعله محيطا بالكرة يدخل فى كل منزل وثقب وحجرة . هكذا نراه فى الاحكام والاتقان بل الانقان أعم وأبدع واذا أردنا أن نذكر هنا مثلا تواردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة الى شموسه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة الى المجرات وأنواع السدم فى أقطار السماء فلا كتف ﴿ بمثلين صغيرين ﴾ مثل النحلة ومثل العنكبوت وانما ضربت هذين المثلين لتعجب من جلال واتقان وابداع وحسن وجمال وكمال ونظام وما شاء الله كان فى حيوانين حقيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعا وفيهما من دقة الصنع ما يحير العقول

﴿ حكاية ﴾

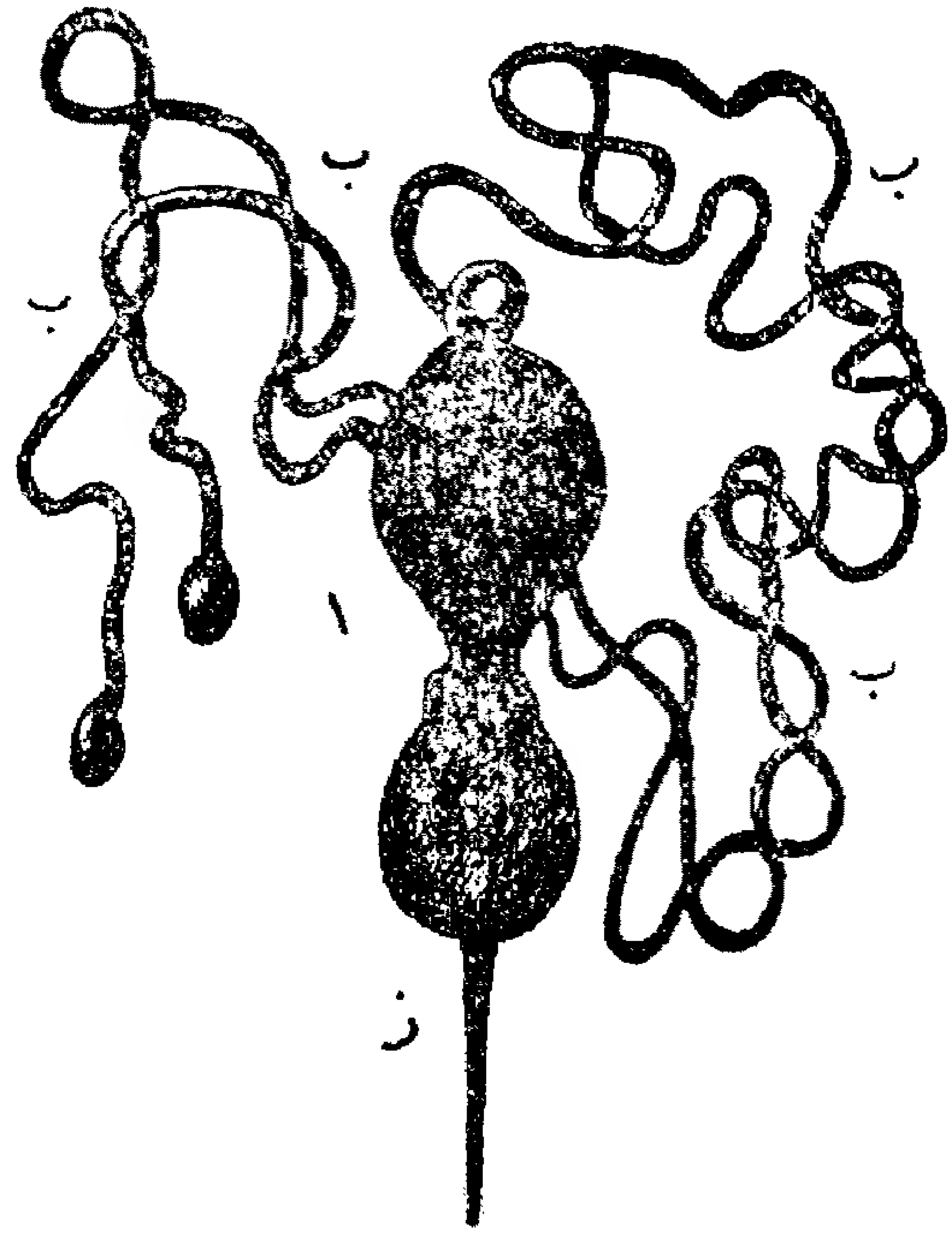
لنا مزرعة ببلدة (البركة) فى الارض التى تقرب من الجبل الشرقى المصرى فاقتضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا فانا لأجل هذه المزرعة والنظر فى أمرها . ولقد عزمت يوما أن أتوجه اليها ماشيا على القدم من



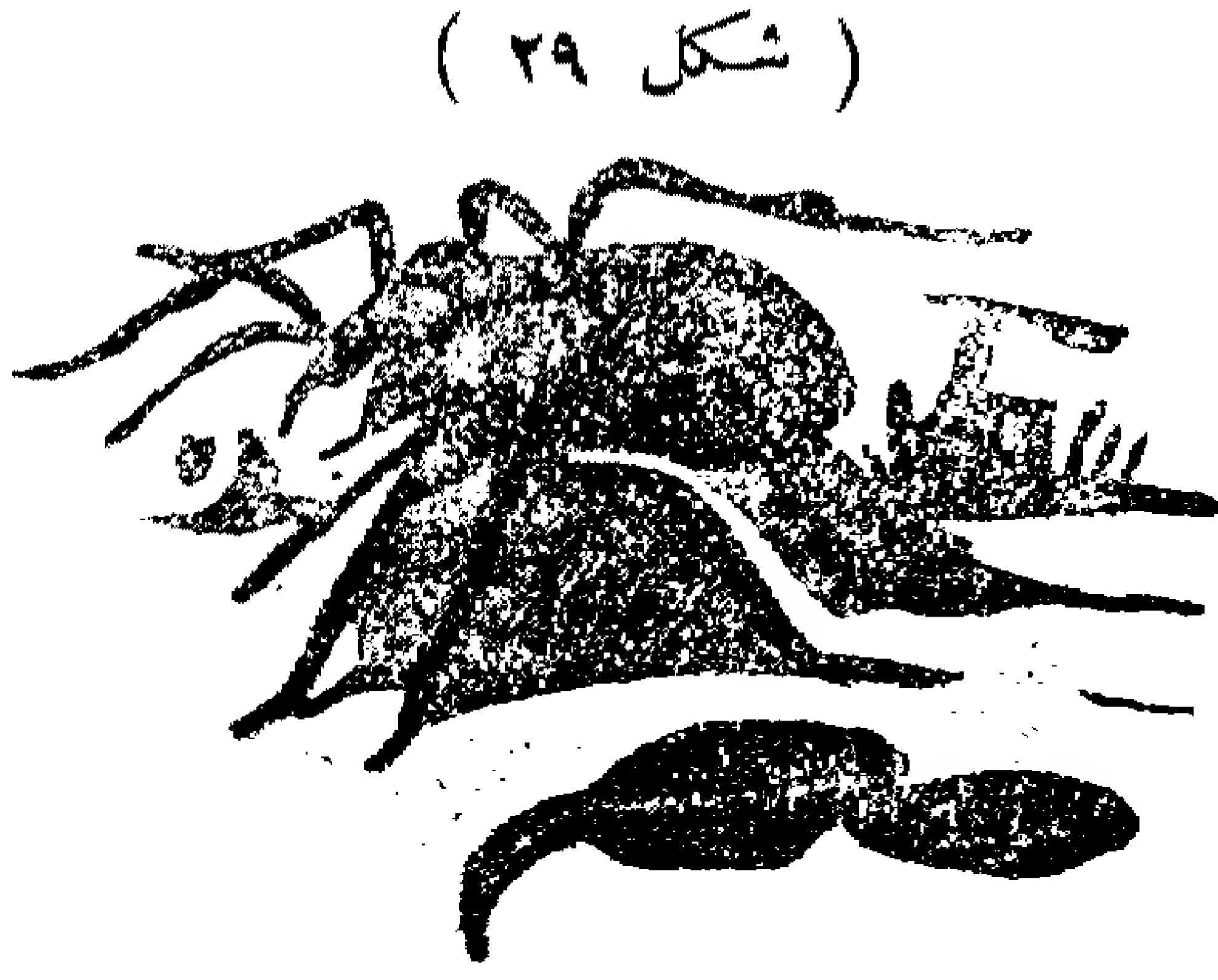
بلدة المرج لأتبع بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الفدادين لازرع وانما هي مسرح البهائم ترعاها فلما توسطت تلك المزارع وجدت أرضا ذات حشائش قد عمها كلها نسيج العنكبوت هنالك أدهشنى هذا الصنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلابناء ولازرع أرسل الله لها سكانا نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت وصفة النحل اجالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مائلها وهو جميع الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبو شبت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة السامة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فمن الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته ومتى مرت به ذبابة فعل معها ( أمرين \* أولهما ) انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه ( ثانيهما ) انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن فيخدرها أو يميتها . والشبت سم قوى ولكنه غير مميت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل . فهنا ( حيوانان ) حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساج وحيوان يتغذى بالنبات وهو يعطينا العسل . هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادة السامة إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة المواد السامة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك لمنفعته هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى نراها فى المنزل متى قل كنسه وتنظيفه ورأيتها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلا يهتمه ولكن الحكيم المستبصر يرى فيها جالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة بعد الدراسة . فللنحل ( مصنعان ) مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولا جرم أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع وسفينة حربية وطيارة وسوائل أوغازات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا تكرار لمصنع السم فى النحلة والعنكبوت . وأما جلب نافع كمصانع النسج والغزل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا تكرار لمصنع العسل والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم إبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا كذلك ( انظر شكل ٢٧ ) و ( شكل ٢٨ ) و ( شكل ٢٩ )



( شكل ٢٧ - رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا )



( شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا )



( شكل ٢٩ )

( شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إبرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة وإلى يمينها الغدة التي تفرز السم )

انظر الى هذين المصنعين . مصنع السم في جسم النحلة ومصنع الغزل في جسم العنكبوت واعجب لمخزن النحلة الذي امتلأ سما وللأنابيب التي تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنابيب خمسة خارجات من الجهات الثلاث وهي تفرز السم ثم ترسله الى المخزن والمخزن يوصله الى الابرة والابرة تدخله الجسم عمل والله عظيم واحكام وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقبها وانتظامها وانظر الى جهاز الغزل ؟ فماذا في جسم العنكبوت من الابداع الذي حوّل الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذي في هذا الجهاز حتى قلب الغذاء جعله خيوطا بديعة . ثم ماذا في مصنع السم الذي تشاهده الآن في جسم النحلة وما هذا الذي جعله يحوّل الغذاء الى سم . فانظر لمصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها يصطاد الذباب . فيأليت شعري ماذا جرى في أجسام تلك الحيوانات وما هذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذي به قدرت النحلة أن تؤذى عدوها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ما وهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال في مصنع العسل في النحلة ومصنع السم في العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة في هذين الحيوانين

#### ( الحكمة العملية )

علمت مما تقدم معنى قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فهذا هو التقدير . هأنذا يا صديقي أصبحت تراه بعينك . هأنذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم ونحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظره العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - ونعمر عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذي قلت لك انه مملوء عناكب . فاذا كنا نحن نمر على هذه الجلة مرور الجاهلين فهكذا نحن وجميع الأمم كان أكثرنا يمر على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذي فيه ظهرت أنوار الله - وأشرق الأرض بنور ربها - ونشرت العلوم . فالآن نفهم آي القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جليلة جليلة . هذا ملخص الحكمة العلمية



أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسج فلم تتكل على نبات ولا حيوان بل كانت صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الانسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغنى بصنعها واتقانها . فهم يكونون في نوع الانسان كنوع الانسان في سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لاصناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب ويباع في القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الانسان يقدر أن يستغنى عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصبغون (بالنيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصباغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس ان رقيقكم يكون بعمالكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كالقطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس الى استخراج ما يحتاجون اليه بالصناعة ويقول لهم افعلوا ما يفعله الحيوان يستخرج منافعه بمصانعه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أتم باجتهادكم . أنا قدرت كل شيء تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قريبهم مني على مقدار ما نالوا من دقة في العمل واتقان في الصنع وفي الأثر ﴿ إن الله يحب الصانع المنقن عمله ﴾ وفي القرآن - إن الله يحب المحسنين - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إنى شاهدت آلافا من الأفدنة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلت من عمل الانسان شغلها الله بجنوده فنصبوا خيامهم واستعدوا لاصطياد الذباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاهم جهازا يستخرج منه الخيوط وأعطاهم فكرا به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا الذباب انما خالق يطهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك في جسمه من حال الضرر الى حال لا تضر وهذا الذباب ضرره على الانسان أقل من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد الى جسمه ولكن لا تزال بعض المضار عالقة بتلك الحشرات . ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض الى الصحيح . ولقد تقدم شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن الذباب ينقل جراثيم (الرمم) (الصدیدی) من العين المريضة الى الصحيحة وجراثيم الاسهال و(الحى التيفوذية) و(الطاعون) و(السل) و(الدودة الوحيدة) . إذن الذباب وان منع ضررا كثيرا وهلاكه عاما هو والحشرات باحالة الرطوبات والعفونات الى جسمه بقى حافظا لأصله ناقلا للمرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقتنصه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عناشرا وبيلا والذباب نعمة لأنه أزال عناشرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للانسان في حياته الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة المفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم انى وأنا أكتب هذا أحس بأن نفسى في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجبال واضحا في الحشرات الحفريات فضلا عن الكواكب في السموات . يا الله ها أنا ذا وهام أولاء قراء هذا التفسير معى هانحن أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس ويحقرونه ولا يباهون له

يفشى الطالب حلقات العلم ويرى خشوعا وكالا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم في مضرّة هذه الحشرات المنبذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه وبرون الحكيم في حكمته . يضحك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مرّوا بهم

يتغامزون \* وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين \* وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون - . كلا . كلا .  
نظام محكم وابداع متقن . ذباب يحيل الرطوبات . وعنكبوت تقتل الذباب وخيام فيها آلات صيد الذباب .  
بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له ﴿ حالان ﴾ الأولى ﴿ وهو طفل يرضع  
ندى أمه ﴾ الثانية ﴿ الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآخرها خيرها هكذا للأُم ﴾ ﴿ حالان ﴾  
حال الارضاع من أمداء الطبيعة . فمن الزرع يلبسون ومنه يأكلون . وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون  
الانسان في تمام كماله كالحيوان في نشأة حاله

هاهم أولاء أهل الأرض الآن ﴿ فريقان ﴾ فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية  
وقد غلب الفريق الأول الثاني . انى أنا الذى سلطت الأولين على الآخرين فغلبوهم وأمرتهم فقهرتهم .  
هاهى ذه الأمة المصرية وأمثالها من الأمم الزراعية التى لاعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا . هذه أم بقيت في  
حضنة الطبيعة كما تحضن الأم ولدها ولكنى أيها الناس لأريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا  
رجالا وذلك بالصناعات . لذلك أنزات لكم في القرآن - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . فكل من كان  
أقدر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهو منظم مقدر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله  
وأسلطه على من بقي في حضن الطبيعة لا يبرحها . لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية . ومما مثل الأمم  
الصناعية إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . وهذا البيت وان كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم  
درسا متقنا . إن أهل الصناعة يغلبون من لا صناعة عندهم . فتكت العنكبوت بالذباب . هكذا فتكت الأمم  
الصناعية بالأمم التى لا صناعة عندها . أفلا تعقلون

ليس كل من كان موفور الغذاء مكرما . وليس كل مكدود منهك في العمل شقيا . كلا . بل الأمر  
بالعكس . إن الذباب موفر الغذاء في كل مكان ولكنه مهان . الذباب لا يعوزه صناعة ولا زراعة ولا تجارة .  
يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل . والعنكبوت حكم عليها أن لاتأكل إلا من كذبها وأن لاتعيش  
إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت الذباب

لله ﴿ كتابان ﴾ كتاب مسموع بالوحى وآخر مشاهد بالبصر والكتاب المسموع يوحى للأنبياء على  
مقدار عقول الأمم فيكون فيه الكناية والمجاز والابحار . وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده  
المقربون فيعقلون عن النحل والذباب والنمل من العلم ما تحرّ له العقلاء سجدا وهم موقنون  
الله أكبر . إن الأمم التى أضحت في خفض العيش ودعته موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا  
في خطاب أرسطاطاليس والاسكندر . والأمم التى تألب عليها الأعداء وذاقت أنواع النصب والتعب يظهر فيها  
المحتزعون والمفكرون . أولئك الذين لا يبنون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد  
أحيط بالأمة من كل جانب وبهذا يظهر سرّ قوله تعالى - فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول  
ربى أكرم من \* وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهان من \* كلا - فالذباب ابتلاه ربه بنعمه  
ولكنه مهان والعنكبوت اضطرت الى صنع البيت لصيد الذباب وهى أرقى من الذباب . الذباب لا صنعة له  
والعنكبوت صانع ماهر وآخرهما أرقى . هكذا فلتكن الأمة الاسلامية أمة صناعية زراعية تجارية والا ذلت  
للصانعين وخضعت للغاصيين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلّ بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو  
ألفين وأخذهم منها كرها لبلاد الترك فرجعت الأمة المصرية زراعية لاتعرف الصناعة . ذلك لتبقى ذليلة للترك  
كذل الذباب للعنكبوت

أيها المسلمون . ألم تقرأ نبا إبراهيم عليه السلام إذ وُجِّع قومه على ما يعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا



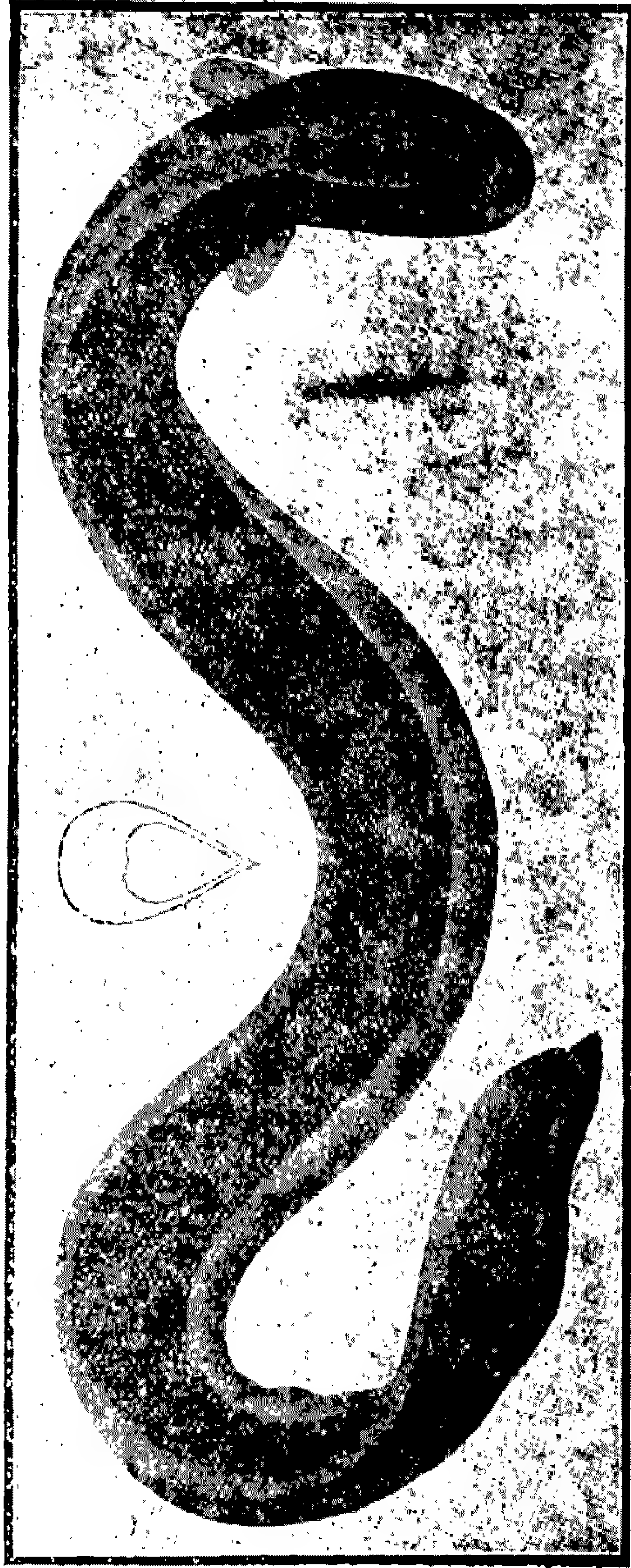
آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لآراء الآباء . هكذا فليفعل الجيل المقبل من أم الاسلام فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أو نبذوا أمرا نافعا ألقوا هم عن الضلال - فاذا بعد الحق إلا الضلال - هذه عجائب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل القرآن . وعلم أن المسلمين ستمضي عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب في هذه الحشرات فقال - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين - وقال في (سورة العنكبوت) - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام ردا على الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ما رآه في هذه العجائب في النحل والعنكبوت فان هذه لا يعقلها إلا العلماء الدارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب انه سبحانه سمي سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم الذباب مع ذكره في القرآن تنبيها على أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة بأس كما تقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيما ذكرناه - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - هذا ما فهمته اليوم من قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نور على نور في قوله تعالى أيضا - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - ﴾

هذا تقدير الله وخلق فوق الارض بالعنكبوت وفي الجو بالنحل . ويقول الله تعالى - ما رى في خلق الرحمن من تفاوت - فالتقدير الذي نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذي نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء وفي الجو . فهناك أمثلة ثلاثة حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العسل والسم وكذا العنكبوت الغزل والسم . هكذا نرى الخيتان في قاع البحار أوتى بعضها قوة الكهر باء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس الكهر باء على وجه الأرض وأوتى قوة الجرى حتى يفر من عدوه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلمها بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)

ها هو ذا صاحب السفينة الذي يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - قل ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذي اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه السلام سفينه . ولكن القول هناك كان بالرسم فلأترك هنا شكل السمك الذي جعل سلاحه الكهر باء وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و (شكل ٣١)



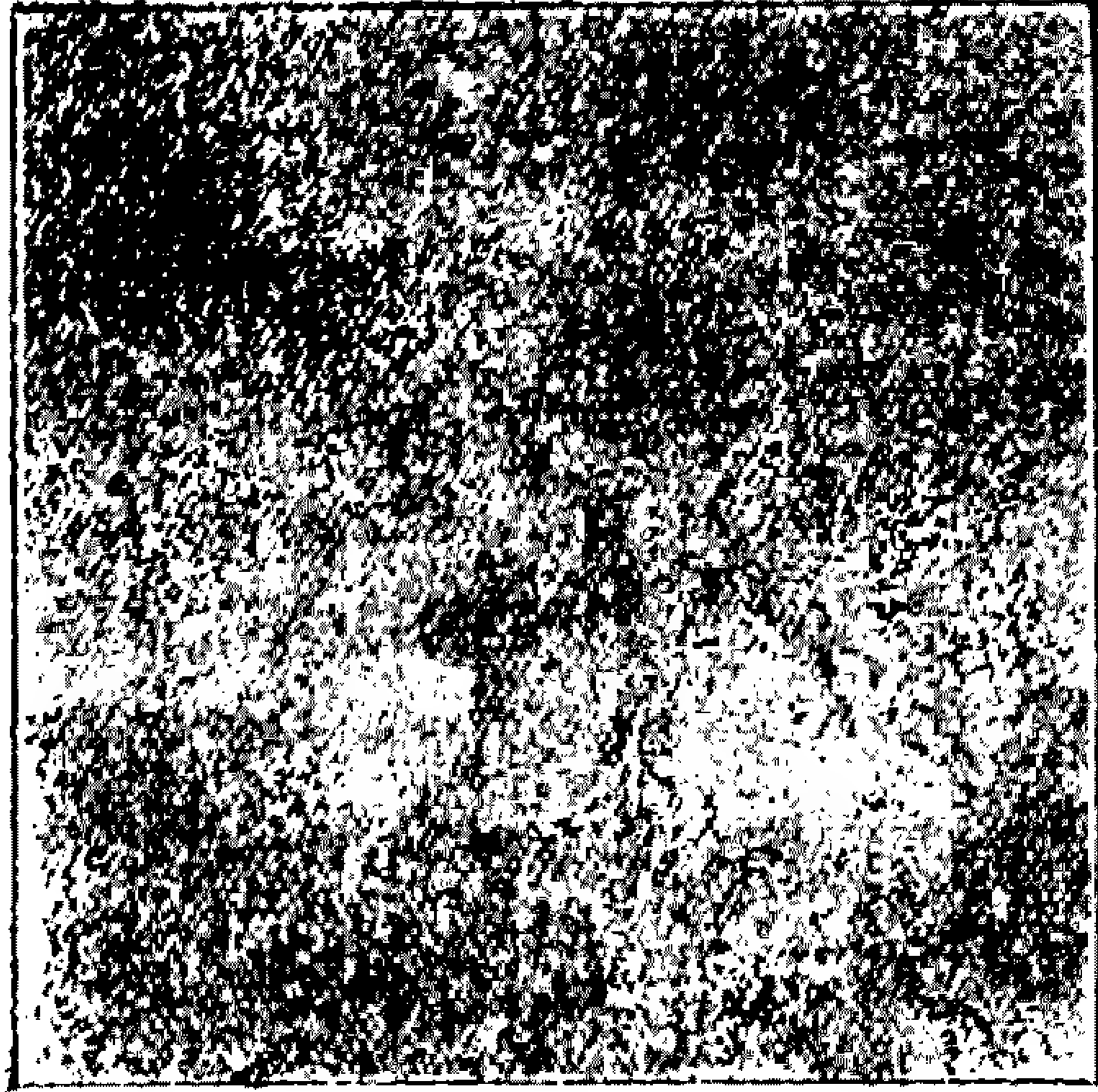


( شكل ٣٠ وشكل ٣١ - هذان الشكلان نقل عن المقتطف )

سمك كهر بائی من نهر الكنفو      سمك كهر بائی يكون في البرازيل ويشبه الانكليس  
اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة بالتر بيد وهو كثير في بحر الروم والارقيانوس  
الهندي والاندلسي وهو قد يصرع الانسان بقوة الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الانكليس الكهر بائی) وهو  
أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائته . ومنه سمك  
القط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات افريقية . والكهر باء المذكورة في السمك تتولد من صفائح  
عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمساطر المستدسة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسيج ليفي  
وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعدت لقتل الحيوان الصغير لأكله هذا السمك . وتذكر ما تقدم في سورة  
الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهر بائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها  
فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتعجب كيف وصل الانسان بعد



الجهد الجهد في العلم الى ما أعدت السمك فان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . والعجب كيف يعطى كل حيوان سلاحا يوائمه . وان من شئ إلا عندما خزانته وما ننزله إلا بقدر معلوم . فله عنكبوت شبكته المناسبة لاصطياد الذباب . والسمك الرعاد لا تنفعه الشبكة فأعطى قوة الكهرباء ذات البطارية المتقدمة . أفليس هذا من العجب أن يظهر سرّ قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . في سمكة في البحر وفي نحلة في الجوّ وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



( شكل ٣٢ - صورة النوتيوس أو صاحب السفينة )

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي البهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والذي لا فقرات له كالهوام والدود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جلديا متصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفا وقد يكون (كاسيا) أصلب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التي منها الخلدون الصغير والبوق العظيم الهائل . فمن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقرّ الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أي سفينة . ومعاًوم أن صاحب السفينة بالعربية يسمى (نوتي) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالتوتى سواء بسواء . فيها يعوم على سطح الماء ويديرها بأصابعه الست فيرسلها الى الجانبين كالمجاديف وقد استعمل العضوين العشائيين كأنهما شراع السفينة . فتي أراد السير جندف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الربان سواء بسواء فاذا أخطق به الخطر بأن أناه النوم مثلا قبض بأصابعه وشراعيه ودخل الصدفة وغاص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق ببيته . وهذا الحيوان يكون في بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينته نفعا له في أسفاره ودرأ للخطر عنه وهذا قوله تعالى . وخلق كل شئ فقدره تقديرا . فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفعه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إذن ؟ هو السفينة . إن ربك هو الخلاق العليم . وكما رأيت في البحر ماله سفينة فان فيه ما هو طيار حتى تتم الحكمة فله في جنبه زعانف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعانفه كالشرع وطوله يزيد على نصف متر وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحر الأحمر وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبعضه لونه زاه بين أزرق سماوي وفضي وتطير أسراباً ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولحمه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيراً ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعضها الخيام على الأرض فتقتنص الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعتها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفناً تجري بها على وجه الماء ومتى لمحت حشرة فوق سطح الماء أسرع لتلقاها وجعلتها في سفينتها وأكاتها بهدوء وسكينة

هذا هو التديرو والنظام العجيب . فاعجب اسمك يطير ولا يصنع السفن ولعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الإنسان . وللعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الإنسان سفن صيده . فإذا رأينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجدوا بها في الصيد فقد سبقتهم بها العنكبوت . وهكذا إذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع العواصف لإهلاك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فريسته

فهذه نبذة يسيرة جميلة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - فاقراها وقرأ ما تقدم في قوله تعالى - الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذي تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - وناظيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضاً عند قوله تعالى - وترزق من تشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مفرطاً في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - وفيها أيضاً عند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا في آية - وخلق كل شيء فقدره تقديراً -

ولما اطالع صاحبى على هذا المقام قال لقد أبنت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالكهرباء والحیوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكاتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من عسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبناها هنا بديعة وصورها مشوقات للمباحث العلمية فهل خطر لك هنا خواطر تدعو إلى هدى أو ترد عن ردى فاني أرى هذه سطوراً سطرت في لوح الطبيعة والله اني ليخيل إلى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشرائع الذين همما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضى . أقول انه يخيل إلى انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجبال . فقلت نعم ههنا

﴿ بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة ﴾

وهي ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في خطاب الله للأمم ﴾ الفصل الثاني ﴿ في خطابه تعالى للمسلمين ﴾ الفصل الثالث ﴿ في خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والكهان . فلما سمع صاحبى ذلك قال نحن الآن في مقام جلال العلم والحكمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ في علم اليقين لاني ظنون وأوهام . فقلت ما الذي رايت في قولي هذا . قال رايت انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفرقون بين الأولياء والكهان . فهذا التعبير يوهم أن الله يخاطب الناس مع



أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطايا . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المؤلف . فالله إنما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولاوحى هنا . فقلت خير لك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - ستجدنى إن شاء الله صابرا - حتى تتم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

### ﴿ الفصل الأول فى خطاب الله للأمم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسـان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التى منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه فى هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بحائط متين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازلنا ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا المنوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلا أيها الناس « اننى لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلها أجسامها مخلخلة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والذى له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فالذى عظمه من داخله هى ذوات الفقرات كالانسـان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والذى يكون جسمه الصلب من خارجه فهى ذوات الأصداف ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لاصلاية لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما فى منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل واللحم والجلد من الخارج والحكمة العليا هى التى قضت عكس ما نصنع فى بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالحواس والحفاظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون محيط الجسم صلبا كهيئة ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجوّ والطوارئ وهذا هو السرّ فى قوله تعالى - خلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقبه بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وإنما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم تخالف المؤلف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وحجر النوم خارج سور المنزل . فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحفظه كالحيوانات الصدفية لأن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف المؤلف المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اتقانا من صنعة البنائين فى الأرض فلذلك جاء فى القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت فى عالم الخلق وكأن الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعقبنى عن الخلق شئ فلا عظم منعى عن الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافته وصلابتها . ولقد فعلت فى أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت فى ثمرات الشجر فتارة أجعل الشحمة فى الثمرة وهى طرية خارجا والنواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسـان . وتارة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخل كاللوز والجوز فأنا لا يحجبني شئ . وهذا درس لكم اتعلموا أن سعادتكم لا تتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا سعادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكا أو سوقة وكونوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء فكونوا كما تشاؤون . فهذه الأحوال لا تحجب السعادة عنكم كما لا يحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

### ﴿ الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيارة في الهواء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الجو والصدف يسير سفينة في البحر . فيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا ليرشد عبادي إلى الأعمال الصالحة وأمر سنة أعظم من سنتي وأمر سبيل أهدى من سبيلي . إن سبيلي تنويع العمل وإبراز أجمل الصناعات وأبدع الحكم فإذا رأيتم لطف في إبداع الخريز في جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفي جسم النحل في إبداع العسل وفي جسم السمك في إظهار الكهرباء وفي حيوان السفينة في إعطائه سفينة فعناء انكم يجب أن تبرعوا في الصناعات لاسيما إذا رأيتم الأمم حواسكم قد برعت فيها فأمر نبي من أنبيائي يأمر أو يبيح لعبادي أن يحرموا على أنفسهم اتباعي في الإبداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليبرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والافهم الأخسرون أعمالا - الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا -

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدوير الحرب وفي نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرقى في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

### ﴿ الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الإسلامية المتحيرين في خوارق العادات ﴾

#### فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخلوقات وصنعها . يقول أيها المسلمون ليس امتياز طائفة من أهل دينكم بالآخبار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على أيديهم تفضيلا لهم عن سواهم . إن الآخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المؤمنين تنويعا معنطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تأليف) وتقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صيرفيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبي لا يعقل شيئا مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التنويم المغناطيسي أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومما مثل هؤلاء إلا كمثل الهدهد إذ قال سليمان - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - فهل هذا الهدهد أفضل من سليمان ، أو كمثل الخضر مع موسى فالخضر عرف حال السفينة وأمر الغلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء - . إذن الأنبياء لا يعلمون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا نقص وكيف لا يكون نقصا وهم إذا علموا الغيب أصبحوا ولا عمل لهم ولا فكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لا فكر لهم ولا تدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكافون وهم لا يعلمون الغيب وإنما يوحى إليهم الشرائع والتوحيد وما عدا ذلك هم فيه مجنون . ومما مثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الجوّ بلا أجنحة . فهل أدهش هذا سائر الحيوانات فعدتها سيدتها جميعا . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهرباء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجري المراكب يشابهه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خرقت له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيلي وجهلتم قدرى ولم تعقلوا قولى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة - سلطت عليكم شيوخا جاهلين فجعلوا الدين شركا واتخذوكم ذبأبا واصطادوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم سيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فاني أرسل هؤلاء ليمتصوا دماءكم لأنكم نسيتموني فأنا أيضا أنساكم وأترككم



في أيدي الجهال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطر يمر عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سالما يصل عليه المستعمرون رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا ساء مثلاً الماسمون المغفلون الجاهلون (اقرأ ما تقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى - الحج من كلام الشيخ الخواص والشيخ الدباغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق باباً للرزق فهو من - الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام أشبه بالمثل المشهور ﴿أكل بيد القط﴾ وسببه أن الفرد استعمل يد القط في أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من النار المتقدة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلاً افرنجياً . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاتحون لبلاد بعض أمم الاسلام ويأمرونهم بالأوراد ليلاً ونهاراً ولا يأمرؤنهم بالتفكير والتعقل ليظفروا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبي لقد تمّ القول الآن في الفصول الثلاثة فأرجو اجابتي على ما سألت من قولي لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضع الميزان \* ألا تطفوا في الميزان - فالله وضع النظام في السماء والأرض المعبر عنه بالميزان لنزن نحن بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فارجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضى بني الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالدقة . إذن الناس يقلدون ربهم في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا فداناً ولا أردباً . قال صاحبي هذا حسن ولكني أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قالت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فهذه الدابة سبجانه بعد أن ذكر تربته لكل حيوان وأنه آخذ بناصيته أبان أن هذه التربية في غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفننا على مقتضى في البحر وفي القطارات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكلنا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سبنسر) يقول ﴿إن الناس قرؤوا قبل أن يكتبوا﴾ فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكلة للطبيعة ليكون النجاح . فعلى المعلمين أن يبتدئوا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشرح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أممهم أنفسهم . فمن جهل تاريخ أي علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استحق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو نفسه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعو الله أن يسير عليه . إذن ظهر لك أن قولي إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجهل بعضه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبي ذلك قال أنا لا أجادلك في هذا القول بل أقول انك أثبتت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فان قوله تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان - الحج وقوله - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دلانا على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لنهيجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهربي وكل ما ذكر فيها كلام عام واستنتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه ايضا فان ذلك يكون نموذجا لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقنوا ايقانا تاما بأنهم في قراءة الحشرات والذرات في أجلّ عبادة ويعكفون على أعمال التجربة في الأعمال الكيماية والأعمال التشريحية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين -

انظر العجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - لجعل الماء الذي يغرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التي منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات الراحقة ذوات الفقرات - آيات مفصلات - ألا تعجب معي كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات - . إذن الآيات المفصلات كما تكون قولاً تكون فعلاً ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكتب الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - ( بكسر اللام ) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم ويقول ان العنكبوت وأمثالها ضربت أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثال الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبي هذا أمر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويحسون بالدم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يأتون لها ولا يقيمون لها وزناً وغاية الأمر أن يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقروآت المتقدّمات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ مرّ عليها كما يمرّ على أكثر القصص يحترمها احتراماً دينياً . أما انها تحتاج الى تعقل وفكر فهذا بعيد وغريب سل عاتة المسلمين من علماء وجهال وقول لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والدم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعاً يجيبونك بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا نحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت ستري الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار في أرض عراء فلمح جبلاً فظن انه يصله في عشر دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهي بعيدة فيظل المسكين سائراً أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالمعلومات قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهاك الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى اني أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله ويؤمنوا . فهنا ( أمران ) اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والايمان به فارسل الطوفان يهلك الأمم فهذا القهر يورث القلوب اعظاماً واجلالاً لله وينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التي لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويجري في النيل سائراً الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسيحون وجيحون والنيجر



في السودان وأمثالها وكالطونه وفلجا والتميس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والنسل في كل سنة فلولا أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر كانت وبالا عليهم فتغرقهم تارة وتجعل أرضهم قفراء تارة أخرى ﴿ والدليل على ذلك \* أولا ﴾ ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد علي باشا أي نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو أنفي ألف انسان (مليونين) لا غير وذلك بسبب اهمال الحكام وجهلهم إذ ذاك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضا قفراء تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدادها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلاً لسقي أرض أوسع مما يسقى الآن فيفتدى بالزراع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء لهذه الحكيم العجيبة

أليس من العجب أن تكون أرض اليمن ملك أمة اسلامية وقد سمى الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سدّ العرم وانه كان فيه جنتان . فياليت شعري أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطراً في فصول السنة وهم لا يحفظونه فيترك الأرض قاعاً صفصفاً لا تنبت نباتاً . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أمم قبلهم عباد أوثان في اليمن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويذكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت المعلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط ﴿ ثانياً ﴾ ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه \* ويقول شاعرهم

مرّ الجراد على زرعي فقلت له \* لا تأكل ولا تشغل بافساد

فقام منهم خطيب فوق سذبة \* انا على سفر لا بد من زاد

وأن الثاني يؤذي الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعبده عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرؤون في كتاب ﴿ كليله ودمته ﴾ أن البرغوث حلّ ضيفاً عند القملة في فراش رجل غني فلدغه البرغوث ليلا ففرّ البرغوث وبحث الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثلاً لمعاملة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان باثراً بال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لا تنقف عند هذا الحد فان هناك فرقا بين الخيال والحقيقة . فالذي في ﴿ كليله ودمته ﴾ ضرب مثل خيالي والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أي انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى ألقى اليهم . فقال فما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايداءها قاصراً على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العاتقة . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يراد بها خصوصها بل المراد هي وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب ﴿ كليله ودمته ﴾ فأمثال القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافاً دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلاكه علماً وأن يكون طوفاناً هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذا كررت برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمّد هذا التفسير بالعلم وأيدني فيه تأييداً لم يكن ليخطر لي . ومن عجب اني لا أنكف ما أكتبه بل تساق الى المجانب من حيث لا أحسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من الفيران الى الانسان تديانا لما قلناه وهذا نصها

### ﴿ خطر الفيران ﴾

( تاريخ حياتها )

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سن الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بضع ساعات من الولادة والفأريولاد عاريا من الشعر وأعمى وآذانه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الاسبوع الرابع من عمره . وتحمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدد ما تضعه في كل مرة

### ﴿ طبائع الفيران ﴾

الفار لا يخرج من جحره إلا بالليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن ما كولاتها داخل جحورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر جحورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتتبع في رحلتها طريقا خاصا لا تتحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل في الربيع الى الغيطان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في المنازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضي فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراص من وقوعها في المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سيما اذا قلّ مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنهش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتنهش لحما . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأندائها . وهي تقتل صغار الأرانب في جحورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها

### ﴿ الخسائر التي تسببها الفيران ﴾

ان الأضرار المادية التي تسببها الفيران لا تحصى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد في اليوم يقترب ربع ملم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصري (١٤) مليونا أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) لبلغ مقدار ما يضيع سنويا في غذاء الفيران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأخطار بحفر جحورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيdan الكبريت الى جحورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

### ﴿ الفيران والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه الفيران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة تحمل جرائم عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يصيب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لدغ البرغوث . وداء الاسبيرونيوتا المصحوب ببقان ونزيف والتولاريميا والمرض بالدودة الخيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحجى المنسببة من عضه الفأر

### ﴿ طرق إبادتها ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والفضلات المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم



(٢) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها الماء كولات والتي تغشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها إليها كالأسمنت

(٣) يجب سدّ الجحور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على قفها  
(٤) يجب سد نوافذ البدرونات السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها الفيران بقطع السلك أو الزنك  
(٥) استعمل مصائد الفيران في المحال التي تغشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل مرة وتغيير الطعم يوميا

(٦) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات والطيور أو الأطفال

(٧) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها  
(٨) انشقةطعا من النفتالين أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تغشاها هذه الحيوانات فان الفيران تتركه رائحة هذه المواد ولا تقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر الى مرض البرقان والذئب ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد والقمل والفيران من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظر كيف اتحدت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالهم بدون قراءة العلوم يعرفون خطر الفيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس لماذا ذكر الله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يعقلها إلا العلماء إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . فهذه من مبادئ العلوم التي سيعرفها المسلمون بعسنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه المخلوقات آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالذباب أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا (أميرين \* الأول) أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يغرقون بالطوفان في الآية ولا تسلط عليهم الحشرات (الثاني) أنهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب الحكمة فعرفوا ربهم وبهذه المعرفة غرسوا لهم رذات في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية لا يحظى بها سواهم . فلانعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون . وهالك مثالا آخر وهو

### مرض الدنج

( أعراضه . جرثومة المرض . أسباب انتشاره . وصف الستيجميا . أدوار حياتها . مقاومة الدنج )

( بقلم الدكتور سامي بك كمال )

لم نعتز على وصف هذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال بالحرف الواحد ما يأتي

( في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقديريد

على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأتى الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة ﴿ انتهى ﴾  
وكلمة الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويغاب على الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وماجاورها . وربما سموه الدنج تحريفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبى الركب) ومن بعدها (بحمى البالج) حيث يتفشى في أوانه واستوطن بممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعطيله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأتى زمن لا يخلو منه بيت فيه مريض أو ناقة من مرض

### ﴿ أعراضه ﴾

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة جراء على الأيدي والذراعين والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه تميل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شهية الطعام وتتضخم العقد اللمفاوية أو يعترى المريض أرق أو نزيف وقد تتورم المفاصل . انما الذى لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعضلات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الاسبوع الثانى للمرض وفقد شهية الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحيحة

### ﴿ جرثومة المرض ﴾

لم يعثر لآن على جرثومة هذا الوباء وهى موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقن به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا لدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التى تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بامكان احداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحقنه الى السليم بواسطة (الدكتور كريج)

### ﴿ أسباب انتشاره ﴾

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كلياند) الذى لقح أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعمها من أشخاص فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميا فاسيانا) وهو كثيرا لا تشار في مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعمته دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجرى فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأشخاص

### ﴿ وصف الستيجوميا وحياتها ﴾

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الاسرة . يمضى حياته بقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) ستيجراد ولا تقل عن ١٧° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بغتة على فريسته ويحدث ألما أشد من الألم الذى يحدث من البعوض العادى . لا يطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات



بعيدة فينتقل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان في الصباح وقت شروق الشمس وفي النهار داخل المنازل أو خارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليلا في النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة أيام تقريبا من دم الانسان والا فن دم الحيوان

### ﴿ أدوار حياتها ﴾

لاتبيض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تغذت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أو حوض فوق سطح الماء بقليل فإذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراميل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح أو غلاف فاكهة وفي دور المياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أوفى أواني الأزهار وتجويفات الأشجار وبجوار الأنهار وفي تجويفات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أو يزيد وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيفقس في الربيع وربما كان الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٢٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش في الماء ولا يموت اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

### ﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهتدا لمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادته تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التفتيش الدقيق . انتهى وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهوا

### ﴿ بلاغ عن حى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب ﴾

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهددة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هي من أفعال الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هو من الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهي وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل والعضلات والظھر مع ارتفاع في الحرارة ووسخ في اللسان وفقد الشهية للطعام واحتقان في العينين وآلام شديدة في حبيتيهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويبتدىء المريض في التحسن مدة يومين أو ثلاثة . وبعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع وبعد زوال أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصرى

﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيه

جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الراكد كماء البرك والمستنقعات وخزانات المراحيض ونحوها ولكي تقى نفسك شر هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(أ) أبذل كل الجهد في عدم تمكين الناموس من الدخول في منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جميع الناموس الذي يدخل منزلك

(ج) غط سريرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش باحكام

(د) لا تترك مياه راكدة في البراميل أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل

كل أسبوع

(العلاج) إذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعزل المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس اليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . وبقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض اليهم وانما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على ابداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لا تراها تدخل في أجسامنا لاعدد لها ولا تراها العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولا منجى من خطر الحامل ومحموله إلا بالدراسة وارتقاء الطب ولا ارتقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات الدقيقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثانية

(اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً - )

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيئاً بل هم مخلوقون ولا يدفعون عن أنفسهم ضراً ولا يجلبون نفعاً ولا يحيون ولا يميتون ولا يعيدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالإله يكون خالقاً لا مخلوقاً ولا يضره أحد ويحيي ويميت وإذا أمات أحداً أعاده هذا هو الإله وهذه الأصنام لا قوة لها على ذلك والذي يهيم في هذا المقام قوله - ولا نشوراً - ومثل هذا القول يمر على أكثر الناس وهم نائمون كأنهم لا يعلمون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناماً اتصفت بصفات لا تليق بالالوهية ومنها أنهم لا يحيون مآت من المخلوقات . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر وتعجب كيف يذكر ذلك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب الفكر في الالوهية . لا يثبت إله في العالم يخلقه مالم يكن حكماً والحكيم لا يفعل العيب . ومن العيب العظيم أن يخلق خلقاً ثم يعدمه بلا فائدة فهذه قسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا أنها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا ظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادفات . فالالوهية تستلزم البعث فيبين الالوهية وبين البعث تلازم اذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكماً واذا لم يثبت فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولاجنة ولا نار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تجد القرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر فتسمع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذن في عدد (١٩) الذي مر ذكره في اللطيفة السابقة إذ جعله قدماء المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعلو الأولى مرموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات من



قوله - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - فالذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد انضح في هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظرأيها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ماجاء في الفلسفة القديمة والحديثة والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متحدون . انتهت اللطيفة الثالثة

( اللطيفة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - الخ )

اعلم أن النوع الانسانى درج على هذه الطريقة وسار على هذا الناموس فلا يعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولا يعلم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفلة وعدم فطنته لا يأبه بالامور المعتادة ولا يعقل إلا ما هو خارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهم بالغرائب والمجانب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظيمة النفع عالية القدر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالمجوس من الناس فلا يأكل الطعام ولا يمشى في الأسواق أو يأتي لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له وتعظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلا يحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشئشنة المعروفة في الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقروه وقالوا أنت مثنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هو السارى في نوع الانسان . فالناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يستمعون القول إلا عن يرويه بحال تدهشهم فان كانوا من العامة صدقوا المجاذيب وأمثالهم وان كانوا من الخاصة لا ينقادون الا لرجل أوروى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرّر ابن خلدون أن الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجيوش الجرارة . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظركفار قرىش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يعترفون بهذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العامى الجاهلى السفسطائى يلبون وجوههم عن الدين ويفترون منه فرارهم من الأسد ويصبح في نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ في نظر كفار قرىش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤون هذا الدين بين ظهرانينا . ألسنا نحن القائمين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وما شأن دينهم بمثل هذه القضايا الكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغباوة لأن أهل دينه لا سلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكأن الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فلما ضعفوا صار باطلا . وهذه هي القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ( السيف فى يد الجبان عصا وفى يد الشجاع سيف ) وهذا القول لا يعقل ولكنه يعقله الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا باجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - فوصفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل فى القضية التى احتجوا بها كما قدمناه وانما لم يذكر خلل هذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى فى هذه السورة إذ يقول الله للأصنام - أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل \* قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للمعبودين - أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - فتبرأ المعبدون وأسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآباؤهم من قبلهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوم ابورا - هلكي . فانظر وتعجب كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من التمتع الحاصل لهم وآباؤهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا التمتع هو الذي ذمه الله في قوله - واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - فالتمتع يورث الفسوق والهلاك في هذه الآية ويورث الهلاك في آياتنا التي نحن بصدددها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن \* وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن \* كلا - الخ وقوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظر وتعجب من آي القرآن وعجائبها وارجع الى مانحن بصددده من الآيات فان قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يعين فيه الضلال بفساد الحجة الذي يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفطنة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضللناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لتمتعهم بالخيرات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس في المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتنعم . فترجع الى الأنبياء فلوانهم كانوا مترفين منعمين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الامور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأننا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويرعون الغنم تنشيطا لهم وتقوية لأبدانهم وتدريباً لهم على الأعمال القوية للبدن المنشطة للفكر المبعدة عن الكسل المدرجة على المشاق حتى اذا سادوا الناس ألزموهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جامعهم . انظر وتعجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وتلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنات وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تنقيظ وأن لها زفيرا وانهم اذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بالهلاك وانهم من اللائق لهم أن يدعوا هلاكا كثيرا ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للأتقيين ولهم فيها ما يشاؤون ثم يحشر المعبودين والعابدين ويسألهم ما سبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - وكان ينبغي أن ينزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن التمتع باللذات ينسى الذكر ويورث الهلاك فليس في ذلك معجزة ولذلك قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - الخ فهو في

#### ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشي في الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التنعم ينسى الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضوائهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى . إن الملائكة



منزهون عن المادّة والناس في الأجسام فكيف يقدرّون أن يقابلوهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعذرة مالم يصبح الكثيف لطيفا فإذا لطف أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلا حيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسميّة . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوية لا يتسنى لها أن تكلم إلا نفوسا تنزّهت عن المادّة وتعالّت عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للأمور العالية الشريفة . شفقتها عامّة ورحمتها عامّة وشهواتها بمجموعة ولذاتها مفقودة لامطعم لها ولا مطمع إلا في الأمور القدسية والمعارف الإلهيّة ومقابلة ربّ البرية ﴾ فهذه هي التي تشتاق إليها الأرواح العالية وتنزل عليها في المنام تارة وفي اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الهجائية في ورقة وتوضع كأنها إطار أودائرة محيطة بالمائدة أي فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمرّ على هذه الحروف متحركا بالسيال الذي ينزل من الأيدي وأصحابها لا يعلمون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج يدور الفنجال ويمرّ على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيت بعيني رأسي . ومنها أن يضع الانسان قلما في يده ويستمرّ ربع ساعة كل يوم حتى تحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جلا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من هذا التفسير وهي كلها مذكورة في الكتاب الذي ألفته في هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم المغناطيسي بحيث ينوم (بفتح الواو) انسان وتأتي روح فتكلم بلسانه وهذه كلها تقدّمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهر أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فتبين حقاانه لفائدة إلا في علقو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقتربون من الناس بالالهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطابا صناعيا فأنما هي أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فإنها ملتزمة الفكر لا تحب إلا ما كان عاليا شريفا ولا تخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الانسانية . فالنفوس المتصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استلبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلا كم لا لارشادهم

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - أأنتم أضلّتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - ﴾

قد تقدّم شرحها في اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . ولقد جعل التربية ﴿ بأمرين ﴾ نعمة ونقمة فلا نرى نعمة إلا كان معها نقمة وقد جعل الضدين يتسابقان لخبرنا سواء أعلمنا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل الضدين في كل شيء الليل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والإيمان والكفر وترى الزرع يصاحبه الانسان والماء والشمس ويفسده الآفات العارضة . وترى الانسان يعتربه المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا نرى له العدو والصديق ويظن أن أكثر الناس أن العداوة ضرر محض وما علموا أن الآفات والعوارض مقويات لمن ترد عليه جسما أو عقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب اتقائه الماء كل الضارة فعاش سعيدا قرير العين . وكمن فقير صار الفقير من أهم أسباب ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت حشائش مهلكة للزرع تكتفى بالهواء والماء والأرض وتكون وبالا على القمح والقطن والذرة فيسعى الناس في إزالتها بتعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل ما فيه نفعنا لا يتم كماله إلا بعد الشقاء والتعب في المحافظة عليه والدأب في حفظه وإبقائه سالما . ومن عجب أن المزارع التي نحتاج إليها ضعيفة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضارة فإنها لا يعوزها شيء من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا نرى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الجراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعد بالآلاف الألوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجدرى والحصباء والتيفوس والتيفود وأنواع الحى الكثيرة . فإذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المحدثه لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا وتخرّبها وتلفها وتهدمها قائلتها تلك الجيوش الحرارة خاربها فحصل في أثناء العراك والصدام واشتداد الوطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوغى أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال إن المريض ارتفعت حرارته . فإذا غلبت الجيوش المهلكة مات المريض وإن غلبت الحيوانات التي في كرات الدم الجراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك تجدد الأطباء يعمدون إلى الأطفال وإلى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعد بالآلاف فيدخلونها بالابر في الأجسام كالمادة التي فيها حيوان الجدرى . فإذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب ما في الجسم من الحيوانات الدرية في الكرات الدموية فترتفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراءة على القتال وشدة في الحرب حتى إذا جاء مرض الجدرى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالرصاد لأن أجسامها قوية بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا ما يقوله العلماء في الحيوانات الدرية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذي يفتك بنا . فانظر كيف أصبح العدو هو النافع المقوى وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والجور وانظر كيف يقول الشاعر الحكيم

عدائى لهم فضل علىّ ومنّة \* فلا أبعد الرحمن عنى الأعاديا  
هم يحثوا عن زلتى فاجتنبتها \* وهم نافسونى فاجتنبت المعاليا  
فلست بهيباب لمن لا يهابنى \* ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا  
كلانا غنى عن أخيه حياته \* ونحن اذا متنا أشد تغانيا

وقد خست هذه الآيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظر في الطير في جوار السماء وفيه الصائد والمصيد فالصقر يصطاد الخطاف والخطاف يصطاد العصفور والعصفور يأكل الدود والدود يأكل الانسان والانسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضا والعداوة متواصلة والصداقة كذلك . فانظر كيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصداقة في كل شيء . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيتة لكل شيء فنراها تطبخ اللبنة فتجعلها أجرا هكذا العداوات مكملات لنوع الانسان فهو إن قام جسمه باللبن والغذاء وتربية الوالدين فإنه تقوى عضلاته ويقوى بالخصامات والصبر في المشاحنات والمنافسات . فعلى الرحمة انشاؤه وعلى القوة الغضبية النارية بالتنافس والعداوات تقوية ملكاته . هذا هو السر في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - فانظر كيف أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوا من المجرمين - لأن عداوة المجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر



ولذلك سمى بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن التمتع بالخيرات يدعو الى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنة للضالين والضالين فتنة للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتتم بمحمد ونبوته وامتحنتم لنظركم هل تصبرون في التفكير والتعقل فتعرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يخل بالنبوات وفتن محمد وامتحن ليصبر على شدائدكم وكفركم وايدائكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - قال النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يعلمهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

( اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا - ) يقول الله ان الكافرين يعدد سبحانه الى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجعله مفترقا لقيمة له . وسبب ذلك أن كل شيء لانفع فيه إلا بالعزيمة ولا عزيمة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية ( وبيانه ) أن الذي لاعقيدة له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامي التي يرمى اليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما اذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله تنجى الى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أوقوة صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ الى الله وهو مجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته وما هذه القوى النفسية الانسانية إلا كضوء الشمس فانه يكون في الجو متفرقا مشتتا لظهوره في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فاذا ملامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأنعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلولا اجتماع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهى زرع ولا درى زرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نيات الانسان اذا تركت وشأنها وهكذا كل ما يعتريه اذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها الى وجهة واحدة تطايرت وذهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح ( إن الانسان اذا وجه فكره الى الامور التي يقصدها بهمة فان همته تستبق الى المقاصد متى كانت على ثقة بمقاصدها ) ولذلك كان أشرف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للغرض الذي يقصدونه ويسمون بأنفسهم الى ما يقصدون . وهكذا يقولون ( إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه اليه فان تلك الهمة تحرك من صاحب تلك الصورة همة تتجه الى من قصدها ) وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يحبهم ويحبونه - ويقول ( من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ) ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في نفسها من اتجه بقلبه للخلق فنبته صادقة فيما اتجه اليه وهكذا من توجه لله كان الله عوناً له . وعليه يكون التوجه لله حافظاً للأعمال من التفرق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلا عنان يسكنها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحميد

( جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا - ) كنت على شاطئ النيل الشرقي يوم ١٠ يناير سنة ١٩٣٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يقرؤها فسلمت على وأخبرني انه من مدرسة ( دارالعلوم ) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها ( مسألتان \* المسألة الأولى ) إن الله خلق العالم وكيف تتصور وجوده وعقولنا لاتعقل كيف كان هذا الوجود ( الثانية ) كيف يعتد بنا وهو المقدر لجميع ما نفعله . فقلت أما سؤالك الأول ففي الحديث « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » . فقال نعم ولكن أود أن أكون حرا معك فلا تقيدني بالحديث لأن عقلي لم يقف عند الحديث وهو يطلبنى فأنا أطلب منك إيقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ما نأج ضرب ه في ه قال ٢٥ فقلت و ٢٤ أليس حاصل ضرب ه في ه قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا ( أمران ) واجب وهو

٢٥ ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكيف يستحيل أن تكون حاصل ضرب ٥ في ٥ قل نعم قلت ما الذي تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين . قلت أيقين هذا . قل نعم . قلت ما تقول في الامور الهندسية ؟ أبالذهن تقوم أم تقوى بالخارج . قال بالذهن . قلت هل أنت فاهم ما تقول . فقال أفهم اجبالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بحسب معنى ينطبق على الجسم المشاهد فهي صور في النفس تظهر آثارها في الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع في تصورهما الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا تتصوره إلا في مادة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهي لا تحتاج الى مادة خاصة فأى مادة تصورناها أدركنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية تحتاج في تصورهما الى مادة تقوم بها في الذهن لافي الخارج لأننا نتصور الأشكال ولا يهمننا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أو هذا المعدن فانا لا نتصوره إلا بمادة خاصة نحضرها في أذهاننا . أما المسائل الإلهية فهي لا تتوقف على مادة أصلا لافي الذهن ولافي الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحته فاني لم أستفد فائدة في موضوعي . فقلت هذه مقدمة لموضوعك . ألم تر أني سألتك في زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث أنت تصوره في ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قال نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة . قال نعم فاتها ان لم تكن موجودة كيف تصورهما . ثم قلت أواجبة هي أم جائزة أم مستحيلة . قال بل واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة في ذاتها فقضايا الحساب والهندسة والجبر هي قضايا صادقة في ذاتها ولذلك يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة في أنفسها . فإذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة في أنفسها أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصورنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية وقلنا ان هذه القضايا ثابتة في أنفسها ؟ أفليس هذا سهل لنا أن نفهم وجود الله بدون وجود . ثم انى أذكرك ( بأمرين \* الأول ) ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود . ألا ترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد الكشف الحديث ماهى إلا كجوهر فرد اذا نسبت الى جميع العوالم ( وبعبارة أخرى ) أن الأرض لو صغرت الى جوهر فرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التي تصور وجودها العلماء تساوى ( ألف مليون أرض ) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغير على هذا العدم ؟ فإذا تصور في عقول قوم أمثالا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول فإذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن ( جزئ ) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا المخلوق المعلوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - وقوله ﷻ ( تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فان التفكر في ذات الله إشراك ) وقوله تعالى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فإذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد والضعف المستمر في الانسان هذا هو الأمر الأول ( الأمر الثاني ) إن هذه الدنيا التي نسكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العدم . إن هذا العالم كله وجود لا عدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاؤها رجعت في نبات آخر وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معلوم في العلوم التي تقرأها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاؤها الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار - . يموت الميت فيكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو حي إلا بالصورة الجسمية المفكرة فإذا مات بجسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هو موجود لا معدوم



وبكاؤهم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك والبكاء في الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العدم إذن . فقال لقد نقلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا في الوجود فليس العدم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفا على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نعلم بأن هناك موجودا قائما بنفسه هو موجود هذه المخلوقات وان كنا نحن ضعماء في الأرض . فقال حقا انه قد تلج صدرى وانشرح لهذا البيان المحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يعتد بنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولادنا ذكر انه رحيم ولكن هذا التذكر لا يغني فيه أن نقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل وللغبي والذكي والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسموات العلى فلا تغني القراءة بل لا يغني معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكير ولا تفكر في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التي هي أقرب اليها من السموات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحمة في ثانيا القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ففهم الرحمة في أجسامنا هو الذي به نعقل . معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطبوات موضوعات كلها وضعا منظما . فترى القرنية محدبة الشكل وترى العدسية محدبة الوجهين وكلاهما مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يجري من الكواكب الى الأرض وأقربها اليها الشمس التي يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل اليها وهناك كواكب اطلعنا عليها بالمنظار المعظم وصات في تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف سنة بسير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فاذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تمكنا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسير قلة المدفع (١٢) سنة و بسير القطار (٣٦٠) سنة و بسير النور (٨) دقائق وتمكنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المعينة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دل على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق توازى هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقلي لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسمي . قلت فالآن أتكلم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فالمرء يهتدي بسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن في أيدي أرباب الصناعة من حداد وصائغ . فهو لاه يذيقونها في النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصدون منها . انظر رعاك الله الى ما سيمر عليك في آخر (سورة النحل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم وبنار الفحم تصرفتوا في المعادن الى حد ما . أما الآن فان الكبرياء قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنهيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها مزوج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائي قد تصرف القوم به في المواد فنزلت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التي وصل اليها (فرنهيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عينه هو وبهذه

الدرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠٠) وتوصف ألف أصبحت المادة في أيدي الناس أشبه بالشمع يفعلون بها ما يشاؤون حتى أنهم أمكنهم فصل (الاوزون) وهو (النيتروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فصل لهم نشادر كما اتحد الأكسوجين مع الأودروجين فصارا ماء

هونا بان لنا جمال الله ورجته . هواء نحس به أصبح جزاء يتصرف الناس فيهما بالحرارة . فجاء نجعله نشادرا باتحاده مع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السهاد فينبو الزرع وتكون المفرقات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بالماء إذ حوّلته إلى ثلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سهادا للزراعة وأهلا كاللقري والمدن

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قدرتنا على ارتقاها أوسع وأعظم . فآله عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا ﴿ غريزتين ﴾ للذة والمنا وحبنا وكرهه واستعمل الأم واللذة لسوقنا إلى الكمال . فقال إذن كل صائر إلى الكمال فجميع أهل الأرض صائر إلى السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كاللعن في يد الصانع في الفرن الكهربائي وهو بهذه الآلام وازديادها يهذبنا ليعذبنا إلى أحوال أخرى وعوالم لا ندريها ، إذن فلماذا يعذبنا يوم القيامة ، إذن فلنتسكل . قلت له هذه المسألة لم تعب عن أصحاب رسول الله ﷺ فانه قال لهم ﷺ ﴿ جفت القلم بما هو كائن أو كان ﴾ قالوا له يا رسول الله إذن نتسكل فقال ﴿ اعملوا فكل ميسر لما خلق له ﴾ وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها وخرابها ، وقد قال ﷺ ﴿ إذا ذكر القدر فأمسكوا ﴾ الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا إلى ما كنا فيه . قلت ستسمع الساحة ما هو أقرب إلى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت بقول ﷺ ﴿ كل ميسر لما خلق له ﴾ قال نعم . قلت ﴿ وبيانه ﴾ اتنا في هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة إليه فالطيور والحشرات والإنسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقنون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تفسيرك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل في المقصود أن مما يحتاج إليه هذا الإنسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن يكون مع كل إنسان جنة ونار فالجنة والنار العاتقان يمتد منهما فرعان لكل امرئ في هذه الدنيا فبفرع الجنة يهشون وبفرع النار يعذبون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسن النار . فقلت له لا تخلف ستقر الآن حالا فاصبر ولا تهمل . قال إذا ثبت هذا يكون عجبا . فقلت أأنت أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى ولكني أدرس في الخارج . قلت أفأنت ترى أن لك أصدقاء وأخوانا . قال بلى . قلت فإذا كسبت وتأخرت فإذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلي وأهلي . قلت حسن ، إذن عندك شيء موجود يخزيك ويحزنك على تقصيرك . قال نعم . قلت أرايت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سقطت في آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزججك ويوبخك . فهل يسكته عنك أن تجيبه بقولك ان الله قضى على ذلك أفأنت تسمعه يكلمك بالأحرف ولاصوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولاصوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك واتبعت شهواتك وقد سبقك أخوانك ولم يحتجوا بالقضاء والقدر كما احتجبت أنت أليست لك قدرة وذكاء . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تنفع الحجج ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولا لمن هو لامال عنده يتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقتر بقدر الذنب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكاف الله نفسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر



- كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب اليان بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . فقله ﷺ ﴿ كل مبسر لما خلق له ﴾ معناه ما نحس به في نفوسنا فهأى ذه ضائرنا توبخنا وتضنى أفئدتنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فمن أى البلاد أنت . قل من مديرية أسيوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرايت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريتك وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فاذا ترى من أمرك إذن . قال آتني الموت وأختني عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جلة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرأ أهلى بذلك . قلت فهل تحس بذلك الخزي الذي تحس به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتي . قلت هذان هما الفرعان الممتدان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى النجاح بلاحرف ولا صوت هما المستمدان من كلام الله الذي ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفي - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابهم ولاخسة إلا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلا هومعهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم -

### ﴿ غرائب تبكيت الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شيوارد) في مدينة (نورويتش) بانجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) باحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق ما بين لهما وعظمها ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك ببضعة اشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذهبت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشف . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) في شئ بل هي لامرأة في ميعه الشباب قد لاتتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأي القطعى بكل الشكوك التي حامت حول (شيوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أثرى في خلالها وأصبح في بلهنية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالى ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مر بالشارع الذي كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التي قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولاعليه تغلبا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بجريمته اعترافا مفصلا فقادته الجندى الى محقر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يمحجده اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التي قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وفحصه جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضى بادانة (شيوارد) بالجريمة لإدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا ولكن هندی سؤال واحد لينم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو الذي أوضحها . ألم تر الى قوله تعالى - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وترهق أنفسهم وهم كافرون - انظر أفليس التعذيب في الدنيا بعضه هو الذي قرره معك . قال نعم . قلت ان الانسان منى كانت وجهته المال والولد

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذي تسكنا فيه .  
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجهل يفهم المرء أن الحياة في الدنيا للتمتع بالشهوات  
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع أنها من السماء أي من عالم أوسع فالتحصارها في المال  
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالكسل في حديثي معك . قل ثم ماذا . قلت ان جميع  
 قصص القرآن أنت بالعذاب في الدنيا أولا مثل - أغرقوا فأدخلوا نارا - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة  
 الدنيا وللعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون - ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -  
 وجميع الحسف والفرق وارسال الحاصب المذكورات في القرآن عذاب دنيوى وهكذا قال في الثواب - وآتيناه  
 أجور في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلا على ذلك أنه ﷺ  
 وقف على قلب بدر ونادى قائلا يا أبا جهل يا فلان يا فلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد  
 ربكم حقا - فقال الصحابة له ﷺ كيف تسكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لأسمع لما  
 أقول منكم ولكنهم لا ينطقون . فهذا منه ﷺ ليفتح لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن  
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم  
 فأذن مؤذن بينهم - الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا للدنيا . فوقوفه ﷺ على قلب بدر ومناداته لقتلى  
 قريش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمناداة في الدارين بدليل انه ﷺ ناداهم وهو  
 في الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يبدئان من الدنيا بالعقل والنقل والنبوة هي  
 التي وضحت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وحزن المقصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك  
 بواعث الجد والاجتهاد بما في الأفتدة من الولوع والخوف من التعير والذم والحجل أمام الناس في هذه الدار  
 كما أوضحناه هنا . ولذلك يقولون اليوم كما قدمناه في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم  
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجدون في العلم  
 والعمل حتى يزيلوا تلك الوصمة فذلك انما هو خزي وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم خففهم للرفق والسعادة  
 فقال أريد ايضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت  
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار - فذكر عذاب  
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقا باطلا بل بحكمة وذلك يستدعي أن تقف النفس على عجائبه وبدائعه  
 فأردفه بطايبهم من الله أن يقيم عذاب النار . وقد قال علماءنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان  
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العامة يقولون في أمثالهم (النار والاعار) <sup>١</sup>  
 وتقول مريم - ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا - فالحياة بلا شرف يكون العدم أفضل منها والجهل  
 أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فاقراء فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه  
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والا فهمى في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا  
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار  
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسالك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف  
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أخرى - كما ذكرنا وعذاب الخزي  
 الآن ظاهر في أمم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها جهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في  
 الكائنات فمنعها الخبرات المخبوءة في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويشاق  
 اليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين نخزي أمام الاوروبي  
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون الينا نظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء



العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طيارتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر يا كم أن تحملوا سلاحا يا كم أن تعملوا مالانا مكرم به والاضر بنا كم بالسلاح وقد قتلوا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العاتية فعرضوهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسمي مضاف لعذاب الخزي بجهل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أنعمت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذي كان يخيل له أن ما نسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ﴿ جوهرة باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك في الآفاق وظهر وبهر في حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجته به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له فجر الفلاح في عالم الأشباح ولحت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

#### ﴿ البناءون والجوهريون ﴾

رأينا يا الله أن فطرنا تجلت لها مواهب من لدنك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والسكاس والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهمتها أن تجمع هذا وذاك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافي باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الظريفة من الماس والياقوت والزبرجد والذهب والفضة والدر والمرجان فرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لاتنالها إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التي أنزتها بنورك وأفضت عليها من سنائك وشموس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجمال لا يناسبه إلا الجلال وأن ما يعوزه العناء والنصب في الجد والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لمنافعها . فإذا صنعت ؟ أهدها للغواني وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهريين كل اصطفى ما يوافق مشربه ويوافق صنعه فوضعه في موضعه وقرأ - وكل شيء عنده بمقدار -

#### ﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كيانها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والنشاكل فأمروا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقه والدم والقتل والايذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع ما يناسبها والطين والآجر كذلك غيرناظرين الى مافي بواطن الجبال من الجواهر ولا الى مافي أعماق البحار من الدر والمرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القاتلين ويقيمون الحق ويعدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أحجار البناء أوليته من لبنانه أو مدرة أو آجرة من حائط أسرع في اصلاحه وضبطه أورمى به وكسره وأتى بأخر فخل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكم ونام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الخفيض كما يتداعى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القائمون بأمره وهم ساهون لاهون

#### ﴿ حكماء الأمم والجوهريون ﴾

وههنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبتهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهريين الى البنائين . فكما أن البنائين يكتفون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنة بضبطها بالطين المخلوط بالتبن الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهمهم التي هم قوامون عليها بظواهر الأخلاق وبوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المذازعات والقتل والسرقه وهتك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروهم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم والمواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يطالبونهم بأكرمهم ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿لنا الظواهر والله يتولى السرائر﴾

أما الحكماء والمفكرون فانهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأحجار، ومن ذا الذي يقيس الصدف بالجواهر أو القشر باللب أو الحجر بالمعدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التي تتحلل بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بتناسب الأحجار وضبطها والرجل السياسي والقاضي بظواهر المدنية والمعاشرة ليطالبين الحكيم مطلباً أسمى من هذه النفوس الانسانية وليقولوا لكم ماصورته ﴿إن عالم الأرواح بعد مغادرة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأبهى ولن تكون إلا فيما يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفرزون فرزا ويصطفى كل من كان أجل وأصفي ويجعل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطفى ولا منتقى ولا بهاء فيه ولا جلال يرجع القهقري إذ لاتناسب بين البهرج والذهب الصرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجمال هنا والصفاء ﴿بأمرين \* اثنين﴾ لاثالث لهما ﴿أحدهما﴾ العلم ﴿وثانيهما﴾ العمل . فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالفهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتحلى لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبين للشاكلة والمناسبة - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعلم والظاهر للباطن فهوؤلاء هم الذين يصطفون ليكونوا أبرارا ويعيشون مع الملأ الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿هذا هو الذي تجلى لنفسى وانشرح له صدرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه في كلام (عمانوئيل) الذي حدثتك عنه أيها الذكي في سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفا في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ يهدم ما بناه الجهل في أورروا بأيدي صغار رجال الدين الذين شوّهوه فقال يا قوم والله لاتثليث وإنى رأيت المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد اليهما سبيلا . ولقد تقدم ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فارجع اليه إن شئت . ثم انظر ما يقوله في كتابه المسمى ﴿السماء والعالم﴾ مما يناسب هذا المقام فقد جاء في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها ما ملخصه أن الانسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدنيوية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكاؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿قسمين﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالذي أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لاتقليديا وأحبه وامتلأت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت وروتها أو فهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تخرج بها نفوسها فهوؤلاء وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعامة ويوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لا لنفس الخير بل لأجل الصيت والذكر أو من خوف الفضيحة والعار أو الخوف على المال ونحوه ولو خالوا وأنفسهم لأهلكوا الحرث والنسل . فهوؤلاء يوضعون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لا ظواهرهم لأن المدار على البواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجاها وعمل الخير إن لم يكونا محبوبين حبا حقيقيا ممتزجين بالنفس بحيث يصحان صفة لها فإن صاحبهما لا يكون من المقربين



ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في ﴿إحياء علوم الدين﴾ للامام الغزالي من حيث فواه وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الألباب وهم الذين هذا وصفهم . أما المحبة المحسوسة فانها تكون لقوم ظهروا بالصلاح وبواطنهم مشغولة فلهؤلاء يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملائكة الأعلى وقد تقدم في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فارجع اليه ان شئت فلما سمع صاحبي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جاء الرجل الانجليزى قاتل زوجته الذي أزعجه ضميره فقلت ان ما كتبتة الآن انما هو مقدمة لما سيأتى . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يحب إلا نفسه فهو يطلب كل شئ لنفسه وكلما شدا قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان من حقد وغيظ وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى ﴿وبعبارة أخرى﴾ هذا النوع الانساني كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقي لا المزيف يعرف الانسان هذا العالم ويحب الانسانية . هذا أول الأمر وآخره . هذا النوع الانساني لو كشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذي غرس الكراهة والطمع انما هو الجهل وأن الذي ينقذهم انما هو العلم الحقيقي إذ لاسعادة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا نراه مأخوذا من السماء والأرض معا - قل من يرزقكم من السماء والأرض - ولماذا ترى له عينين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض - أمن بملك السمع والأبصار - أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواسه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين المرسومة في سورة الحجر وتأمل فيها وفيما شرحته هناك . ألم تر أن كل خمس ورقات كوّنت دائرة وبين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حلزونيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر نراه أمامنا في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا ثم هو يغفل عن الاتقان في رزق الانسان . أى لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرض) المرسومة المشروحة في (سورة النحل) فيما تقدم . ألم تر أنها خلقت عمياء فالملكة والرعايا جميعا عمى العيون وهن مع ذلك يعملن أعمالا تعجز العقول وجعل الله قوتهن من داخل بيوتهن ولهن قدرة أن يستخرجن الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المندمج في المواد الغذائية مع الادروجين السكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجذباء التي لا نبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أاماكن تعلو على الأرض نحو (٨) أمطار وتمتد أميال لا يقطعها إلا الديناميت . فهذه رزقت مما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى العين التي بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجبا أليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواسه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسيما في هذا العصر الذي ظهرت فيه الطيارات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذي خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذي هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذهب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن بملك السمع والأبصار - كما تقدم . ههنا تنظر الى جزاء هذا الانسان . جزاؤه أن يعطى على الخير خيرا ويعطى على الشر شرا وكما أعطى قوة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوة كامنة فيه تؤنبه على التقصير

وتحته على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فالتأنا نحسّ بوخس الضمير والمذلة على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاعجب كيف ترى في كتاب ﴿ السماء وجهم ﴾ الذي حدثتكَ عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فإن مؤلفه رجل من علماء الأرواح فتراه يقول ﴿ إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعلمه كثيرا أو قليلا ﴾ وهذه الصور جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يسأل . وإن كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الآخرين بحيث يعلم ولا يعمل ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ تكون أقواله وظواهره خلاف باطنه فينطق بالحكمة ويضمر الشر فهذا يمتحن ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتغلب عليه الحقائق التي في نفسه فينكم أولافيلابما في باطنه ثم يزداد تكلمه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع في الدنيا . فن الأحوال التي هي أشبه بالجنون يبين كل ما في نفسه ومتى أفاق ندم وحن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا تزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه المفتشون من الملائكة الذين يمتحنونه ومتى تم الامتحان جعلوه فيما غلب عليه إما في جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو في نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى سنة الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . ويقول انه لا روح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى الخبث المستكن في النفس فعلى مقدار المكابرة والكتمان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا ما يقوله ذلك العالم الروحاني ومدار الكتاب كله على ذلك . ويقول في صفحة ٢٧٦ ما نصه

﴿ إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التي أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفحصه وتفحص جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوائلها مرسومة على الدماغ . قال وهناك يظهر كل شيء في ذاكرة الانسان وليس المرسوم هناك الامور العامة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر في دماغ الانسان وعلى جسده ﴾ انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحاني الا فرنجي منطبق على ديننا . فقلت انه معجزة للقرآن أرسلها الله في آخر الزمان . يقول الله تعالى - خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - قاله عز وجل يرينا الآيات في كل شيء . قال وما الآيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار - فانظر كيف عاتب على عدم التبصر في النظر وفي العمل في الدنيا وفي الآخرة . أما في الدنيا فانه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وقال في الثواب - وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين - فهذا هو ذا كتاب الله أرانا أن عذاب الناس في الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الديني يحس به المسلمون ويحس به الفرنجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغالوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دينويا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم تر الى قوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون \* ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الى قوله - وضل عنكم ما كنتم تزعمون - . فانظر أليس معنى هذا أن العذاب



كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قلته ذلك العالم الروحاني الأوروبي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرت بقتلها لما وصل الى المكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفاياه شيئا فشيئا واذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويجب كيف جن بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقرت أمام الشرطة رجع وقال أنا لم أقتل وذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يتزايد الأمر وبعد ذلك يتعد الظاهر مع الباطن . إذن ضماثرنا في هذه الحياة مملوءة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بخاتم وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولوالقى معاذيره - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون \* يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - سنريهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتي - الخ . واذا قال قائل من الفرنجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجى خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواسها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرضة على النهج المتقدم وحواسها ورزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدر وأجدر ولانكون هناك نتائج لهما على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متعدات على انه ملزم أن يرقى رقىا متوصلا وأن تقصيره يرديه ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا مافتح الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والحمد لله رب العالمين

#### ﴿ المقال الذى ألقيته على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قرأت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والنار عقلا ونقلا ولاكنى له أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت لى ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ما سمعته منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمر في البحث حتى يقتنع . قال ولكن ليس عندي اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قدمنا في (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - في مسألة قطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فيبينها أبعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقدم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كهر بائية فما هى إلا ذرات ضوئية تدور منهن واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجرى في الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات في الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر يبينها نسب عجيبه سترها في (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيارت وأرضين وأقمار وإنسان وحيوان ونبات ومعادن فكل ما نشاهده حولنا ويحيط بنا يرجع لأنوار تجرى في أماكن خاليات وكأننا نعيش في خيال وكأن الوجود الحقيقي ما هو إلا موجود لانراه لأن ما نراه ظهر لنا من كلام علماء المادة أنفسهم أنه لا معنى لوجوده بل هو نقط ضوئية في أماكن خالية وما هو الضوء؟ الضوء ليس شيئاً سوى حركات في شئ سموه (الأثير) وما هو الأثير؟ هو عالم عرفه الناس بعقولهم لا غير . أما حواسهم فإنها لم تقدر على تصوّره . إذن اجتمع علماء العصر الحاضر أظهروا أن كل ما نراه ونسمعه ونشمه ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لا ندركه وأن أسباب هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أودرث وجوداً ظاهرياً وهو الموجود الحقيقي . وهنا تقول أيهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل فقلت الناس اعتبروا التفرق عندما فإذا رأوا إنساناً مات وتفرقت أجزاؤه أو رأوا حيواناً هلك وأكله غيره سموه معدوماً وما هو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لا معدومة . وإذا كنا على حسب اصطلاح الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عدّهم ما تفرقت أجزاؤه معدوماً فليكن كذلك حكمنا على حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فإذا أخطوا في قولهم ان الميت معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن اذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لانحكم بخطئهم في قولهم وجد الانسان بعد العدم فانه كان معدوماً فاذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه فاذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن أيضاً منهم خطأ فان الذي وجد بعد العدم كالإنسان والحيوان والكلوكاكب والشمس فهؤلاء جميعاً كانوا موجودين وانما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي تراها كانت موجودة قبل وجوده فهذا اجتماع فقط بعد التفرق . فقضية أن العدم سابق على الوجود ناشئة من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع الأجزاء وجوداً وتفرقها عدماً . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العالم حادث . إذن في رأيك هو قديم . قلت له لقد نسبت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وانما هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الأثير فالعالم حركات لا غير إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بعقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم المثال أو هو الذي يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ما هو حاصل الآن في عالمنا ما هو إلا ضرب أمثال لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قدمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لانراه . فقلت نعم والموجود الذي لانراه الأصل فيه الوجود لا العدم لأنه لا دليل على عدمه فاذا كان موجوداً من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم حركات لعالم لانراه . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وانما هو خالق للحركة في الأثير . فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يقف عقلي فعلى لا يدري ذلك العالم وإذا كان ذلك الأمر موجوداً فلا أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أتعدى طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر أن عالمنا لا وجود له باستقلال والأثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولا هم يعرفونه فلنرجع الى نفوسنا ولنشهد عليها بالجزء (الجزء عن الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعبر بجزئنا . قال فاضرب لي مثلاً إذ



عجزت عن الحقيقة . فقلت نعم أضرب لك مثلا لله في خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلا لنوره بالقنديل والمشكاة .  
 اعلم أن الانسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يخيّل له السماء والأرض والشموس والأقمار . قال نعم  
 وهذا خيال . قلت نعم هو خيال ولكن أهذا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن  
 للخيال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما نفعله لا نتحرك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خيالنا . قال  
 بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فنبنى بيوتنا وتفنن صناعتنا . قال نعم . قلت فهل المعدوم  
 ينتج الموجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إى وربي  
 انه لحق . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدليل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد  
 حكمت بأن عالمنا لا وجود له . قلت نحن الآن في الوجود المجازى فلا تخطأ أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل  
 نفوسنا مع خيالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعا وعقلا ونقول إن هذا العالم هو نفحة من نفحات  
 الله تعالى وقبسة من نوره فنسبتها اليه تعالى . ولله المثل الأعلى . كنسبة خيالنا الى نفوسنا . فإذا كانت  
 نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبت بالبرهان أن لها نوعاً من الوجود المجازى وهي انما ضعفت لضعف  
 سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم الى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خيالية لا تراها  
 حواسنا فالله لعظمته وحكمته الثابتة وقدرته العظيمة يخلق صوراً عظيمة تراها حواسنا وتعظم عندها فضعف  
 خيالنا نسبته الى قوة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة الله خالقنا وهذا المثال ينتج لنا أن  
 العالم موجود وجوداً مجازياً وانه مستمد من الله كل حين وانه اذا تركه الله لحظة لم يبق له وجود كما أن صورنا  
 الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم يبق لها وجود . إذن العالم العلوى والسفلى والجنان والسيران عوالم لا  
 استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتخيل . وهذا يوضح لنا قوله تعالى  
 - لا تأخذه سنة ولا نوم - لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهبت تلك الصورة ويوضح لنا أيضاً - ان  
 الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده - أى كما أننا نتخيل صوراً  
 خيالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلامسك لها بعدنا (وهذا التمثيل  
 جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ويفسر لنا هذا أيضاً قوله تعالى - ما يكون من نجوى  
 ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ويفسر لنا قوله تعالى  
 - وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سرهم وجهركم ويعلم ما تكسبون - ويفسر لنا - وما من غائبة فى  
 السماء والأرض إلا فى كتاب مبين - إذن العلم الحديث وفق ما بين المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوف  
 وعلم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون فى وجود مجازى وهذا الوجود المجازى نحن فيه مأمورون  
 بالجد ولا نصل الى الوجود الحقيقى إلا اذا نصبنا وتعبننا وحصلنا كل علم وكل فن واتحدنا وسخرنا كل ما أمامنا من  
 الوجود المجازى وأصبحت الأمم اخواناً فاتحدوا ولوا اتحاداً مجازياً هنالك يرجعون الى ربهم وبشاهدونه وماداموا  
 ناقصين يحبسون فى هذا الوجود المجازى ويعذبون ويدلون وهم فى جهنم خالسون وجهنم فى قبضته والنار فى  
 قبضته وهو لا ينام ولا يفتل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٩ يناير سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام ايضاحاً فى آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته  
 فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون - فهناك سأذكر (مسألتين الأولى) تاريخ الفلسفة الذى اعتاد  
 الناس فى زماننا أن يدرسه أى انى أذكر النموذج الذى كتبه الاستاذ (سنتلته التليانى) فى كتاب (تاريخ  
 الفلسفة) وأبين فيه مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطاليس وكيف كان سقراط يرى أن العلم لا يتم إلا بالتجديد  
 والتعريف وأن السعادة للانسان لا تتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لا تكون إلا بالجهل . إذن لا بد من العلم الصحيح  
 والعلم الصحيح بشدة العناية بالتعاريف . ثم أذكر أن أفلاطون تلميذه قال (لا يعقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لا ثبات لها في ذواتها ﴿ فهناك قال لابد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئاً ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن يكون محلاً للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن إليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالمادة كصورة الكرسي والمنزل والشجرة والحيوان فهذه الصور هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي أدخل في الضعف والعسف من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عليها المذاهب بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتاً على قرار مكين من العقل في هذا الزمان

هذا ما سأذكره في المسألة الأولى هناك إن شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة في القرون الوسطى بحيث تمت إلى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكياء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفسيراً لقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم مما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلناه في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ اللطيفة التاسعة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد عامت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيما يظن له البشر ويظهر في العلوم سيارات حولها والسيارات لها أقمار كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديماً عبارة عن غمام طائر في الجو يعبرون عنه بالسديم جمعه سدم وأن هذه الشمس يوماً ما سترجع إلى سيرتها الأولى أي أنها تهدم وتحلل وترجع في الجو كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقاً جديداً وتتكون بهيئة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقاً جديداً . ولقد سبق في بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذي دل العلماء على أن هذه الشمس وما حولها كانت قديماً عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة إبراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام - أي أن شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرقة في الجو . والسماء هي التي نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التي تنتهي باللون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالأثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا أن من ينكر السماء فأنما هو جاهل يجهل علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين فإن المتقدمين والمتأخرين جميعاً ينكرون وجود الخلاء بل هم جميعاً يقولون إن الفضاء مستحيل بل هو مملوء بما يسمى بالأثير وهو الذي يحمل ضوء الكواكب إلينا فارجع إليه هناك ترابهاين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - الخ فانظر وتجب كيف سماها دخاناً وغماماً وقال إنهما كانتا رتقا ففتقهما وكل ذلك دائر على هذا المعنى فتعجب من القرآن وحكمه وعجائبه وانظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة نزيلاً الملك يومئذ الحق للرحن - الخ

﴿ اللطيفة العاشرة في قوله تعالى - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في اللطيفة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنة وأن العدو فتنة وامتحن لعدوه . فأما هنا فإنه يقول - ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع



الرسول سبيلا \* ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول  
عدوك من صديقك مستفاد \* فلاتستكثرن من الصحاب  
فان الداء أكثر ما يكون \* تراه من الطعام أو الشراب

وفي المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » ، واعلم أن الانسان اذا كانت فتنته بعدوه عظيمة فهي  
بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جادين في مرضاتهم فيقعون في التهلكة والأصحاب هم الذين بهم  
يتشبه الانسان في عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لصا  
ولا زانيا ولا فاسقا إلا وهو متشبه بصاحب له أو صديق قد تخلق بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصحاب  
اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كاللصوص والقتلة وما أشبه ذلك  
فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا في الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو  
إلا المتقين -

الصداقة على ( أربعة أقسام ) صداقة تأتي سريعا وتذهب سريعا وهي التي سببها الشهوات فان الشهوة  
سريعة الانتقاد فاذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما نراه في الزنا والسراق وقطاع  
الطرق . وصداقة تأتي سريعا وتذهب بطيئا وهي الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يهيجك قوله ولا تذهب  
الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتي بطيئا وتذهب سريعا كالصداقة مع التجار  
فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التنافر سريعا . وصداقة تأتي بطيئا  
وتذهب بطيئا كالصداقة المركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتي ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لأمور  
كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب فلن يذهب الحب إلا بطيئا

فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغش متى ظهر بين الأصدقاء فرقههم وذلك كله في الدنيا  
وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا في أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا في الأخلاق  
والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كاللصوص اذا وقفوا أمام القضاة في الدنيا فان كلا يجعل الذنب  
على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذي ظلم نفسه بترك  
التعقل واتباع صاحبه - يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا \* ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا - وهذه الحال  
كحال الرؤساء والرؤسين التي مرت في ( سورة البقرة ) - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب  
وتقطع بهم الأسباب - . فهنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات  
آلما . وترى الانسان اذا مات انتقدت في قلبه نار الحسرات على فوات الشهوات التي اعتاد عليها فانقلبت  
الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودات والمحبات شقوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلال يتبعه الخسران  
والهلاك فلارؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بشافعين بل كل مسؤول عن نفسه  
( ضعف السياسة في الأمة الاسلامية اليوم )

واعلم أن قوله تعالى - ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا - الخ هي الحاصلة  
اليوم فان لم يكن بلفظها فبمعناها ( وبيانها ) أن أم أوروبا أصبحت عريقة في اصطناع السلاح والكراع  
والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دهاؤها ومكرها وخداعها فلما رأت أم الاسلام نائمة جاهلة استعملوا  
الصداقة خير سلاح لهم فترسل الدولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا  
آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجذآن ويحتلان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل الدولة  
الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا مخدوعين فيعرض الظالم أي  
الأمير والقائد على يديه يقول يا ليتنى تعقلت ونظرت في الأمر بدقة ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا الفرنجي خليلا

## ﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجرائد المصرية أن الأمير عبدالكريم ببلاد المغرب الذي يحارب الأسبان قد سلب الأسبان عليه رجلا من أمتة يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبدالكريم على الرسول وحاربه وغلبه وأسرته فوقف وزير الأسبان في قومه خطيبا وقال نحن لايهمنا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلانباي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قويا انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للانسان خذولا - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لنفسه بهذه الآية والله هو الولي الجيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه \* وجاء في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني الطبري القافية اذا سمعوه أوزعموا انه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجورا فيه والمعنى الأول ألقى بحال المسلمين اليوم وما بعده ألقى بحال الكفار . والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكي في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكاف فعلا الى الله وقد تعلق بالمسلم وشكا الى ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الاسلامية هذا هو العذاب المجل . سلط الفرنجة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل . محروم من التفكير . محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل مافي المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أورربا في بلاد الاسلام واستيلاؤهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مجل قبل المؤجل . إن الأنبياء اذا شكوا أمهم الى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكأ أولا أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناؤهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإهمالنا التفكير في معاني المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتي اثنتين ﴾ عما أهمله المسلمون قبل ايضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت . إيت أول سورة نزلت - اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خلق الانسان من علق \* اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم \* كلا إن الانسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن الى ربك الرجعى \* أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى \* أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى - الخ

أفلم ينظر المسلمون الى الابتداء كيف كان . ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكأن أول مطلوب لنبي هذه الأمة ﷺ ولأمته القراءة . وبماذا يقرأ . يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول فاتحة ثم أوضح الترية فابتدأها بقوله - الذي خلق - فالخلق كلهم في ترية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى الابداد وهذا يعم سائر المخلوقين من ملك وانس وجنّ وسموات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الانسان من علق - وخلق الانسان نتيجة عوالم تقدمته أي نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار . كل ذلك مقتمات لخلق الانسان . والتعبير بعلق اشارة الى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدة من أدنى مخلوق حتى الى الانسان والى



الكشف الذي أظهر أن أصل الجنين علقه صغيرة جدا . وقد تقدم ايضاحها وايضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية العجيبة التي حضّ الله عليها فقل سبحانه - وفي أنفسكم أفلاتنبصرون - والنظر في النفس يتقدمه النظر في الجسم والنظر في جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقروء وآياته اليبينات فاذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم عمى عن أجسامهم جهلاء برهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أول ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذي خلق \* خالق الانسان من علق - وذلك يجرّ الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التي يقرؤها أهل أوروبا كلهم في المدارس التجهيزية والمسلمون نائمون . علوم الطبيعة التي أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظي مصداقا لكتابه العلمي

يا عجباً للمسلمين كيف يكون أول ما أنزل على نبينا ﷺ طاب القراءة وفهم التريّة والبحث في الخلائق كلها والبحث في الانسان ثم يعتب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم - فأنه كريم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرّك ربك الكريم \* الذي خلقك فسواك فعدلك \* في أي صورة ما شاء ركبك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله عامه على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خلقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقى من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأعنان وفواكه مما نشتهى وفوق كل لذة في عالم الأجسام فبقاء العلوم بقاء الأرواح في هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم \* الذي علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - نخلقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة في الكرم فالمسلمون اليوم رضوان الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - اشارة الى أن القراءة والكتابة ينبغي أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - اشارة الى تعميم العلوم فاذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعلما اجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

﴿ القرآن وتقصير المسلمين فيه ﴾

اعلم أن المسلمين في غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا في أحوال العصر الذي هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا الدول وأقاموا الممالك وبنوا العدل وبنوا حسن المعاملة بين الناس بقدر إمكانهم ففتحوها باب الحرية في الديانات ونظموا الأمم وفعّلوا ما أمكنهم فعله فنشط علماءهم للتأليف وحكماؤهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب في الأحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا في العدل الى أن انقضت الدول العربية وجاءت الحروب الصليبية . في أثناء ذلك فرت الحرية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من مرقدتها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحي فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدنها وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون في انحطاط

كانت في العصور الأولى ﴿ دولتان ﴾ فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلّت وحلّ الاسلام محلهما وأظهر العدل ونام الناس في عدالته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذي وجده بعد أن أراد أن ينقض أقام الاسلام جدار العدل الذي أراد أن ينقض في الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أمدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على انها قربى الى الله وليكن عدل المسلمين في العصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمم هذبهم في اقامة العدل سابقا فليهدبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم واتقم أمة العرب قبل الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا في ربها وأنسابخالقها وقرنى الى الله

ألا ليقم المسلمون بما عليهم ويسموا قول الله - اقرأ وربك الأكرم \* الذى علم بالقلم \* علم الانسان ما لم يعلم - فقلوه - علم الانسان ما لم يعلم - كلام عام يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى \* أن رآه استغنى \* إن الى ربك الرجعى \* أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعدما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يمل هذا القول إلا الجهالة الكتعاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قدمه الله يقدم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأيها يقدم ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القدح المعلى في الاسلام على غيرهما . إن العدول عن مثل هذا جاء من اعراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا نفكر فيه

### ( سورة الفاتحة )

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذى جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربى العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق \* خلق الانسان من علق - والخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى التربية فكان هذه السورة تفسر معنى التربية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر التربية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكأن الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبة على أن نعرف ما ربه الله من المخلوقات وكما أخرت أحوال العبادات في الفاتحة أخرت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعميم التعليم

فيا ليت شعرى كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلتنم النظام الأرضى ولنقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ ( اذكر الله عند كل حجر وشجر ) فليعمم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهدبون الأمم في علومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية واقامة العدل وسيرجهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أيدي المسلمين . سيقراء المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سبعمائة آية وخمسين تصريحاً وفي غيرها تلاويحاً أن يقرأوا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -



### ﴿ القرآن كالبحر المالح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه مخلوقات بديعة عجبية وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شئ فيسكون في المستقبل . إن في البحر جوهرا وإن في البحر در . إن في البحر ماء يكون بخارا بحرارة الشمس فيرتفع للجو فيصير سحابة ممطرة فيحيي به الله الأرض بعد موتها ويصكون منه الحيوان والنبات والانسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفسكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهارا سقت كل شئ . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلناخذ نحن منه العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل شئ ولنغص على الدر والمرجان كما غاص أكابر آبائنا ولكن بقي ذلك مدفونا في الكتب بعيدا عن الأمة فليشر ذلك للآء ولتقم الأمة بما عليها لنفسها وللآءم وليقرؤا - وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون -

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقلوقة فروسنا مرفوعة الى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات الى أسفل ورؤس الحيوان متجهة الى الجهات الأربعة وإنما كنا على هذا النمط لأن النبات لاحظله من الاستقلال إلا لحظه من الانفصال عن الأرض فرأسه ملازم للطين لاحتراكه ظاهرا . فأما الحيوان فإنه يتحرك الى سائر الجهات ويختلف في قبول الغرائز اختلافا عظيما وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يبتدىء من أدناه الى أعلاه . فانظر الى خلق الله وعجائب صنعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازما للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكلما ازداد غرائز وقوى كان أبعد عن الانكسار على الأرض وكان أقدر على السعى وثرى السباع والفخور أرقى من الطباء والغزلان فهي تأكلها وترى القروء أرقى من الجميع لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للانسان وترى الانسان انتصب قائما فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا ان الانسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتا - فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاما ولكن ننظر هنا معنى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - فالحشر على الوجوه الى جهنم يراد به ميل النفوس الى الامور الأرضية وذلك أن الانسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاما فاذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتسكيم النفس الانسانية فان مثل هذا يوضع بعد الموت في عوالم منحطة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون فذل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم الى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهوتهم نباتية فكانه ما فهم الانسانية ولا عقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحبو على الأرض حبوا فهؤلاء تكون نفوسهم راجعة منكوسة الى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع الى المأكل والملبس والسكن والزينة والنساء والمال وجميع ما هو من هذا القبيل والأخلاق السبعة ترجع الى القوة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كافي علم الأخلاق تحط قيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محجوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون \* كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهله للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تهيجه وتنسيه ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه طالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يميلون الى أسفل الامور فلا ينالون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لها لاختيسبة منحة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم يميلون الى العوالم الأرضية مجبولون على حبها لم يعيشوا ما أدركته العقول من الجمال

( جوهره في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تقيرا - )

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة والأمة السابقة . فأما ضربه الأمثال للأمة السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضربه الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون - الى أن قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الألسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كما سيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - ( بكسر اللام ) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما يحشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والألسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يخشون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد تقال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه ( الأمثال ) ولأذكر لك مثلا سهلا لتقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الخاطل للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي » ومعلوم أن الخاطل لم يقل للوتد شيئا ولا الوتد رد عليه شيئا وانما هذه جملة يراد بها اظهار العجز عن اقتراف ذنبا با كراه غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبنة » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأجبت شابا وتزوجته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبنة على عادتها في زمن الشتاء فأفادها انك ضيعت اللبنة في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاتته فأتى ليطلبها بعد أن فاتت . فاذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض ايزرعها أو في تجارة ليديرها ثم ننحى عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا نقول له ( الصيف ضيعت اللبنة ) نخطبه بهذا وهو لم يطلب لبنا ولم يكن ذلك التضییع في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فعليك وحذك يكون اللوم لاعينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقيه عليك الآن . اعلم أن الأمم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملحة وتعطى أبناءها الحكم تارة على السنة الحيوانات وآونة على السنة الأنبياء وأخرى على السنة الملائكة وطورا على السنة الملوك وهكذا فتري

(١) كتاب ( كلیلة ودمنة ) يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب ( ألف ليلة وليلة ) على السنة الملوك والجن والعفاريت



(٣) وكتب اليهود على ألسنة الملائكة تارة والأنبياء تارة أخرى وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألسنة العشاق كما في كتاب (ألف ليلة وليلة) ومن عجب أن الأمم كلما توغلت في القدم كانت أمثالها غالباً ترجع إلى الملائكة أو الآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضمض وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب إلى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب إلى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على ألسنة العشاق فالمدار في كل عصر على ما غلب على أهله فإن كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المخترعة وإن كانوا شديدي الخضوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقا معبدا وأمراسيها وما هو بمعبد ولا سهل ولكنه يحتاج إلى أعمال الروية والفكر والنظر وليس يدركه إلا أهل العلم والدراسة والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمعك (ثلاثة أمثال) تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظاتهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تكثيرا - ولأقتصر لك من أمثال الهنود على (مثلين) ضربوهما ليفهموا النوع الانساني كيف تخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتغويننا الأهواء وتسحر عقولنا فنون الجبال وزينة الحياة الدنيا ثم أقفى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على نمط القدماء في توجيه النصيح على ألسنة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يجدون في هذا ذنبا ولا خروجا عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وإن كان القول مجازا وإنى أردت بهذا

(١) أن أيين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للمسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وإن اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنسا بكل علم فلا يأنف من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول يضيع مجد الأمم ويذلها

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الانسان على خصلة لا تفارقه وخلة تلازمه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد

عنه ولا يحب إلا ما تمنع عليه وهو يحتقر كل مبذول له ولا يرغب فيما عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له

نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجل وأبهى من الجواهر والحلى ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس)

على هذه النجوم الجميلة . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولو أنها كانت غير مبذولة لدفع ثمن النظر إليها

غالبا ولكانت النظرة إليها تشتري بمال وفير . ومن هذا ما نشاهده من نهافت التجار على الآثار القديمة

المدفونة تحت الثرى فما ذلك إلا لندرتها . ومن ذلك اننى في هذا اليوم أعني يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨

زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع

(١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئا ممنوعا عنهم ولو كان مبذولا لهم لاحتقروه . من ذلك أنى

رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضا قطعة قماش

من ثوب ابن هارون الرشيد رأيتها بعينى رأسي بلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيت

هناك كان يأكل فيه بعض ملوك المماليك في مصر فدفع فيه الحاكم الانجليزي (١٦) ألف جنيه فلم ترض

الحكومة المصرية . هكذا أخبرنى العمال في المصلحة . فهذا التغالى في الأثمان للغرابة لا غير

اذا عرفت هذا فلتنظر في الأمثال انها انما جعلت أداة للتعليم لغرابتها وبدائع تنوعها والتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المقصود منه كان لهذا أثرا في نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم وبين قوله كثير الرماد وجبان الكلب وحب الذراع وهكذا فضرب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سأغلى أن أقص عليك قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم وكيف يحترسون من خداع الدنيا . ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحته في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله باطنا وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التعدد من طبع العامة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لي ذلك الصالح العالم الذي اعتاد أن يحادثني في التفسير فيما مضى ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الضلالة التي طمست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموها من العلم الذي طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهلوا منه . فقال ما هذا العلم الذي تزعم أن الناس انتهلوا منه وحرم منه المسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التي أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بني اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمونها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واني لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولا تطيقه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التمثيلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير فحجت كل العجب من أمم تفهم قول القائل ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ وتخطب به جماعة الرجال ولا ترى فيه بأسا ثم تراهم يهلعون ويجزعون اذا سمعوا ما سأقصه من قصة هاروت وماروت التي وضعت بهيئة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مغزاها على طريقة الاستعارة التمثيلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذي قصده النبي ﷺ في قوله ﴿ حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخاري وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فتحديث بلا سند . ولعمري لم يقصد ﷺ أن يعلمنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة نعرف أحوال الأمم ومواعظها فترتقى . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والريضة إلا بهذه الوسيلة وهي تشويق القراء بطريق القصص بهيئة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء أفلم يكونوا يرونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعي البصائر ولكن تعي القلوب التي في الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار الحديث الذي عرفه العالم المتمدن وقرأوا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفهم وساعد في رقي أممهم والمسلمون بقوا مكتوفي اليد أمام الأمم فالأمة يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يريدون أن يسمعوا أو يعقلوا ويقولون قد استغينا بالقرآن ويقول الله لهم في القرآن . كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كهية الحمار يحمل أسفارا بذن مثل القوم ؟ فهل يجبكم أيها المسلمون أن تعرفوا القرآن كله وتنكروا قوله - أفلم يسيرا في الأرض - فهل السيرا في الأرض ونظركم عواقب الأمم من كتبها وآثارها والاحتراس مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم مخالف للقرآن وهو الذي حض عليه بنفس هذه الآية ووجه التاركين له ؟ فهل النظر في الأرض وتعقل أحوال أهل الأرض والنظر في السموات . كل ذلك



لا ينجبكم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى \* إن من البيان لسحرا \*  
فأذكر لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يعظون فقلت عندهم قصة تسمى ﴿ قصة  
العابد المقتون ﴾ وملخصها أن عابدا يسمى ( كندو ) على شاطئ نهر جاماتي اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة  
الأشجار يخاف أرباب السماء ( الملائكة ) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوعزوا الى  
واحدة من الحور العين وهي ( براموتشا ) أن تظهر جاهلها فنزلت الى الأرض وفي طاعتها الربيع والنسيم فلما  
رآها العابد بهره جاهلها وبقيت معه ليالي وأياما تعد بالملثات فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال اني لم أصل الليلة  
والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت معي منذ مئات الليالي فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن  
المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسامون وكله كفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل  
الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد ﴿ أمرين اثنين ﴾ الأول ﴿ ان الآلهة الصغيرة معبودة ﴾ وثانيا ﴿  
ان اتصافهم بالالوهية فيه تعدد للآلهة والأمم ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت  
بالاحتيال في الافساد فهو لاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قدمت في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم  
موحدون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة  
وأما كونهم يحسدون ويخادعون ويفتنون العابدين فحقا هذه صفات الشياطين ولعلم هذه الشعوب بأنها صفات  
الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس  
وما ضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لا غير فقراءتها ومعركة مغزاها شيء والاعتقاد والكفر شيء  
آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التي ضربها الله لهم . كلا . بل هي أمثال تبعت أخلاق القوم  
وأزلت آلهتهم الصغيرة فجعلتهم في مصافهم فلذلك صار الحرب والخداع في عموم النوع البشري عاما تقليدا للآلهة  
التي ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطالها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه  
الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا في هذا المقام ، ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك  
الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تقدمه أديان . قال بلى . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد  
ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحة القرآن شرحا  
وافيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتتجافى جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك  
الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فالله يقول - قل ما كنت  
بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أفهمتنا أن  
هذا القرآن لم ينزل فيه ما ليس من طبع الديانات التي تناسب أهل الأرض وان ضلوا في التعبير فقد كان قبلنا  
أم يصلون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لا خاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فما القصة الثانية . فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدين بالنساء  
الجيالات . ولا جرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضارب لعب الغرد  
( الطاولة ) ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية ﴿ نال  
ودامان الهندية ﴾ وهي من فصول كتاب ﴿ مهابهاراته ﴾ الشهير أحد أسفار الهنود المقدسة عند الهنود وقد  
وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك ( قباسا ) الذي عاش آلاف السنين على الأرض في  
زعمهم نظم ديوانه ﴿ مهابهاراته ﴾ وهو ٢٢٠٠٠ بيتا وهو من أندر المؤلفات في فصاحته وقصصه ونوادره  
وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل ( الياذه ) هو مبروس وهذا الكتاب ( ١٩ ) فصلا  
وفي الفصل الثالث منه رواية ﴿ نال ودامان ﴾ وهي ترمي الى تقييح لعب القمار وهي ( ٥٠٠ ) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر السنج في بلاد الهند مملكة (نيشاواه) ومملكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (فيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نيشاواه) وعرف جلالها فخالف قلب (نال) حبها ولما مر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقني اذهب الى (دامان) الجميلة لتزوجه بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيدرونه ورأتها (دامان) الجميلة فقبضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطلبه فباتت دامان موهلة ومرضت وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لنال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله الشر يساعده فاعب مع أخيه خسر (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أبت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركبا أوصلهما الى (مملكة فيدرونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بالاحرب وتولى الملك ثانيا وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قال فاذا كر لي القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند (وما خصها) أن الملائكة في زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عبروهم وقالوا هؤلاء خبيثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأنزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فنزلا وصارا قاضيين يحكمان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبا بها وطلبا منها شيئا فقالت لا حتى تشربا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصنم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقها في الزنا ولما رآهما رجل قتلاه خوف الفضيحة فلم يقدر بعد ذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مثل سابقتها لاسيا الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تفتن بالنساء ويحصل وقائع للملائكة أو للآلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجيلات

هذه (ثلاثة أمثال) من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريبا وإنما ذكرت هنا المناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالمدكور هنا يدلنا على نوع الأمثال وسرّها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرقة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فتنه حوراء مرسله له من الجنة ثم ندم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاستغراق في جلالها ثم ندم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (النرد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعا لما جاء في دياناتهم وان أزعج عقائدهم وكانوا بها يصلحون أمهم . أما عندنا فهذا ممنوع منعا باتا . ذلك لأن ديننا يسد طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق وبتأدي الزمان تصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائكة يعصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كفر فسد الله هذا الباب منعا للشر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) اشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته ممنعة والذي يعرف المقصود منها إنما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء وللجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين نقل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث



الشريف ﴿ حدّثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لا على المجاز أخذوا يذّمون تلك الروايات ونسبوا للمفسرين التخريف في القرآن وما هم بمخترين إلا إذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو للتهذيب والعجب ثم اعجب لهذه الروايات الثلاث كيف دلتنا على آراء الأمم الهندية والمصرية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فبهذا تعرف سير تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنبيرا - وإنما تبرهم لأنهم حزنوا في نفس الأمثال . ومن عجب أن يوجب الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا - يوجب الله أمة الدعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بتلك القرية التي أهلكت وهي بطريقهم هكذا ينعي الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التي خربت بذنوب أهلها وتقصر بهم كأهل الأندلس من المسلمين وكأهل أمريكا الأصليين وكما يرون من الذل في مصر والشام وبعض بلاد العرب فهؤلاء مكبلون في الذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فإذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون -

ومما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقبها كما فعل الألمان إذ ألّف أحدهم في القرن التاسع عشر ﴿ رواية وردة ﴾ التي تعرف آداب قدماء المصريين وحرّيتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبي في (ألمانيا) والمسلمون لا يفكرون في الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا يثيرون العزائم والهمم ولا يفكرون في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هي أيام الله تعالى وهي ما صنعه بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقى الأمم . وإذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام ويسمى سورة باسمه ويقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا تقرأ إلا حكمته . كلا . فإن الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولم يخص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال في آية أخرى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هي نور من الله نستضيء به من أي حكيم فالمسلم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون - ﴾

لقد خيل الى هذا الانسان وهيكله المنصوب وقد أشرقت النجوم ليلا والشمس نهارا على الأرض وأضاءتها وازدهرت بالمزارع والأنهار والحيوان وانتظمت الأحوال وعمرت الأرض وأشرقت بنورها فبرز هذا الكتاب ليقرأه المفكرون ويدرسه المستبصرون . هذا الهيكل أمره عجب . نراه قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والذائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدرده فيهضمه فيكون الدم فينتظم الجسم انتظاما

(٢) وما بقي من هذا الطعام بعد الذي حوّل الى دم يصير فضلة غليظة أورقيقة فينزل على الأرض فيكون سماد الزرعنا ونحيا به أرضنا فتبارك الله الذي لم يضع من الوجود شيئا فإلذى بقي ولا منفعة له في أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحوّل فيها الى طعام آخر نهضمه ككرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذي لم يصلح دما في أجسامنا ونزل سمادا بالتعميد بقي في فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى في الدراسة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذي استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته في الجسم كما نراه مرسوما موضحا في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحابا ثم مطرا فأنهارا ثم يجري الى البحر ككرة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأها في قاع البحر سنة فسنة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير اذا ترك مهملًا . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها آثار أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتدر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وحبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما نرى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الجو والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم يغذي الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم نرى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فضلة وتلك الفضلة أعدت لايجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومثله أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفضلة المنوية ليكون منها انسان آخر كأكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تخلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تخلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطا لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو بغيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (المحار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة مريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمر الله لم يكن الذكران والاناث شرطا في الذرية . كلا ، فهذه مسألة المسيح التي فحنت لنا باب (المحار) فرأينا الأثني تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأيناها بعيني تضر بالأشجار وقد ذكرتها في أول (سورة الأنفال) موضحة فيما ابضح فهذه قد تقوم الأثني فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذي لا يرى إلا بالمنظار المعظم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأنثى ليس ضروريا للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قضت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك تجلى لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا تجلى العمل الإلهي والابداع والجمال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتغريد الطير وعلوم القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقيس ولبنى وتوبة ولبلى . ثم كان هناك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جماح هذه الشهوة خففت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهناك علوم أيضا وعلوم فهذه الشهوة بارسالها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فإذا يحصل تبتهج النفوس وتشرق الوجوه وتخطأ الملابس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبائعون وتنصب الزينات ويعتنى الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالقضائل وتقام المراسح وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو الذرية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فاجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب في (المحار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألقت كتب الفقه في النفقات ونصبت المحاكم وبنيت السجون للذنبين من الرجال الذين لا ينفقون



وقام القضاء في الديانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح الدم ثم هو نفسه يكون في أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح الدم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التناسل أمره سهل لا يحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحب وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرّعت منه فروع شتى كما تفرّعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث في العالم العلوى ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شئ على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشقى وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشق وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الا له إلا كما يعقل نفسه . إن العشق الذي بين الذكور والاناث الذي خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لاتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان عن هذا المستوى الحيوانى ولذلك قال العلماء ( الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب المعتاد ووسطى وهو حب العلوم وحب أعلى وهو حب الله تعالى ) إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التي ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حبا وعشقا وحراباً واستعباداً

ولذلك لا تجد أمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم محاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والدون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

أيها الانسانية قفى قفى يا محمد قل لهم . الله أحد . فلا كثرة في الألوهية . الله الصمد . فلا جوف له فإذا لم يلد ولم يولد . فلا زوجة ولا حب ولا عشق ولا غرام . إياكم أن تقيسوه عليكم . فأما الحرب فإنه لا يحارب . ولم يكن له . أى وليس له . كفوا أحد . فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعبد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يجد ذلك الإله العاشق المحارب الذى يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك اليابان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحن رحيم . فإذا لم يكن الإله محارباً فمن الذى يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا أربابهم بالمحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهناك لا يجد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وستحل محلها الروايات التي تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أمم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم رباً لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغالبه أحد بل هو الغالب واذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أمة واحدة وأسرة واحدة يرزى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى . وكلا ضربنا له الأمثال . على ألسنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أعمالهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم ففبرناهم تنبيراً . والدليل على ذلك تلك القرية التي أمطرت مطر السوء وهم يمرتون عليها ولا يعتبرون بها كأنهم لم يروها واذارأوك يا محمد استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما تلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضللاً وتمادوا في غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يعبدوا إلا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطالوا أسماهم وأبطالوا عقولهم بل ما هم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف نمذها وكيف تقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التي جعلناها دليلا على الظل - فأينما أضأت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مدا وانقباضا وطولا وقصرا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحا ومساء ثم اتنا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تكسو الجوّ ووجه الأرض بنورها فلما مالت الى الغروب سلخنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم سائرا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى هنا - وكلا ضربنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرا وجهة نظر الانسانية الى سبيل تؤدى الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيأخذها الناس لهم نبراسا فالله واحد ورحيم والناس سيتحدون ويتراجعون و - الحمد لله رب العالمين \* الرحمن الرحيم - الذى لا يحارب ولا يعشق - مالك يوم الدين - وحده . إذن فمن ذا يحاربه ؟ فله العبادة وبه الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم فى نصائح ﴿ بتاح حتب ﴾ من علماء المصريين القدماء فيها « لا يعملك علمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يفتح دون الفن ولأنال أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذى لم يكدر صفوه منذ أمد قديم » ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم فى الأسرة الثانية عشرة واتصلهم بالأمم المجاورة لهم مثل ولبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد . فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحرى الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملاحا من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالأسود فينبأهم جادون فى الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب ففرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فألقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هو ثعبان مبین يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحيته ذراعا وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحرى قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة جلته الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحرى) التى لخصتها لك فى أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حجى بن يقظان) التى ذكرتها فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذا قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى - وما قبلها من الآيات . وتشبه أيضا رواية (روبنسون كروزو) الانجليزية التى نسجت على منوال رواية (حجى بن يقظان) وتشبه ما جاء فى كتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ من أن ابن ملك مصرى قد ادخله أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها فى خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن يراها اصغرسنه ولكن هذا الابن اطاع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة فى حلة من الحرير الأخضر جميلة جالا فاتقا وانها صورة بنت ملك الجان فأخذ يسعى وسافر مع جند من جند أبيه وساروا فى السفن فى البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالما غائما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهمها ووعظها على السنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورابى) عام سنة (٢١٠٠) ق م فى مدينة (بابل) الذى



هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة وملك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخمسين رسالة من رسائل عمله وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنّها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه يتسلمها من الشمس التي كانوا يتقربون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كماه مصداق لهذه الآية فإلله ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم - وما كنا عن الخلق غافلين - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ألا ترى أنه علم أن الفأر مضطهد من الناس فلقونه بالسواد ليشابه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من آدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزناير لونا براقا أعطاهم سلاحا تدافع به عن نفسها ما يفاجمها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جيلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليختفي عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه العجائب في أول (سورة المؤمنون) عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عنايته بالإنسان فهو سبحانه عدل وعدله شامل لم يترك أمة بدون مرشدين - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى - إن ربّي على صراط مستقيم - وبهذا تفهم آية - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - فإن الإنسان ربما يخطر له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظن سوء المعاملة فبذكر الله ومعرفة نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات - فبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا - ﴾  
لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني . وعلك فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقال ابن عباس في معنى الآية « أرايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي » ويقال أيضا « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم إلى الآن لم يصلوا إلى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانهم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الإنسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم دم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الإنسان ما حوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يمثل له سيرها وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كال الناس الأجسام ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علو ماء الأنهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوى والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ما بها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقدروا سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يقلت منه تغير ولا قطمير ولا كثير ولا قليل فالوزن عمّ كل شئ عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يذروا الحرارة والنور والطفهما ولا الفحم والحجر لثقلهما ولا الشمس والقمر لعظمتهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالماظير المعظمة من ضروب أنواره وفنون أشعته التي تماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة إلى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردوا كل شعاع إلى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرا في الأرض كشفوه في

عناصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله جهول في أمر نفسه فهو مضيع لقواها وملكات مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله ولا آرائه ولا لخطراته ولا لوثباته ولا لنظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قدوزنت الضوء وحسبته ووزنت الحرارة الجوية وحرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يجري ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرقى وأعلى من كل ما ترى وما تسمع مهمة الحساب ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شيء ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء وللضوء وللحرارة وللماء ميزان يزنها وأنت لاتشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجارب تعلمك والتهذيب يريك . ألم تر أنك إذا أمسكت عن الكلام فيما لا يعينك أيما وغادرت ما اعتاده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائلة والعقول نحوك متجهة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل ما لا فائدة منه ولم تطع هواك وتركت القول الذي فيه الافتخار والحديث عن نفسك حفظت في النفس آثارها وأبقيت فيها أنوارها فجذبت النفوس اليها وألزمها العطف عليها فحنت اليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام حفظت فيه آراء كادت تطير فجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما قدمناه في هذا التفسير . ولا يعلمك صدق هذا القول إلا التجارب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تتظاهر بما لديك من المفاخر تجدد النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما إذا مزقت حجابها وهتك ستارها وأزحت خايرها فإن كل امرئ يقول ما لها فتصبح العوبة في يد الجاهل

هذا مثل ضربته لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصبح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا للهوى فأنهم يذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العزّجناه . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذي أطلق العنان للسانه أو لبصره أو لجناحه فتكلم بلا استبصار ونظر أو غير اختبار وتفكر فيما ليس له اعتبار قد عبد هواه وأتى فرق في العبادة بين هذا وبين من صنع التمثال فاتخذ معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثاني أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثاني كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صوان لا يفرقان غاية الأمر أن الأول ضلّ في الفروع والثاني ضلّ في الأصول ولكن الضلال عموما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الأمور المحيطة بها ونتائج الزنة ترسم على جبينها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور -

( الانسان اليوم أكثره في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم كفار - )

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في الكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية والغربية فاقرا كتابي ( ابن الانسان ) الذي ألفت وأرسلته الى مؤتمر الأجناس في انكلترا وجعل في جلة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها في سنة ١٩١١ قبل الحرب العامة بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن الدول كلها يغالب بعضها بعضا وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها في البحر الملح لا يابى ماؤها على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب في البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء



منشورا في الهباء مع الهواء وجهل الناس انهم أعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكنهم خائبون خائنون لبعضهم فهم يدبرون المكاييد لبعضهم فتضيع القوى والملكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضائعون تأثرون صممكم عمى فهم لا يفهمون انما مثل القوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كمثل البخار ومثل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولا يلتفتون اليهما فعقلوا اليوم فاندتهما وانتفعوا بهما . فأما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضيعه الناس في الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا فخابروا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تفسير قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه - وأمثالها من الآيات . فهذه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهام معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم الذي بعده لأن أهواءهم اليوم غالبية والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوخ أقرب الى التعقل من الشبان لغلبة الهوى على الآخرين . انتهى

( اللطيفة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا - )  
هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

### ( المقصد الثاني )

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا \* ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا \* وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا \* لِنُخْطِي بِهِ بَلَدَةَ مِثْنًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِي كَثِيرًا \* وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كِفُورًا \* وَلَوْ شِئْنَا لَإِبْعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا \* فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا \* وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا \* وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا \* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا \* قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا \* وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا \* الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا \* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا \* تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا \* وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

### التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنعه (كيف مد الظل) بسطه نعم الأرض من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنًا) دائماً لا يزول ولا تذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) فإن الأشياء تستبين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه اليها) أخذنا ذلك الظل الممدود إلى حيث أردنا (قبضاً يسيراً) سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً جزأً جزأً بسبب ضوء الشمس الذي ينسخه (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام كاللباس فإن كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتاً) راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم وأصل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت لليت وقال تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشوراً) وهو في مقابلة الموت المذكور في أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أي موتكم بالنوم في الليل وجعلنا نشوركم أي انبعاثكم من النوم الذي يشبه الموت بالنهار ففيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب \* قال لقمان لابنه « كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشئ » فالنوم واليقظة نموذج للموت والنشور (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) البشرجع مخفف بشر بالضم جمع بشور بمعنى مبشر أي مبشرات بأقدام المطر \* وقرئ - نشراً - أي ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إماعلى وزن فعل مخففاً وأما على وزن سحج جمع سحاب (وأنزّلنا من السماء ماء طهوراً) أي بليغاً في طهارته وهو في اللغة إما اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار وأما صفة كما ذكرناه هنا وأما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهوراً حسناً \* وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ لا صلاة إلا بطهور ﴾ بفتح الطاء أي بطهارة . وأما قول ثعلب « انه ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره » وهو مذهب الشافعي فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى المتعدى (لنحيي به بلدة ميتاً) أي لنحيي بالمطر بلاداً أو مكاناً لانبثاق فيه فنجعله مزداناً بالشجر والنبات والأزهار والأثمار وذلك للأرض أشبه بالحياة للإنسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وإناساً كثيراً) أي ونسقي الماء أنعاماً وهي البهائم وأناساً مما خلقنا وسقي وأسقي لغتان \* قال الشاعر

سقي قومي بني نجد وأسقي \* نميراً والقبائل من هلال

والإناسي جمع أنسي كالكراسي جمع كرسى أوجع إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء في الياء . يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لتأكل كل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدّم الأرض ثم الأنعام ثم آخر الإنسان لاحتياجه إلى ما تقدّمه (واقعد صرفناه بينهم) أي صرفنا المطر بين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجاً أو برداً ومطراً أو مخزونا في باطن الجبال ينزل شيئاً فشيئاً لئلا ينضب الأنهار على طول السنة وجارياً في نهر ونازلاً في بحر وبخاراً مرتفعاً من البحر الملح وغيره وسحاباً تصرفه الرياح وإذا صار ثلجاً كبر حجمه وإذا كبر الحجم كان سبباً لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقاً إلى الخارج ويكون في مجارى تحت الأرض إما في غورها البعيد كالسيل الباطني الذي يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمرّ في مجارى تحت الأرض المصرية جارياً إلى البحر الأبيض وهذا النيل





يصف الشاعر المدوحين بأنهم لا عيب فيهم إلا عيبا واحدا وهو أن سيوفهم مفلولة من مقارعة الأبطال هكذا يقول لأسألكم عليه أجرا إلا شيئا واحدا وهو أنكم تقتربون إلى الله فهذا هو أجرى وإذا كان هذا هو أجره فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل محبوبا لذاته لا لغاية أخرى فكأنه جال . وإذا كان الجبال مطلوبا لذاته فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل الخلق فأجرها لا يكون عرضا دينويا بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا رقي ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس إلا الأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المخلصون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا يفرحون بمال ولا بعقار . ومن هذا الحديث الشريف ﴿لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم﴾ وهذا كلام إذا سمعته صغار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده وما دروا أن قائل ذلك يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلا تنظر يا محمد إلى ما عندهم من مال ليعطوك أجرا ولا تخف من شرهم فلا هم رازقوك ولا هم مؤذك مادمت قائما بهدايتهم فنحن نعطيك ما يكفيك ونكفيك شر من يؤذك ونفعل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزهة عن صفات النقصان (بحمده) مثبها عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي ينزه عنها أن يكل إلى غيره من توكل عليه (وكفي به بذنوب عباده خيرا) أي كفي الله خيرا بذنوب عباده فهو خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق موضعا بحرّض الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من الدقة في العمل والثبات فيدليقون على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليتوكلوا على الله في نتائجهم وليفرحوا بما يجيء به القدر لأنه هو الحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . تخلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش عبارة عن النظام البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فن تخلق بأخلاق الله على قدر طاقته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حري أن يتوكل على الله والله كافيه لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأتقن صنعا وقوله (الرحمن) فاعل استوى وقوله (فأسأل به خيرا) أي فأسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن علما يخبرك بحقيقته لأن خالق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يفهم مما ذكرناه هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس في العلم وليجدوا في البحث ولا يقفوا عند ظاهر اللفظ فالضلال في الوقوف فمن كان جاهلا فليقف عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في معناه ومن كان ذكيا فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فإن العلماء إذا قرؤوا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه العامة . وأيضا كان القوم لا يعرفون الرحمن فان هذا الاسم المشتق من الرحمة الذي هو أبلغ من الرحيم لم يكونوا يعتادونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم المختلفة كعلم الارتباط حتى يعرف لم يختص عدد الستة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف آلاف الالاف فلم اختار عدد (٦) وكالعلوم جميعها من فلسفية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق الاجال وكعلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم بجهنهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسنزيد الأول منهما بحثا وتنقيا في لطائف هذا المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) اخضعوا



له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عندنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم (أنسجد لما تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أولا أمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بهجة رحته ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الخرس وهى هنا اما البروج الاثنا عشر وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والنوس والجدى والدلو والحوت . وأما النجوم الكبار التى عدتها المتقدمون نحو ألف وعددها المتأخرون أكثر من مائتى ألف ألف . وانما سميت البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كل المنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمسا متوقدة وقرا مضيئا (وهو الذى جعل الليل والنهار خليفة) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيئه والخلفة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خليفة وقوله (لمن أراد أن يذكر) متعلق بقوله - جعل - أى لمن أراد أن يتعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنعته (أو أراد شكورا) أى شكر نعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للقصد الثانى وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) فى قوله - ألم ترى الى ربك كيف مد الظل -

(٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قديرا -

(٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -

(٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً - الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترى الى ربك كيف مد الظل - ﴾

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فلتنظرها نظرا آخر فيقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لا تجد فيها إلا نورا على نور كما تقدم فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأنت اذا تأملت لا تجد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . ألا ترى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كلها مضيئة بأنفسها لا ظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشمس فانظر شمسنا هل تظلم ليلا أو نهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صغر حجمها بالنسبة للشمس الأخرى لا تطفأ فما بالك بالشمس الكبيرة التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة فثبت أن الكون نور فى نور ولا ظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نسينها . واعلم أن الأجرام على ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ أجرام مضيئة وأجرام معتمة وأجرام شفافة . فالأجرام المضيئة هى هذه الشمس فالحال كله نور كما قلنا والأجرام المظلمة المعتمة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وما شابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكنى ويقال بطريق القياس ان حول الشمس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكما فى الحكم كما فى سياراتنا فلنرجع الى أرضنا وفرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضاءت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولا معنى لليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه من الأرض فأصبح مظلما . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ما هو إلا ظل الأرض والنهار ما هو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولا معنى لحسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطي ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فإنه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . إذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم تر إلى ربك - أى إلى صنعه ومعجائبه واتقان فعله - كيف مد الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور في نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقا . وإذا كانت هناك سيارات للشمس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لا تذكر ولا تؤثر ظلالها فالدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله تعجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولا لهم وقت مناسب للنوم فيه . ولو كانت الأرض شفافة كالهواء وكالزجاج وكالماس وأشباهها لم يكن لها ظل فانه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفي النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فانه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنع فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم إن الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المحاذى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تامة لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فان ضوء الشمس بحسب الظاهر يتنقل فيكون نور الشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكور الله كل واحد على الآخر . فقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما يعم الظلام الدامس وقوله - ثم قبضناه اليها قبضا يسيرا - متم لما قبله - لأنه بنسخ الشمس الظل يكون التدرج فيه وهو معنى - قبضناه اليها قبضا يسيرا - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ﴾

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجب فان لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلاهما وضع رمزا لعالم واسع ولكن أكثر الناس عنها معرضون ﴿وبيناه﴾ أن قوله - وأرسلنا الرياح - إنما نزلت في مقام الامتنان بإرسال الرياح وإنزال الماء من السماء لتحييه الأرض بعد موتها . فقوله - لواقح - جاءت كمفتاح لعلم لقاح النبات . وإذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أوماجاء في (سورة الحجر) في التفسير هناك . أقول إذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجبا في بدائع صنع الله تعالى من اللقاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك في التفسير معنى وعلم اللقاح أهم ما في علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهورات التي فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فان الله امتن على العباد بإنزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهي - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة بسقى الأرض به وإخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإذن يقال إن الماء أنزله الله لحياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالماء حياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فانه عز وجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولا جرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلا خير في ظاهر لا يتبعه الباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيته في الليالي المظلمة لألفت الكواكب فيه مرسومة فالماء يحيينا وينظفنا وإذا نظرنا إليه وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعوالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وثلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأبى أكثر الناس



إلا كفورا - ؟ بم كفرا الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو انهم فهموه وفقهوه لكان فيه للناس غنية ولكان كافيا لهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا الى الماء من حيث انه حياتهم وان كانوا متدينين نظروا اليه من حيث انه به نظافة أجسامهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقائقه فانحطت نفوسهم الى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس الى اشراق الكواكب فيه وانها مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة . ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب في الماء . الروح أطفئ من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة والأخلاق وبالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفناه في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدد هنا فقال - فأبى أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال الله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأبى أكثر الناس إلا كفورا - فكأن الماء كتاب وكأن الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قدّمنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المقابلة له كما قدّمنا . هكذا فتكن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أظلمت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا ان النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فاذا كان الصفاء والكدر في الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وثلجا فاذا كان داخلا في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما ان الأرواح في الأجسام كذلك واذا خرج من الأجسام بالبخر صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت الى عالم آخر وكما أن البخار يرجع فيصير سحابة فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجها من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا الى عالم الحياة . فاذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فنى بل انما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالله تعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم الى اليوم والى أن تفتى الدنيا هو هو لم يتغير فالماء الآن هو الماء الى يوم تفتى الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الالوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع الى البحر الملح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تفتى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالماء الذي شربه أجدادنا هو الماء الذي نشربه أو نظيره . ولكن ذلك لم يفن فلما أن يكون هذا منه واما أن يكون ذلك قد رجع الى البحر وهو فيه الى الآن وسيرجع بخارا يوما ما . هذا ملخص المعنى . فاذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأودروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قل تركيبه عسر انحلاله وطال أمد وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالماء أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والادروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله في المعامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والانسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصريف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في نفوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة انما جعلها الله لتهديب الأرواح وتذكيرها بميعادها ورجوعها الى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشأنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرهما لتصفو نفوسهم ويعلمو كعبهم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الداعية لذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفوس والماء حياة للأجسام

## زيادة كشف وإيضاح

( اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تنق هي أو بأن يتجدد أمثالها )

اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولوشئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فهاهوذا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - مرج البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . فهنا قرآن وماء وانسان تصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيما كتبناه هنا وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيا جيلا سواء أكان في الأقطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب معي كيف ذوب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . ذوبها من الحيوانات التي تموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذنان وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلطة مزودة براها المسافرين في البحر . ألا تعجب معي كيف كان ذلك أيضا في القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجو هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أوضوء الصباح هناك يلمع ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لاتقل في تقلباتها عما في بحار خط الاستواء . هذه هي الصنعة المتقنة . تفنن وتفنن واتقان واتقان وأنوار وأنوار . لم يحجب ذلك حر مفرط ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعدم وسيلة يهربها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن تره قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعيد وأنواع من البديع وتفنن في القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامهما لحسن الاتقان في الصنعة كما ترى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فاعلى مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن وعلى تفنن واصف فيه بحسنه \* يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان فنرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون ممزوجا بالنبات مختلطا بجسم الحيوان يدور في دورة كل منهما وهو بخار وماء وثلج الى آخر ما تقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

مخيلة	في مقدم الدماغ	متكلمة	باللسان أيضا
مفكرة	في أوسطه	ماضفة	بالأسنان
ذاكرة	في مؤخره	هاضمة	بالمعدة
حافظة	في مؤخره	مجرية الدم	بالشرايين
كاتبه	باليد	مصفية الدم	بالرئة
ناظرة	بالعين	موزعة الدم	بالقلب
سامعة	بالأذن	طابخة الدم	بالكبد ونحوه
باطشة	باليد أيضا	حافظة القلب وما حوله	بالضلوع
ماشية	بالرجل	حافظة الماء	بالكلية
ذاتقة	باللسان	مخرجة الفضلات	بالسبيلين وهكذا



فالنفس واحدة وهي الفاعلة الأفعال المختلفة ففي كل عضو بحسبه فهي تنزل على حسب الآلات فهي في الدماغ عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهي في الحواس سمع ونظر الخ وفي الدائرة الغذائية هاضمة وفي الدوائر التنفسية مصفية ومدخلة الأكسوجين ومخرجة الأندروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام في الماء وفي الإنسان وفي القرآن . هذا قوله تعالى - ولقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله - مرج البحرين - وقوله - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الهرم بالبلاد المصرية بقاءه لحسن الصنعة وكذا الماء والكواكب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانها كان سببا في تجدد الأشخاص فحسن الاتقان في النظام كان سببا في تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين ﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ ﴾

اعلم اني لما وصلت الى هذه اللطيفة قال لي أحد الفضلاء وقد اطلع على ما سبق ذكره في سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها وقرأ ما كتبت على قوله - استوى على العرش - وعلى ما ذكرته في قوله تعالى - في ستة أيام - فقال ان ما ذكرته هناك لا غبار عليه ولكن لا يزال في النفس شيء مما قلته في ذكر - ستة أيام - ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا في ملايين الملايين من السنين واذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا في مئات الملايين فما بالك ببقية العوالم كالشمس ونوابعها . واذا كانت الطبقة الصوانية التي هي فوق الكرة النارية التي هي عبارة عن باطن الأرض لم تكون على رأى بعض العلماء إلا في نحو ثلثمائة مليون سنة فما بالك ببقية الطبقات . فإذا مسألة الأيام الستة لاجرم انها مدد عظيمة . هذا هو الذي يؤخذ مما تذكره في هذا التفسير . انما الذي يهمني الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لو قال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقدر بأى عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لا يعرف إلا بعلم الارتماطيقى وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفن قد كتبت مجله في كتابي ﴿ الفلسفة ﴾ التي جمعت فيه سبعة عشر علما هي مجموع العلوم التي كان يقرؤها القدماء في الحكمة والمقام لا يسع التفصيل ولكن أذكره هنا مجملا لتعرف لم اختار عدد (٦) في التوراة والانجيل ومتى عرفت ما سأذكره لك استفدت سبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كله مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أول العدد لأن العدد يشعر بالتعدد ولا تعدد في الواحد فالواحد خاص بالمبدأ الأول الذي منه كل الوجود والاثنان أول العدد والثلاثة أول العدد الفرد وجميع الأعداد لا تخلو من الزوج والفرد إذن هي ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فاذا أضفت الى واحد ٢ و ٢ و ٢ وهكذا تكونت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . واذا أضفت الى اثنين ٢ و ٢ و ٢ تكونت الأزواج كلها . واذا نظرت في هذين النوعين رأيت عجبا . رأيت جميع الأفراد وهي ٣ و ٥ و ٧ و ٩ و ١١ وهكذا الى ما لا يتناهى لا تخلو من ﴿ أمرين ﴾ إما أن تكون أعدادا أولية أى صماء لا تنقسم لأنها ليست من ضرب عدد في عدد آخر مثل عدد ٥ و ٧ و ١١ واما مركبة من ضرب أعداد كلها فردية ولا دخل لعدد زوجي فيها ألبتة مثل ٩ و ١٥ و ٢١ و ٢٥ و ٢٧ وهكذا فان هذه كلها مركبة من أعداد فردية . هذه هي الأعداد الفردية من أولية وغير أولية . أما الأعداد الزوجية فانها جميعها يمكن تحصيلها من عدد ٢ وضربه في كل عدد بعده فان ٢ اذا ضربت في ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ الخ أحدثت الأعداد الزوجية ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ و ١٦ وهكذا الى ما لا يتناهى . هذه هي الأعداد كلها وهكذا حكمها زوجية وفردية والفردية إما أولية واما غير أولية وغير الأولية لا تكون إلا من الفردية وضربها في بعضها . أما الزوجية فانها كلها مركبة من ضرب (٢) في كل عدد بعدها الى ما لانهاية له

اذا فهمت ذلك فاعلم أن العدد الزوجي والعدد الفردي جميعا ينقسم الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ إما زائد واما

ناقص واما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربيه عنه . فمضاريب ١٢ هي ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ما نقصت مجموع مضاربيه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربيه (١-٢-٣-٤) وهذه عددها (٧) وهي أنقص من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوي جميع مضاربيه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربيه هي ١ و ٢ و ٣ التي مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربيه وهي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤) هو عدد (٢٨)

وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهي المتوالية الهندسية التي أسها (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد العشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف الى مائة الآف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهاك جدول

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦١٢٨
٣٣٥٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٢٢٠٦٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى في هذا الجدول انه من (١) الى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) الى (١٠٠) ومن (١٠٠) الى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) الى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول انه من (١٠٠٠٠) الى (١٠٠٠٠٠) تقريبا أو من هذا الى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول انه من (١٠٠٠٠) الى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا المرحوم علي باشا مبارك وهو صادق في المقال ﴿ إن في ندرة الأعداد الكاملة إجماع لندرة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الارتمطاطيقي

أفلاترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التبيين على أول عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عزيز الوجود . كيف لا وهاتان لم تر في الأعداد من (١) الى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) الى (٣٣) مليونا ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليونا ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فنبه الله به على انه لما خلقه في ستة أيام راعى أكل الوجود وأنه بحيث انه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولا ريب أن صور الموجودات لانهاية لها فاذا خلقها الله على هذا النمط فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير الى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس في الامكان أبدع مما كان ﴾ فاذا اختار في التعبير أكل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه -

فقال صاحبي حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفي فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجماله



ومالنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب لحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قال الله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارتباط الذي هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهي كلها مبنية على علم الارتباط وفي هذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران في الآية والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضي البحث عنه من حيث دلالة على الإبداع والاتقان كالسكواكب التي أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا ظن المسلم أن الله لا يعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار ستة أيام لهذه الحكمة العجيبة ولولم يكن فيه سوى الخس على منازلة هذا العلم الذي هو أسس العلوم الرياضية لكفى . وإذا رأينا علماءنا رضوا الله عنهم ألقوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة في تكفين الميت وغسله والصلاة عليه وفي الحيض والاستحاضة وفي الطلاق وأمثالها ولذلك آيات في القرآن محدودات ؟ أفلا ينبغي أن يؤلف في علم الأعداد الذي أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أيتها الأمة العريقة المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذي هو خاتم الأنبياء أن تفقوا بالنوع الانساني وقفة تزي بشرفكم . خبروني في أي آية أقسم الله بالحيض والنفس . خبروني في أي سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبروني في أي آية أقسم الله بالبيع وبالهبة وبالميراث وأنتم قد قسمتم بما يطلبه الدين في هذه العلوم وأرضيتم الله وخلقه فما بالكم تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر \* وليال عشر \* والشفع والوتر - وقال - والشمس وضحاها \* والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يغشى \* والنهار اذا تجلى - وهكذا . هذه هي الأشياء العظيمة التي أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحشكم على فهمها وادراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف في الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فأنزل في القرآن هذه الأقسام وحرص أهل العلم على استخراجها وإظهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون في هذه الأمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون في هذه الأمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجي والفردى ويعرف نظام الله في الأعداد التي هي سر الوجود عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أول الموجودات ﴾ ويقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب في الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله ﴾ فكأن الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عز وجل

### ﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبي على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نعيمًا في الآخرة لا ينفد ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال في الدنيا فقال نعم السراج يوقد منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون هل لهذا نظير في الدنيا فقال نعم الجنين في بطن أمه لو انه بال أو تغوط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شيء فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شيء اهـ

### ﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم اني أيام أن تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسي لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا علي فأخذت أفكر في هذا الوجود و بينا أنا نائم ليلة اذا جماعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤون في قصة أبي زيد الهلالي فوقفت بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت

نعم أعرفها وانظرت اليه نظر الذي لا يهتم . فقال عدد (١) اذا زدنا عليه ٢ و ٢ و ٢ الى ما لانهاية له والجيع  
نسميه واحدا ؟ فهل هذا معقول . فقلت العدد الذي لانهاية له ليس له اسم خاص فان مائة وألفا لها أسماء  
خاصة وأما الذي لانهاية له فاسمه عدد لا غير فنسميه واحدا إذ لا تعدد يظهر فيه ، فالتفت الى من حوله وقال  
( هو يفهم ) ففجبت في المنام كيف يعبر بهذا التعبير مع اني أجبت اجابة تامة ، ولما استيقظت قابلت أستاذي  
المرحوم الشيخ حسنا الطويل وأخبرته بها ولم يكن لي إلمام بهذه المسألة ولا أمثالها ، فقال لي رحمه الله إن  
هذا الجواب تقريبي لأن الجواب على هذه المسألة مذكور في الكتب وهو أن الأعداد كلها مركبة من الواحد  
فلولا الواحد لم تكن ، ومضت عشرات السنين ودخلت في تأليف هذا التفسير فرجع الخاطر لي ثانيا وكان  
رجوعه قبل تفسير - في ستة أيام - المذكورة في الآية وكنت أعجب لماذا جاءني هذا الخاطر ولماذا أراني  
مفكرا في الزوج والفرد ، ولماذا أفكر في أن الأعداد الفردية إما أن تكون أولية مثل ٣ و ٥ و ٧ و ١١ و ١٣ و  
١٧ و اما أن تكون من أعداد فردية تضرب في بعضها مثل عدد (٩) من (٣ في ٣) وليس لعدد (٢)  
دخل فيها وهكذا (٢١) من (٧ في ٣) وكذلك (٢٥) من (٥ في ٥) و (٢٧) من (٣ في ٩) وعدد (٣٥) من  
ضرب (٥ في ٧) ونجد أن عدد (٥) اذا ضرب في (٣) وفي ٥ و ٧ و ٩ و ١١ و ١٣ و ١٥ وهكذا أي ان عدد  
(٥) اذا ضرب في عدد فردي بالتتابع مثل السؤال الذي أتى على فانه ينتج ١٥ و ٢٥ و ٣٥ و ٤٥ وهكذا فكل  
عدد فردي يضرب في ٥ ينتج ٥ متبوعه بعدد العشرات وهكذا ، ولماذا أرى أنه يحدث في نفسي أن عدد  
(٢) بضربه في كل عدد يعده زوجي أو فردي ينتج عددا زوجيا أي ان الأعداد الزوجية كلها تنتج من ضرب  
(٢ في ٢) (٢ في ٣) (٢ في ٤) و ٥ و ٦ و ٧ الذي هو عبارة عن ٤ و ٦ و ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٤ الخ

فلما وصلت الى قوله تعالى - في ستة أيام - عرفت أن هذا الخاطر يقصد منه البحث في علم الأرقام تطبق  
واستخراج الأعداد الكاملة لافادة السكال الإلهي وللتنبية على أن علم العدد له منزلة شريفة ، كيف لا والله  
يقول بعدها أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . أقسم الله بالفجر والليالي العشر وبالشفع وبالوتر ثم قال  
أليس - في ذلك قسم لذي حجر - . فلماذا ذكر هذا الاستفهام التقريري في هذا المقام . يقول الله أترى أيها  
المخاطب أن هذا فيه قسم لصاحب العقل . لم يذكر الله هذا القول إلا في هذا المقام . لم يقل الله ذلك إلا هنا  
مؤكدًا ومبينًا فضل المقسم به ولا فضل فيه إلا ما فيه من جلال وجمال وحكمة وعلم فليس العدد والله معبودا  
وانما هو مما يفهم ويعقل ، وانظر كيف يقول أليس - في ذلك قسم لذي حجر - أي عقل ليوقظ العقول  
الاسلامية لترقية العقول بعلم الحساب وأصوله . إن أفلاطون أبان في جمهوريته أن رؤساء الجيش ورؤساء الأمة  
يجب أن يكونوا بارعين في العلوم الرياضية لأنها علوم ترقى العقول البشرية وتجعل العقل علويا لأن الأعداد  
عارية عن العالم المادّي فهي الى عالم الأرواح أقرب ولذلك كرر الكلام على الأعداد والرياضيات بحيث تدرس  
سنين وسنين لرجال الجيش ورجال الحكومة ، والى هذا نبه الله هنا فقال - لذي حجر - . ينهنا الى التعقل  
والفهم بدرس هذه العلوم . ثم أتى هنا بلفظ - ستة أيام - ليحير العقول وانما يحيرها لتبحث واذا بحثت  
علمت ذكر الأيام الستة ليقول الناس لم خص الستة ، ولم جعل العدد ستة . فاذا عرف الناس أن الستة هي أول  
الأعداد الكاملة ووجدوا الجدول كله تحت الستة أدركوا أن الأعداد منها ما هو كامل وهو نادر ومنها ما هو ناقص  
أوزائد وهما كثير عرفوا أن هناك علوما خفية ووجدوا في العلوم أسرار لانهاية لعددتها وهناك يعرفون  
العديدين المتحابين الذين تألف كل منهما من مضارب الآخر مثل عدد (٢٢٠) و (٢٨٤) فان (٢٢٠)  
يساوي جميع مضارب الآخر وهي (١ و ٢ و ٤ و ٥ و ١١ و ٢٠ و ٢٢ و ٤٤ و ٥٥ و ١١٠) ولايجاد الأعداد المتحابة رسموا قواعد بها استخراجها  
كما استخراجوا الأعداد الكاملة بقواعد . واعلم أن قول القائل ان عدد (١) اذا زيد عليه ٢ و ٢ و ٢ الى



مالانهاية له ثم يقال له عدد واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما أجبت هذا الجواب حق في علم ما وراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهى ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة ولواحقها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولواحقه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأبضا الى القوة والفعل والقديم والمحدث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها أن العدد الذى لانهاية له يقال له واحد صحيحة في علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيرا أو قليلا يطلق عليه اسم الواحد فالواحد مع الموجود أينما كان . وأبضا ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعدادا كلها فردية الى ما لا يتناهى فهما كان العدد فهو واحد وأبضا هو فردى . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما اللطيفة الرابعة فهى مفهومة مما تقدم من سابق التفسير . وههنا ﴿ جوهرتان \* الأولى ﴾ في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ ﴿ والثانية ﴾ في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - الخ ﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - ﴾

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فتراه في (سورة الرحمن) يقول - مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان \* فبأى آلاء ربكما تكذبان - وتراه يقول في (سورة النحل) - وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرى بهم برىح طيبة وفرحوا بها جاءتها رىح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - الخ . فبالت شعري ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله - ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه اللؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان . فالبحار آيات واللؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانسانى لاسيما المسلمين منهم سيشملهم الغرور ويعمهم داء الجهالة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وقل فيه في (سورة يس) - يا حسرة على العباد - . يقول الله على طريقة الاسلوب العربى - يا حسرة على العباد - كما يقول الانسان يا حسرة على فلان قد فاتته الفرصة واعتزته النكبة وحق به الويل والشبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانسانى حزين أن يتحسر عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكورين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) واحياء الأرض بعد موتها بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور الجنات من النخيل والأعناب فيها (٥) وتفجير العيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجرى الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خالق لهم السفن فى البحار ثم ختم ذلك كله بقوله - وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - وانما ذكرت لك هذا مع أنه فى (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عليه حقيق بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولا وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يعقل ما يراه من عجائب الدنيا حتى قال الله عز وجل فى هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات النعم عليه بالترية فانه يعرض عنها ولا جرم أن المسلم يصدق عليه ذلك فانه يفتخر بأنه مؤمن بالله ويقول كفى ذلك وهو يقرأ صباحا ومساء فى القرآن والقرآن نعى عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسنعه سوايح البر وسوايح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله تعالى وللبحار ومالى

والبحال ومالى وللأنهار وهذا دأب كثير من الفقهاء فى الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد شملهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التى أتتهم ؟ فهل بقى للمسلمين بعد ما بيناه فى هذا التفسير وغيره عذر فى الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جال الله وهذه عجائبه تجلت فى هذا التفسير وفى أمثاله من كتب يؤلفها العلماء فى عصرنا . فانظروا واعجبوا . هذا (اللورد أقبرى) مؤلف كتاب (جال الطبيعة) يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٢ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجبا كل العجب . قوم من أورو با يعرفون بعقولهم وحدها جال البحار ويفرحون بجمال ربهم ويميمون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يذمنا الله بالاعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتشقى له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به فى المصائب - إنا لله وإنا إليه راجعون - ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتشالهم من الجهالة وارتقايتهم الى العلياء . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فأخرج هذه الأمة المسكينة من الدنل الى العز ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل إجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يخلفه فى بنى اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامة استجيب . وهام أولاء المصلحون فى بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأصر عن الأمة الاسلامية وأن تشوقهم للعلوم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أمتنا أكبر جدا من أمة بنى اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أقبرى) وأبدأ بقول الشاعر الذى خاطب البحر

إن فى صدرك الرحيب رجالا \* جمعوا البأس والنهى فى الصدور  
أخستهم مدافع مرعدات \* فأصموا عن داعيات النفير  
وهم اليوم بعد طعن وضرب \* فى قرار غير المقام القرير  
لك ما شئت من نصار ودر \* لم يك البحر بالعديم الفقير

### (الحيوانات فى البحار)

(١) منها (الخطبوط) وهو يعيش فى ماء (نيوفوندىلاند) ويبلغ على صغر بدنه (٦٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسالة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكشولات) فهذا حوت يطوف فى أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتصف بشدة الرحمة على من ساله وبالغضب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقومه وأنيابه محدودات يسطوبها على الحيوانات البحرية فيلتقمها ، ومتى مس بخدش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعاونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية لخطموها وأغرقوها فى البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغه ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيدالد) والحوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسى) ان قريص البحر يغطى من سطحه أميالا والميل المسكب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠) أى (٢٣٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه المخلوقات لا تنفوس فى البحر كثيرا ولكنها تغطى مسافات من السطح لا يحصيها الحصر ولا يحيط بها الحساب



وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوناً بألوان عجيبة يشاهدها النوتية والسالكون في طرق البحار (٦) الحشرات و بعض ذوات الشدى التى تعيش فى الماء لا تبعد عن البر إلا قليلا . ومن هذه (عجول البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المسكخة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أعجب العجائب أن طائرا بحريا يسمى (الصخاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الجار يبلغ طول جناحيه الممدودين معا (١٥) قدما وقد يبقى ساعات متواليات طائرا لا يقع وقد ينام محلقا فى الهواء . فهذا الطائر فى ضخامته يشبه الحيتان فى قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون فى ظلمات الليالى مناظر النجوم فيرون عجبا وجالا باهرا يأخذ بالألباب فاذا رجعوا الى النظر فيما حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان فى الحيوانات البديعة البهجة المتفننة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرّ قاصر على سطح الأرض فان العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهى (ثلاثة أقسام) قسم منها فى ظواهر الماء وقسم منها فى قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه فى البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدم هنا وفى مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذى تقدم فى (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فان فيها السمك المعروف بالسمك الهلامى (الدوزا) باللغة الانجليزية (والحسكل) وهى دويات صغيرة كالذّر . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخلوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يصلها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون ألبتة . ومن عجب ما ذكره (سروليم تومسون) عن نوع من السرطان له عيون اذا عاش قرب سطح الماء فاذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) الى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هى شفافة وبعضها براق لماع فى غاية العجب فسفورى الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذى يعيش فى الأعماق فضى اللون جيلا بهيا غالبا وبعضها أحمر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها اللامعة صارت بهية اللون جدا وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فان شاء أضاء بها ماحوله من الماء وان شاء أطفأ النور ، فكما أن الله خلق شمسا وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه هذه الحيوانات الساكنات فى الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تنصرف بها على حسب مطالبها فى المعاش ، فان رأى الحيوان فرسته يستعمل النور المعة لكشفها ، واذا أحسّ بعدو مفاجئ أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتناص فرسته يستعمله أيضا لكره عدوه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل مافعله رائحة الظربان فى حيوان البرّ إذ يجعل الرائحة التى يطلقها على عدوه سببا فى ازعاجه وكبعض الحشرات التى لاتنجو من صائدها الذى أمسكها إلا اذا أنزلت عليه سائلا فى جسمها كرىه الرائحة فبذلك تعيش ولا تخاف من عدو يفاجئها فسبحان الخلاق العليم

(١١) وهل أذاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذى له زعانف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب الى الحرة يطلقها فى الأمواج ويجعلها كأنها حبال

للصيد تقوم له مقام نسيج العنكبوت وشبكات الصيد فان العنكبوت نسيجها يصطاد الذباب وأنواع الحشرات وقد جعلت بيوتها مناسبة لذلك . أما هذا فليس له سبيل الى صيد السمك الصغير إلا بأن يطلق تلك الخيوط الحجر فقصبتها تلك السمكات عشيا بحريا وماهى فى الحقيقة إلا حبال قد أرسلها ذلك الشيطان العفريت وقد اختبأ هو فى الرمال أوفى وسط حشيشة البحر فتأتى تلك السمكات المسكينات لتأكلها فينقض عليها فيفترسها هذا اذا كانت قريبة من سطح الماء ، فأما اذا كانت فى قاع البحار حيث الظلام حالك فلا ضوء هناك ولا شعاع فمن أعجب العجب أن تصير هذه الحبال براقة لماعة لتظهر فى الظلام وتفترس تلك السمكات الصغار

أقول أيها المسلمون . أليس هذا قول ربنا فى القرآن - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقوله - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وكفى بنا حاسبين - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وهكذا آيات كثيرة . أيها المسلمون كفى كفى ، ظهر فى هذا التفسير أن أم الاسلام المتأخرة لم يدرس أكثر علمائهم هذا القرآن ولو درسوه لكانوا أعلم الأمم بهذه العلوم . أيها المسلمون أنا فى عجب من أن يكون هذا القرآن ديننا وهذا الجهل صفتنا ، إن هذا لائم كبير وعار عظيم اللهم إني أدت ما أقدرتني عليها وأنت الملمم المعلم . اللهم أنت المنتقم ممن عرف من المسلمين وسكت ولم يذع هذه الآراء فى أقطار الاسلام ويعلم المسلمين بما يراه ملائمة لأهل زمانه والله هو الولي الجيد

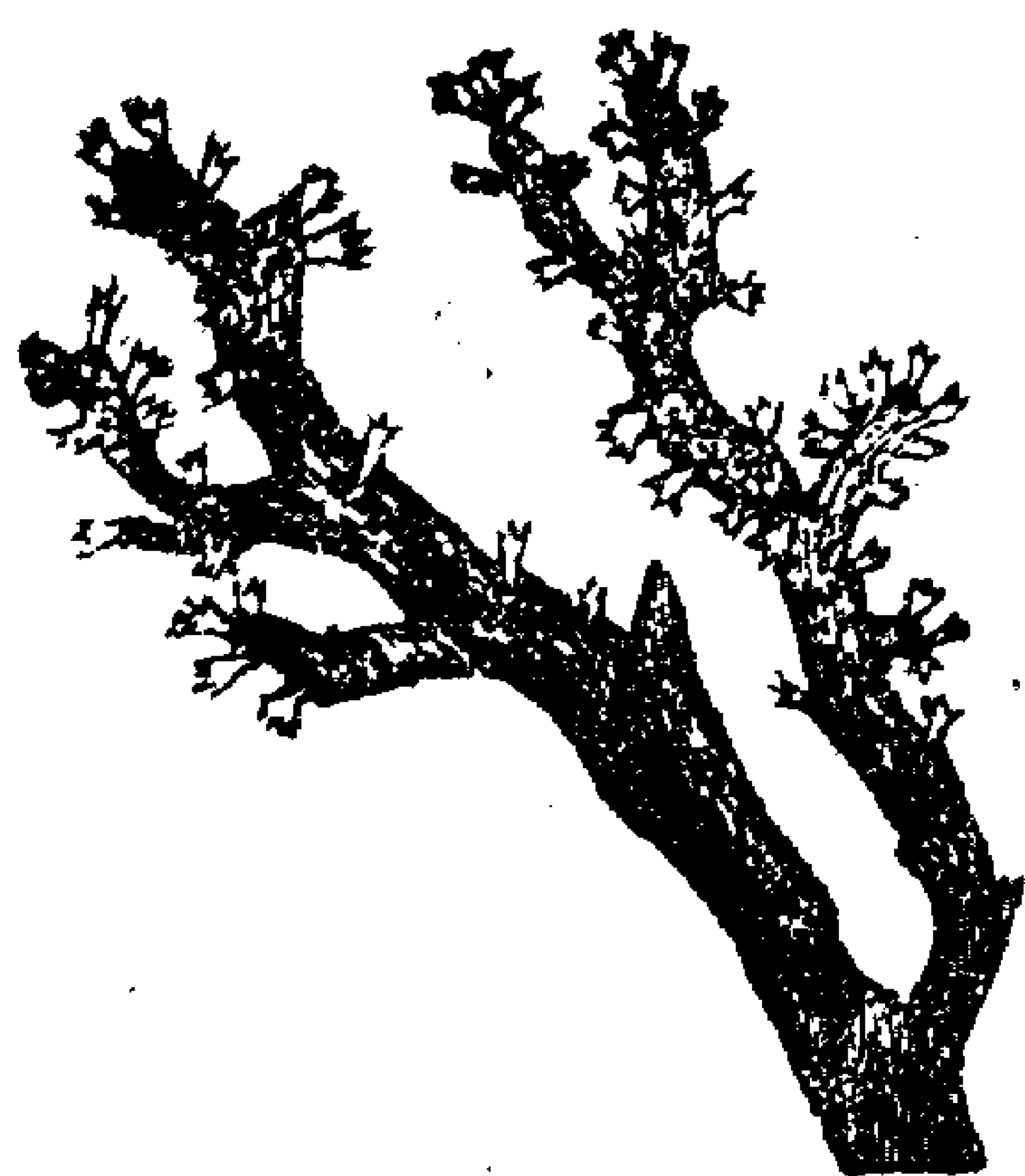
(١٢) إن النباتات البحرية لاتعيش على أعماق من (١٠٠) قامة كما هو آخر ما يعلم الناس اليوم ، وقعر المحيط الاطلانطي وهو بحر الظلمات ما بين (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة ماهو إلا طبقات مؤلفة من مادة بيضاء طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة مكسرة ونحت هذه الأعماق تكون المواد صلصالية أوطينية صافية تميل الى لون الحمرة وقد تدون فيها مواد بركانية ، وقد قالوا ان كرتنا يسقط عليها فى العام الواحد مائة ألف ألف شهاب

(١٣) إن أقصى أعماق البحار يشبه أعلى الجبال وقد سبروا البحر فبلغوا (٣٩٠٠٠) تسعا وثلاثين ألف قدم ولم يصلوا لعمقه وأعمق مكان فى الاطلانطي (٣٨٧٥) قامة وذلك فى شمالى جزائر (فرجينيا) وبلغ عمقه (٥٢٧٠) قامة فى مكان آخر ، وليس هذا هو منتهى ما يمكن الوصول اليه . فهذا ما وصل اليه الناس وسيعلم الناس بعدنا ما لم نعلم من عمق البحار

### ﴿ الجزائر المرجانية ﴾

الجزائر ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ جزائر هي قسم من البر وي فصلها مقدار من الماء قليل العمق كجزيرة سيلان وجزائر بركانية وجزائر مرجانية وهذه الأخيرة عددها كثير جدا وأكثرها فى المحيط الهندي والمحادي الباسفيكى فهناك ترى جزائر كثيرة مستديرة الشكل وقد تكون بشكل الخاتم أو الحلقة ، وكثيرا ما يكون فى وسط الجزيرة حوض ضحل ضارب مأوّه الى الصفرة والخضرة معا وهذا مخالف للماء المياه المحيطة به فانها سوداء لقرط عمقها . ولهذه الجزائر سواحل رملية بيضاء غالبا وغالبا مائى مكسوة بنخيل الكوكو (الشكولاته) والجزائر المرجانية المعروفة باسم (بلكايف) و (ملاديف) أى بحيرة الجزائر أى (١٠٠.٠٠٠) جزيرة و ١٠٠٠ جزيرة (انظر أشكال المرجان وهي ﴿ قسبان ﴾ قسم شجرى وهي (شكل ٣٣) و (شكل ٣٤) و (شكل ٣٥)

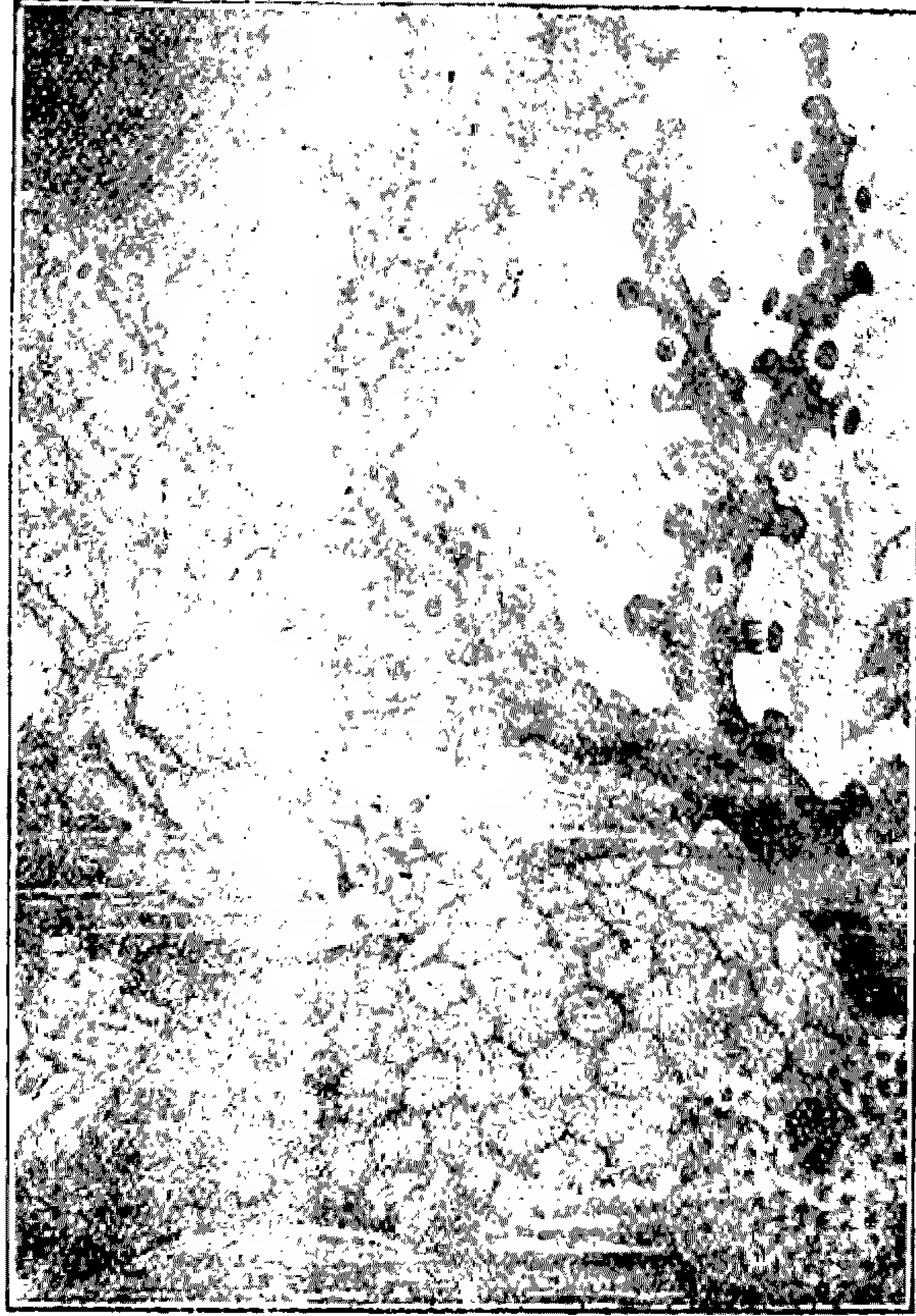




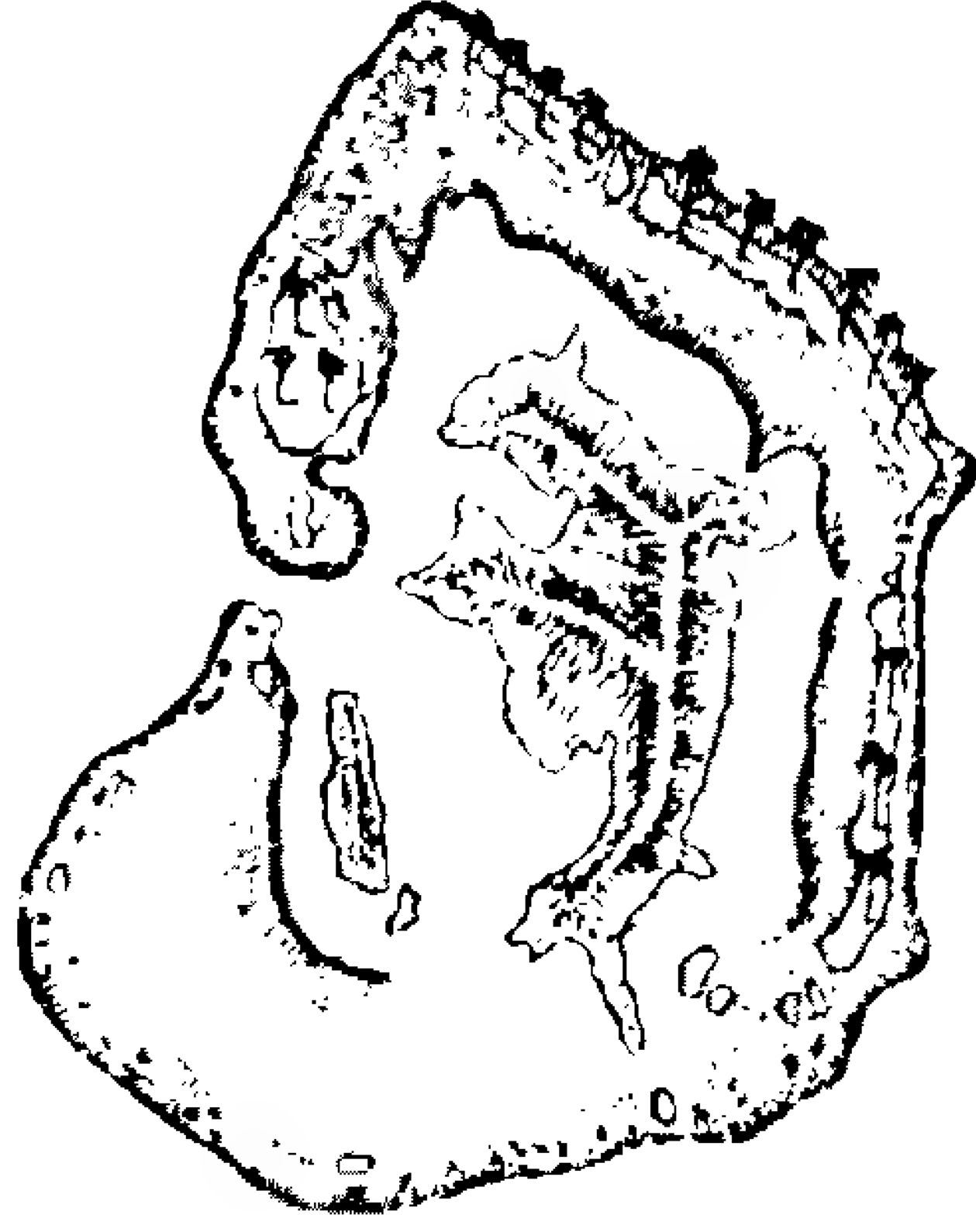
( شكل ٣٣ - رسم المرجان بهيئة شجر )



( شكل ٣٤ - هذه صورة أخرى للمرجان )



( شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للمرجان أيضا ظهرت فيها ثغور حيوانات ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات )  
 وقسم بهيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل ( شكل ٣٦ )



( شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان داخلها بحيرة عميقة قليل جدا )  
 وأما جزء من جزيرة بركانية مثل ( شكل ٣٧ )



( شكل ٣٧ )



واما جزيرة نمّة بركانية مثل (شكل ٣٨)



( شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو )

هذه الصور الثلاث من كتاب ﴿ علوم للجميع ﴾ تأليف العلامة ( روبرت براون ) وهو باللغة الانجليزية

﴿ تذكّرة ﴾

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأعظم أعمالا ؟ فهل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بنى جزائر تعدّ بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن في بحيراتها أنواع الحيوانات فعاشت قرية العين سعيدة بعيدة عن مهالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظلوما جهولا - فيكم للفضول من عمل أعظم من عمل الفاضلين ، فكيف يغترّ هذا الانسان بترعة يحفرها أو نفق في الأرض أو هرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العليم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ البحر المالح ﴾

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات المائنة من ظهور الفساد فلولا الملح لأنتن الماء وفسد الجو ولم تصالح الأرض للسكنى فللملوحة في البحر حكمها حكم الملوحة في ماء العين ، فلولا ملوحة ماء العين لأنتنت الحديقة ، فهذا الملح يحفظ العين ويمنع نتن ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحمته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطفأ فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا الملح في البحر صاعدا في الجو متراكما سحابة فيه ماء صالح للشرب ، فتبارك الله الحي القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى المالح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس لفصل الانتفاع به . فهذا هو البحر المالح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجري ينابيع تحننها منها العذب ومنها الماء المعدني ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جلست بجانب البحر المالح وحفرت قليلا في بعض المواضع أقيت هناك ماء حلوا . أليس هذا عجبا ؟ حلوت تحت سطح البحر مرّة فوقه حلوا في البخار الطائر منه في الجو والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالملح من سائر الجهات

فلاماء البحر المالح يختلط بما تحت القاع للسانع الطبيعي ولا بما فوقه في الجو لأنه هرب منه وترك له ملحه وترى الأنهار كالنيل والفرات ودجلة تصب في الدمار كالبحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي ونحوها ومع ذلك لا يطغى البحر المالح عليها فيجعل ماءها ملحا ولا الأنهار الصابة في البحر تجعله حلوا . فهذه مجامع الحواجز التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا يغني أحدهما على الآخر بتلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين ومن هذا القبيل أن المجارى المعدنية تحت الأرض لا يختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة فلا يختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التي تخرج من الأزهار وتسير في الجو من أعضاء الذكور الى الاناث تتخذ مجارى لا يختلط أحدها بالآخر الى أن تقع على الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الذرات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متميزة لا تختلط احداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - مرج البحرين يلتقيان \* بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل صور جميع المخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وانما الذي يحس بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فتى سلطت عدستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وسلمتها الى لوحة التصوير وراها في الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع المخلوقات على الأرض سائحة في الجو الهوائي لا يختلط أحدها بالآخر فصور بني آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - انتهى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خاق من الماء بشر - الخ مع قوله قبلها في الماء أيضا - واقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ﴾

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أي في مساء ذلك اليوم خرجت لارياضة كما قال توبة في محبوبته ليلي

وأخرج من بين البيوت لعاني \* أحدث عنك النفس بالليل خاليا

فتوجهت الى شاطئ النيل الشرقي كعادتي ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند المنيل أمام مصر القديمة اذا الجوف في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحمر يرتقالي يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفي اذا السماء مغطاة بسحاب يمتد من الغرب الى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحابيا والشمس قد آذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون جرمية وقد امتدت في أقطار السماء كلها وكلما كانت أقرب الى الشمس كانت أبهج لونا وأزهى حرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت الى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تندب حظها لبعدها عن الشمس . أما تلك المقتربة منها فما أجل طلعتها وما أبهرها وأحسنها . جبال وأي جبال . وبهجة وأي بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهيج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات لملك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد مملكته وهم صفوف وراءها صفوف يهتفون له بالاجلال والاعظام أو كسناء ازدهت بالجمال وأشرقت بالحسن وقد هرع لجأها المحبون بها - من كل حدب ينسلون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جميل غفل عنه صغار العقول . جهل الناس هذا الجمال في الأرض وفي السماء



ذلك أن كل حيوان قد حيل بينه وبين هذا الجبال بما أودع فيه من عمل لحياته وسعى لذريته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأنى هؤلاء أن يبتهجوا بالجمال الذي يغشاهم وهم لا يعلمون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهيجا وجيلا والناس غادون ورائحون وهم لا ينظرون فكأن الجمهور عمى أمام أجمل الفاتنات صم عند سماع أجمل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجمال محجوبون وعن المحجائب معرضون . تحدثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء في السحاب والبحار . يقلن كلهن بلغة فصيحة ويعقلها أولوا الآلباب إن في قلب الليل والنهار والصبح والمساء روايات تمثل لكم وأنتم لا تنظرون . شمس تشرق فتكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء وأوجراء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه حدث ولا حرج . ترى الأمواج ترمى بالدرر اللامعات والماس الجبل والزبرجدا الأخضر وللزورد وقوس قزح وهيئات متنوعة من الجين ونضار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكناف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظره في سورة الأنعام) وهكذا نرى ما عو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمت فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطدم تلك الجبال وتتدخل اجزاؤها وهناك تكون أنواع من أفانين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظره في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - ) وهذه كلها صور للماء في حاله سائلا وجامدا ثلجيا . الماء خلق لسقي النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لاحد لا بداعها ولا نهاية لصنعها . ماء ينزل للسقي وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود تحيي ملكة النهار الذاهبة الى ملكة الليل فكأن الجيوش معدة لطرد الأعداء وقتلهم هي أيضا تحيي الملوك اذا قدموا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود وللنفن في التصوير والابداع والجمال . الليل والنهار يشرقان معا . هذا بالماس المرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنضار السكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلات متلاثلات ليلا تقول للنفوس المستعدة في الأرض هلموا الى وتعالوا أنل عليكم نبا الحكمة والعلم والجمال . تقول - هاؤم اقرؤا كتابيه - فيرونها صفوفًا تتلوها صفوف وصنوفًا تتلوها صنوف قد ازينت للناظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أفل الظلام وأقبل موكب الصبح أخذت تتغير المعالم وتبدل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت حجافل الليل إدبارا وأخذت تلك الفاتنات البهيات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في الدياجي تنواري بالحجاب تودع العاشقين وتعهدهم أن ساعود لتروا جالي ولا تزال مواكب الصبح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزاة اشراقا يبهرا الجميع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتتجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلون بها بالنجوم الزاهرات في الدجئات . وههنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويخونقو الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرًا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غايات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقلن لعشاقهن بالأمس عوجوا الينا وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يمثلها الليل والنهار وهما لا يفتان يمثلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليلا . ولما غفل الناس عن ذلك الجمال ألهموا أن يصنعوا هم أنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفي أيامها يبتهجون فهم كصناع في قصر ملك معه وزراءه وخوادم دولته وهم يشاهدونه كل حين مبتهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عربته سائرا أوفى موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لا تعقل هذه الكرامة ولأنابه لهذا الجمال . هذه

نظرات النفوس الحكيمة في بدائع السموات والأرض . فادارجعت الى أنفسها ونأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية مايفوق ما في السكواكب من جلال وما في الشمس من جلال وما في البحار من لآلى وما في الجبال من نصار . ماذا يرون ؟ يرون جنودا بحاربون وجيوشا من أعدائها مجندلات وممالك عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجنائي . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن التمثيل الذي تمثله المشرقات والشمس في العوالم الأرضية والسماوية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجا عجابا يذهله بل ينسيه منظر المشرقات في الدياجي البهجات المناظر . فياليت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلافا في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحاد القوى تصطف صفوفها وتحارب جيوشا تعد جنودها بالآلاف والآلاف وتجند لها في ساحات الوغى من (الحيوانات النرية وهي المكروبات) وهي أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فياليت شعري من ذا الذي يقول هذا ولا ينسبه الناس الى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ماهو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهلك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضا . أليس هذا من العجب أن جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالمرصاد لكل فائت به ثم هي تهلكه وتنتصر عليه بل انها تأكل الأعداء أكلًا وتصلح ماأفسدوا من جسمي ؟ هل كان للعقل في هذا مجال . اللهم لا . لا مجال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده الجسمي هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ أحياتي أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارت عقولنا في وضعك وأصبحنا لاندرى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض في التدبير والكثرة . ممالك جسمي لاحصر لها وممالك الوجود لاحصرها فتساوى الكبير والصغير في العظمة والجرأة . ثم أقول يا من تجلبت بجلايب الكبرياء وزدت بأردية الجمال ونثرت أرواحنا في هذه التربة ودفنت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد خنت أرواحنا اليك وشاقتها بواسم الاصبح وبواهر الامساء ؟ فمتى تكشف لنا عن جمالك لقد لمحنا من خلال الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك فعلمنا انك رحمتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولواننا كوشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا الى العدم مادمننا لم تكمل فينا المواهب العالية التي بها نستطيع ادراك ذلك الجمال ولسكنا تشرق في نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يتبعه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذي أبدعني أن يزجني في عوالم تكشف القناع لي عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذي كان يخطر له أو بهجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع الى مايسمونه خلية فخلية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركيب كله كما ان الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد عملي والديانات توحيد قولي واعتقادي . وان آيت يا صاح إلا الافصاح فهالك مقالا لدكتور مصري في (طبيب العائلة) تحت العنوان الآتي وهاهو ذا

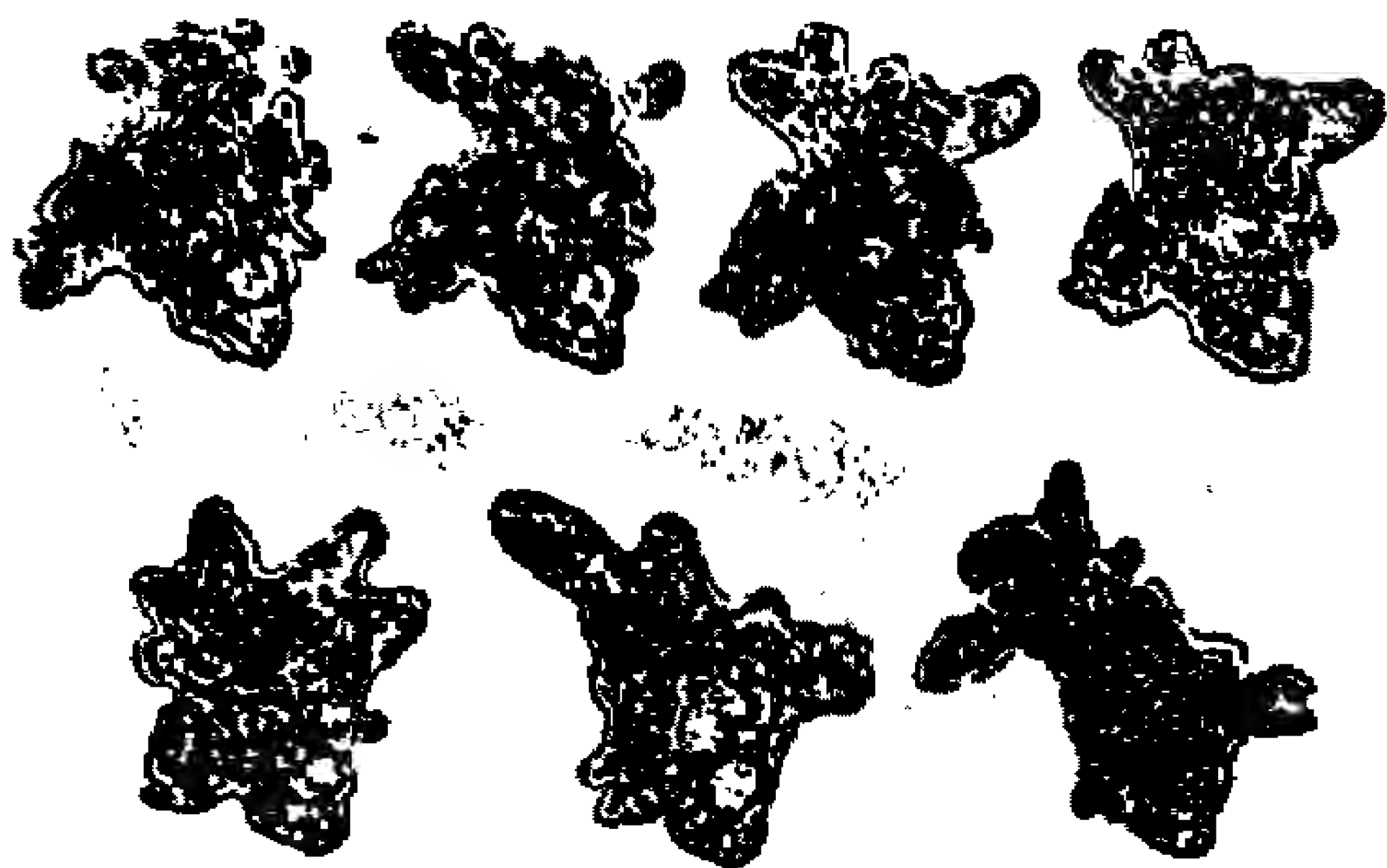
### ﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامية كل شئ في الوجود جلّ أودق وتراهما متجليتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدعش هو ما أقصد الى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لايسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هوفوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الألغاز الغامضة التي تعبت في حلها الأجيال وعظماء البشر



من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء لخفايا الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يميل ولا يكل من السعي حتى ظفر بكثير مما تصبوه نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذا تقرب منها اتخذها عماده في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى الدرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليفة بالبسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشئ الذي لا يقوى على الإدراك والعقل وانتهت بالانسان الذي هو أكمل مخلوق . وأعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالى حكمته عند مشاهدته إبداع هذا الوجود أراد لكمال هذا الوجود أن يظهر فيه من يدركه ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه اتصل المخلوق بالخالق . نظم الله الخلية ودبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرقى والتوارث والتسلسل والتفرع والتشعب وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فمنها النبات وعليه قوام حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش أنها كلها ترجع في أصل الخليفة الى وحدة متحدة دالة على وحدة اليد القوية القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ما هي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخره لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان . هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يبتدىء عند خلقه بأن يكون خلية إشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحي مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بعبارة أخرى) إشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تنطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليفة الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع وليلدها بمرور كل هذه العصور التي قضتها مستقلا في تطوراتها من حالات الى حالات . وعلى كل حال فإن الانسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نباتا أو حيوانا أو ميكروبا يتركب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للعجب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لا يتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



( شكل ٣٩ - صور للاميبيا مأخوذة عن فلم سينماوغرافي للاميبيا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي نرى هنا منتخبة من حركة الاميبيا في ثانية واحدة )

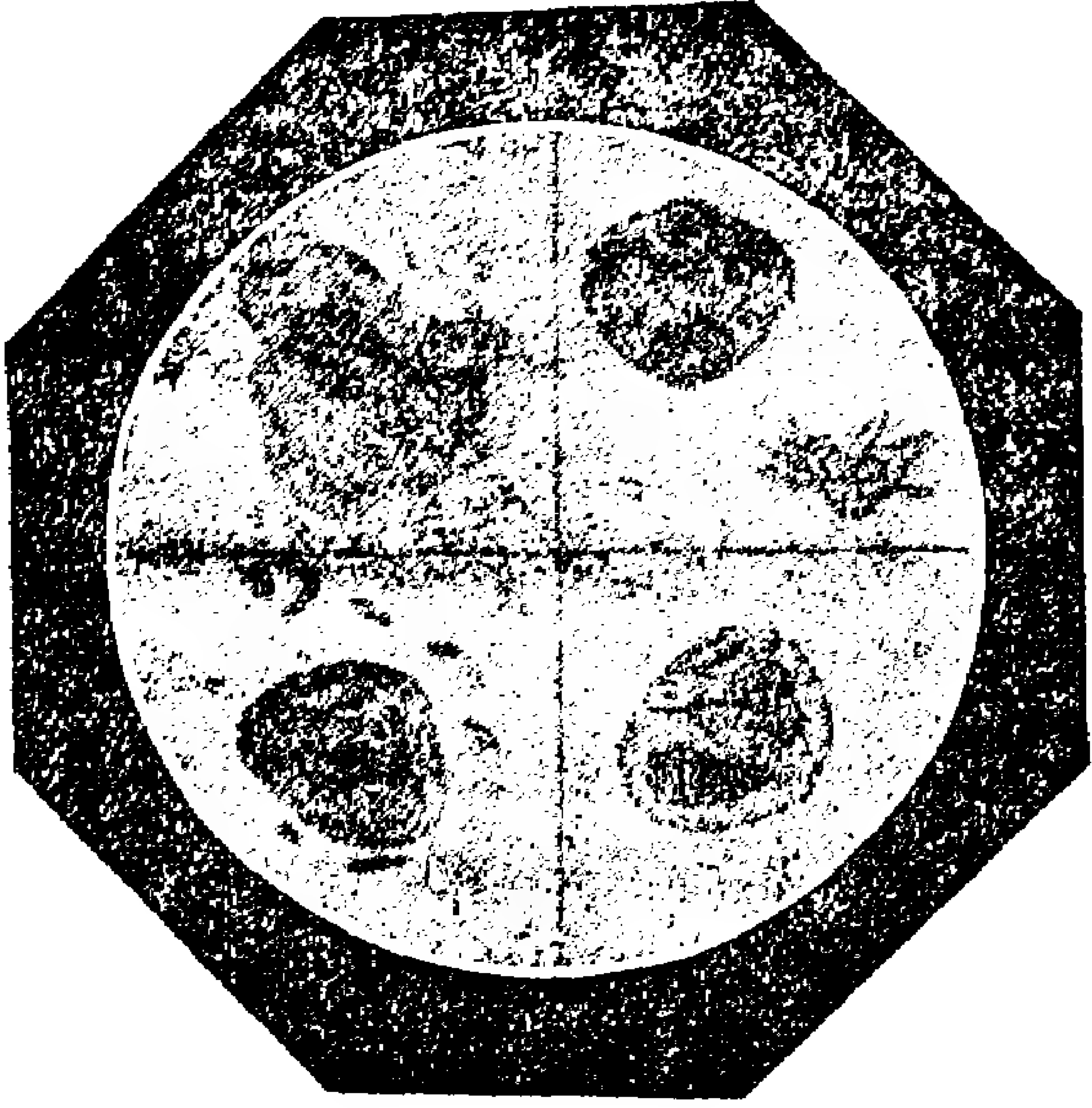
وقد تنقسم الى قسمين ويصيران خليتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ، وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبرك والبحار وهي أبسط كائن حي عرف حتى الآن ، وإذا دقت النظر في محتوياتها لا تجد لها أكثر من غلاف داخله مادة مخاطية لزجة تسمى (بالبروتوبلاسم) فإذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها بمهارة فلا تشعر الذرة إلا وترى نفسها داخله في ذلك الغلاف ومحاطة بأكلها بهذه المادة اللزجة مع قليل من الماء فتهم بواحدة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البروتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة الهضم ، وغريب أنك تجد خلايا لا تعيش إلا في سوائل الجسم (الدم واللمف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قدمنا ، وانك لو أخرجتها من تلك السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومنجت معها قليلاً من النترات الملونة لرأيتها بعينيك تصنع ما صنعتها الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم الكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باسطور ، أما في عصر باسطور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتازة مدهش له العالم طراً ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي كنا نجهله هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي علة جميع الحيات المعقدة وأن عوارض هذه الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلمت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا بعده ليستروبرهن على أن تقيح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا التقيح هو انحلال الخلايا الناتج عن فتك هذه الميكروبات بها ( انظر شكل ٤٠ في الصفحة التالية )

ثم أتى بعدهما ( كوين هايم ) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات أو صدمة فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم الكرات البيضاء بكميات كثيرة تخترق الأوعية الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع الملتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم ( ميتشنيكوف ) وأرانا بأعيننا أن الغاية من تراكم الكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى الموضع الملتهب هو الدفاع عن الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكلها وهضمها وأكل سمومها وأكل الخلايا التي فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه الكرات البيضاء الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكلة أي ( الفاجوسيت )

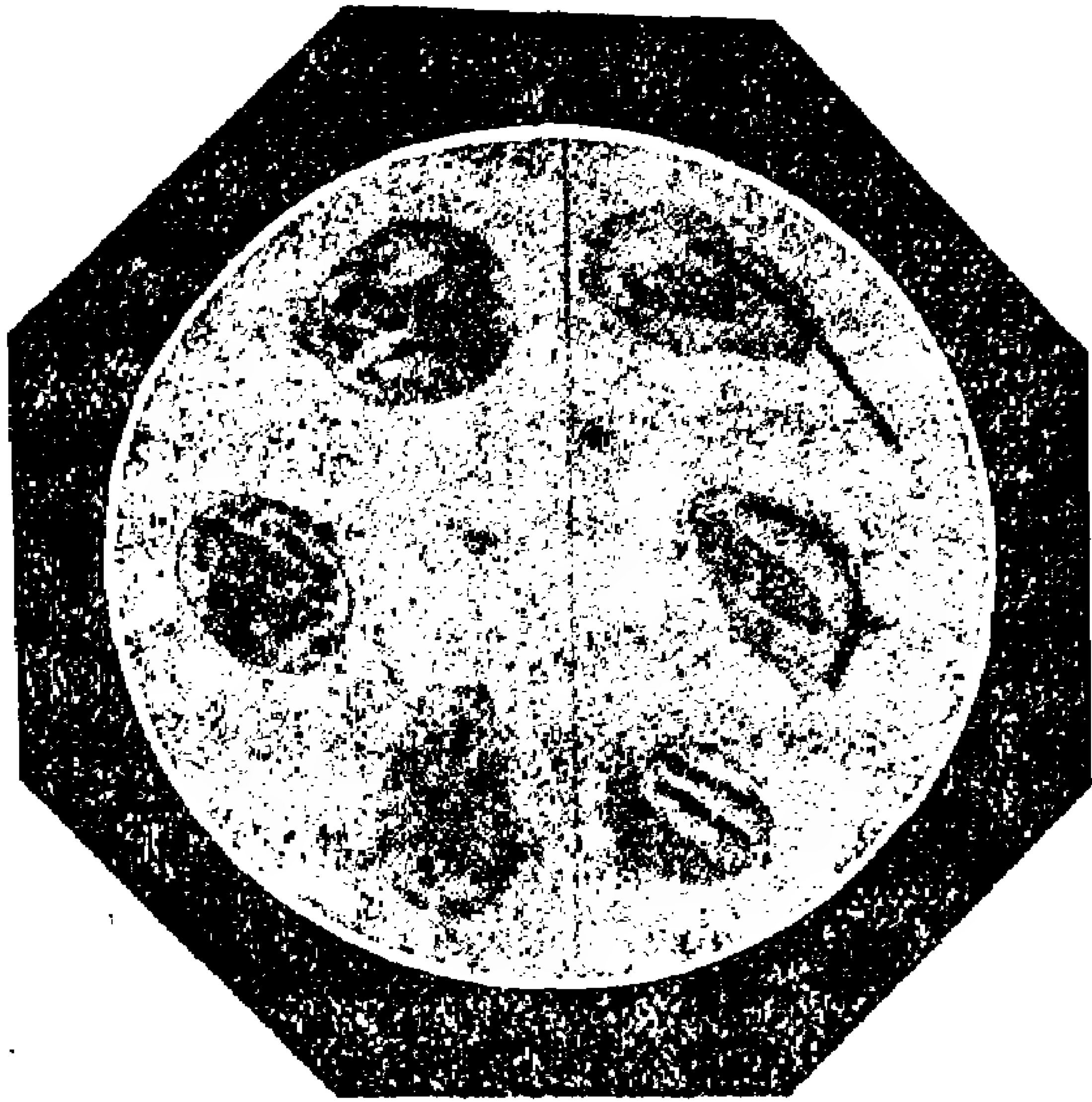
هذه المدهشات عامت واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ، فمكم الله في باقي صنعه من أسرار لا زال امرها غائباً مجهولاً من الانسان



( أخذت هذه الكرات البيضاء وهي تزود الميكروبات )



( شكل ٤٠ )



تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الاندراك

- (١) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الدفتر
- (ب) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب السر بتوكوك
- (ج) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الحى الرابع
- (د) تنغذى الكرات البيضاء بكربوب الكورلياسيل

﴿ بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذى خلق من الماء بشرا - الخ وأن المصلى رجع في الركوع والسجود من الحق الى الخلق ، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق ﴾  
 تباركت يا الله ، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية (الحجرات) وجعلتهم - نسبا وصهرا - كما هنا فنرى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا ، ونرى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يسكنون قرية واحدة ، ثم نرى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تدركها فالعين المناظر وهي عشر وللأذن المسموعات وهكذا . وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كاختلاف منافع الحواس . كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون ، فيقول الراكع ﴿ خضع لك سمى وبصرى وعنى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى لله رب العالمين ﴾ ويقول الساجد ﴿ سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾

فها هو ذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظم والعصب والمخ . فياسبحون الله . جماعات في الأمم بجماعات المدن بجماعات الحواس في الجسم بجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكما راجعات لنظام وحدة كلية . فالأهم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكونوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن أسمعك الآن ما هو بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك الدول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية

### ﴿ حياة الخلية ﴾

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة في جسم كل كائن حتى لاخترع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حتى بدأ حياته نخلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم يقنع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبني لنفسها جسما كبيرا بانقسام الخلايا التي تناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي نراها في جسم الحيوان أوفى تركيب النبات

### ﴿ الوجود التضامني ﴾

ولما اجتمعت الخلايا وكوّنت جسما واحدا ووزعت الأعمال المختلفة على كل طاقة منها صارت حياة الكائن المشتمل هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر ﴿ يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حتى مثل السكان في مدينة لكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامنها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه ﴾

### ﴿ أساس الحياة ﴾

وبعد الهيبولي أو المادة الأولى (البروتوبلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي تحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فإن أول شيء يتكوّن في أي حيوان هو الهيبولي ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا إلى أن تتكوّن جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي

### ﴿ من أين تولد الخلية ﴾

لتولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاناث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتي أو تكوّن الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ما ذكره (السيرأوليفرلودج) وهالك ما ورد في نفس المجلة بنصه

### ﴿ الجسم والروح ﴾

يقول (السيرأوليفرلودج) رئيس المجمع العلمي البريطاني ﴿ انه لمن أغرب الامور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس مماثليهم من مواد الغذاء فان نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجا أو كلابا ولم يفعل ما قامت به من المعجزات المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصة التي حتمت أن يصير هذا انسانا ولم يجعله قردا مثلا بل جعلته انسانا بشكل خاص يتقيد فيه بعدة عوامل وراثية أو خلافاها ترجع إلى آبيه أو أمه أو أسلافه . أما الأجسام فتبلى وترجع التراب إلى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما



تلك العوامل التي قامت بالمعجزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يدرك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينكر وجوده وأثره وهو الروح ﴿ انتهى

هذا كلام (السراويلفلودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصلي في سجوده وركوعه وثنائه على ربه . يسبح المصلي في الركوع والسجود أي ينزه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فهذا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحمد عليها منا نحن فالسراويلفلودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصصته بكونه انسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس إلى الروح والروح ليس يقدر العلم على معرفتها ولا على انكارها فهي إذن - من أمر ربى - فالعالم ﴿ قسمان ﴾ عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثاني هو الروح والله خالقه وهو منزّه عن الحوادث وعن ملابسة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق إلى الحق بعقله هو لا بدنيه أي أن الفلاسفة ينتهون بعد مشاهدة المادّة إلى خالقها . إن هذا هو الذي جرى عند أعظم حكماء هذه الكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظرهم على هذا النمط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال ﴿ إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أثقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء ﴾ ثم قام (أنكسيماينس) بعده فقال ﴿ كلا بل الأصل هو الهواء ﴾ وفعل به ما فعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال ﴿ ويحك كيف حصرتما العالم في عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذي لا يتجزأ فاذا قام من قبل واستغنى عن صانع للعالم بعنصر فأنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التي لا تتجزأ إذن العالم هو هكذا من الأزل إلى الأبد ﴾

هنالك حاراليونانيون وظهر فيهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يوناني فنظر فرأى هذا العالم فيه نظام وابداع وحساب وحكمة فقال ﴿ كلا إن أصل العالم أرقى من المادّة فليكن هو العدد لأن كل شيء له نظام معدود ﴾ ثم قام الفيلسوف (أبيلوقليدس) فقال ﴿ إن هناك محبة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جمع وتفرق ﴾ فقام بعده في القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال ﴿ كلا هذا لا يكفي إن هذا العالم له عقل صنه فهذا العقل فعل مع المادّة ما صنعه الذي يدبر الساعة فهو أولا نظمها فدارت ثم تركها فهي تجري أبدا وأمدا لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل ﴾ ثم قام بعده سقراط فقال ﴿ هذا رأي أبتريه إن الآلة لا تصنع من نفسها فلا بد لها من مدير يديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذي صنع هذا العالم هو الذي يعلمه وهو معه دائما يديره ويحكم صنعه ولا يتركه والا ففسد ثم جاء أفلاطون وقرّر هذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأيد الذين قبله وإلى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أيها الذكي فاعلم أنك قد ظفرت بكنز لم يحزره سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أيها أئمتك الذين تعبد معهم فستسمع أحدهم يقول اني لا أصدق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بمقاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول إن أصله وهل الله محتاج إلى صلاتي فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (ابنسر) الفيلسوف الانجليزي ومثله (سنتلانه التلياني) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة أننا لم نصل في هذا العالم (أي فيما هو المقصود من الفلسفة وهي هذه المباحث) إلى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان إن جميع فلاسفة أوروبا لم يزيدوا على ما ذكر فيما كتبناه هنا وغاية الأمر أن أحدهم يختار قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة في طفوليتها فيعلمه ثم يقوم آخر ويختار مذهب (سقراط) فيعلمه . إذن من درس هذه الفرائد التي ذكرناها هنا فقد حفظ أئمة المذاهب

التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق فهو لاء وهو لاء مقلدون ولكن المسلم في صلاته قد جمع خلاصة المذاهب واتباع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلايا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعات مشتركات في حياة الفرد كله الذي جعله الروح التي صارت أقرب إلى ربها المنزهة عن المادة . وهذا آخر ما انتهت إليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون إلى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق إلى الحق والمصلّي المسلم سار من الحق إلى الخلق في الركوع والسجود وهذا في الفاتحة والتشهد إذ يحمد الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ ويطلب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قال المصلّي في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فهذا الفعل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشمس التي لا يعرف عددها فصارت عالما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الإنسان والخلايا التي لا يعرف عددها وهن مشتركات في نظام الجسم الإنساني وحياته فكما أن الإنسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلّي في سجوده ﴿ سجد وجهي للذي خلقه ﴾ وهذا العالم الصغير يحدّ حتى يرجع إلى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سرّ قوله تعالى - واسجدوا قرب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن إلى ربك المنتهى - فاليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرهم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسيأتي إيضاح هذا المقام في (سورة النحل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا -

إلى قوله - أو أراد شكورا - ﴾

تباركت يا الله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلألأت في سمائك وانتشرت في أقطارها جيلات منيرات مشرقات . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجمال وقلت لها املئي أقطار السموات وأفيضی نورا على المخلوقات لتبهج بك القلوب ولتعشّقك العقول ولتفرح بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشمس أنتن بهجة عبادي مقسمات الزمن معطيات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أنتن بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وحرارتكن نما النبات وانتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والفواخت في دوحاتها وراحت الحشرات المغنيات وغدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صباح وكل مساء . وبنتظام سيركن انتظم لعبادى علم الحساب بأنواعه فعرفوا السنين والشهور والدهور وبهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء فتفتنوا في وصفكن بأفانين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . ففیکن يقول الشاعر

كأن سهيلا في مطالع أفقه \* مفارق إلف لم يجد بعده إلفا

كأن بنى نعش ونعشا مطافل \* بوجرة قد أضلن في مهمه خسفا

كأن سهاها عاشق بين عود \* فأونة يسدو وأونة يخفى

كأن قدامى النسر والنسر واقع \* قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا

سقتها الذراع الضيغمية جهدها \* فما أغفلت من بطنها قيد أصبع

بها ركز الرمح السماك وقطعت \* عرى الفراغ في مبكى الثريا بأدمع

ويستبطأ المريح وهو كأنه \* إلى الغور نار القابس المتسرع

وتبسم الأشراف فجرا كأنها \* ثلاث حمامات سدكن بموضع



وتعرض ذات العرش باسطة لها \* الى الغرب في تفويرها يد أقطع  
(من سقط الزند للمعري)

ولم تغزل فيك عبادى الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادى كما أنك نبراس العقول والحكم  
المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سبك ويعقلون بعض سرك وهم بك فرحون  
إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء . ولقد جعلتك  
زينة للناظرين وأغنيت بمرآك الصادرين والواردين ، ومنحتك الجلال بهجة للعالمين ، زينتك أعلى زينة  
وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك الى  
غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألفوها ودواجنهم التى ربوها ليقرّبوك من متناولهم  
حتى كأنك بين ظهرانيتهم مألوفة لهم

(١) فهام أولاء عبادى الآريون سكان الهند صوّروا مجاميعك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كرتهم  
المصوّرة قبل المسيح بتسعة قرون فجعلوك بجعة ووزتين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى ضخّم الجثة  
وامرأة مغطاة بوشاح

(٢) وهام أولاء عبادى العرب سموا بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدى والجدى وبنات نعش  
الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والخوض والظباء الخ

(٣) وهام أولاء الصينيون قد سموا أكثر من ثلثمائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظماهم  
(٤) ولقد تمادى العرب عبادى فى الخيال وأخذوا يقولون أنك الراعى وكلب الراعى والشاة والأغنام  
والضباع والكف الخضيب وسمام الناقة والخباء والعز والجديان وممسك الاعنة والحية والدلو والحل والثور  
والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، سموا هذه  
الاثنى عشر بروجاً

(٥) وهام أولاء عبادى أهل (سكندنافيا) قد سموك بالكلب وبالركبة وبالمغزل  
(٦) وكذلك عبادى فى الأقطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم  
فهام أولاء عبادى انفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور  
المألوفة الحية وغير الحية ليستزلوك من سمائك الى المعانى القريبة من متناولهم استثناسا بك وفرحا بمرآك وأنسا  
بمهادتك . أيتها النجوم وبأيتها الشمس أنتنّ جلال وأىّ جلال . أنتنّ أنس وأىّ أنس . أنتنّ مثيرات  
العشق والغرام . أنتنّ المنعشات لحبّ العلوم . أنتنّ المضمرات نار الشوق للقائى ومثيرات نيران الحب لجمال  
أنتنّ عنوان جمالى وكمالى . أنتنّ حلية عوالمى . أنتنّ العرائس المصطفيات لأحبائى من عبادى وما العرائس  
المزينات المجلوات فى الأرض إلا نموذج لزينة كتنّ وجالكتنّ حتى اذا فرحوا بأقلّ الجمالين طمعوا فى أكملهما  
بهاء وأبهاهما حسنا ولألاء

(٧) ولقد تعلم عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دواوين الغناء والألحان من نظام مسيرك وهكذا  
الشعراء فهؤلاء استمتموا الحسب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية  
والأوزان الغنائية والحركات الفلكية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطعن أيديهن - وفى  
مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم فى سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار -)

أيتها النجوم . أيتها الشمس . أيتها الأقمار . أنت اللاتى هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى  
دخلت فى العبادات وصوّرت على صناديق بعض الأموات وأنزلتك فى القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى  
السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدم في هذا التفسير أن قدماء المصريين أغرموا بحمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبروا الله حبا جبا وجعلوها رمزا لكماله وصلة بينهم وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالنظر فيها لدعونا للشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قدماء المصريين جعلوها معبودهم وهذا المعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لمقام الالهية . أما الاسلام فقد قوض هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالاشراك ولا تقديسه واحترامه بعبادة الأوثان بل هو المعبود قولاً وفعلاً والمذكور سرا وعلمنا . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة البروج وحولها الكواكب المعروفة عند قدماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء فالكواكب معظمات عندهم في حياتهم وبعدهم موتهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه مرسوماً هناك مشروحاً مذكوراً سببه قد بنى بحذاء كوكب الشعرى المعبود المعظم عند القوم وقد كانوا يجعلون صورة الهرم مع الميت تيمناً بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بحذاءه . وإذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة الهرم المرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها وطواميرها ونوايسها بالبلاد المصرية في داخل الأجداث . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في البلاد المصرية فوجدوا حبا متمكناً في القلوب بحيث امتزج بالدم والعمل بالدين (انظر ما تقدم في سورة يونس) فانك ترى في أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سير الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعده الأرض عن الشمس حتى اذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييساً من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم المبدئية على مدار الشمس وعلى بعدها عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد العجب العجيب . وههنا أريدك تبياناً جليلاً بما قرأته في كتاب مترجم حديثاً ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فآثرت نقل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على الكواكب الراقصات في جو السماء فأرقت أهل الأرض وهاموا بالجلال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لدينا - لكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه فلا يمتاز عنك في الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان (الرقص وأنواعه وأوصافه) ترويحاً للنفوس وتنويعاً للدروس وتشويقاً للعلوم والحكمة وفهماً لقوله تعالى - إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب - وقوله تعالى - وزيناها للنظرين - وههنا

### الرقص وأنواعه وأوصافه

(عند قدماء المصريين)

قال مونسترييه « كان قدماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أى كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية ، وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قدماء المصريين تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج لبيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترفع الغصون فهو أبدع ما يكون ،

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدنية وفنونها حتى أتقنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . ومما هو جدير



بالذكر انهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كما نراه الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأفهام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جلة فوائد دينية وديوية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كستيل بلاذ ( إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاء الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهارا لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وتمثيلاً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصراً على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الالهية منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص ممثلة لاتحاد الكمالات في ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها ) ومن العجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعاليم المنزلقة فقد قال ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني المولود في القرن الأول ق . م ان أسوريس (وهوالمعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويجله نظير ماسرعه وبثه في الهية الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة \* قال مونسترييه في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه ( الرقص القديم والحديث ) مانصه

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألحان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » ولم نعتز في النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الديني القديم حول الهياكل وغاية ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للمسيح في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة « ان مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي » والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفا مبهما حيث نقل عن قدماء المصريين انه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تترن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويحددونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسمين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئا عنها أو يمثلوها في الخارج حذرا باننا بمقتضى نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال (مينار) في كتابه الذي سماه ( تاريخ الشعوب الشرقية ) إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تدينا وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد إلههم وعودته أو مجامع حزن وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشتمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الديني

ونقل أيضا لوسيان أن الرقص والغناء كانا مقدسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عبدا خاصا به . وكانوا عند ما يذهبون الى مدينة (بوسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالساجات والرجال يضربون بالنأي مدة السفر ويفنون ويصفقون وكلما رست السفينة على شاطئ يحددون حفلة راقصة . وقد وصف (ابيليه) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني للميلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسبس) فقال « كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور ويفرشن الطرق التي يمر منها المحفل المقدس بأنواع الورد والرياحين وينشدن نغمات لذيذة ويضربن بالنأي ويلهين كوكبة من أعظم المصريين لابسين الملابس

البيضاء القيمة و يترنمون بالأناشيد المقدسة ثم يأتي بعدهم جاعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حللا باهرة من الكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن المعطرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة ويضربون على الأعواد التي يتخذونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منعشة . وكانت الأئمة كلها تشارك في عيد العجل (أييس) لإحياء مراسمه وتعظيمه واجلالا لمقامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كميز) ملك الحجم رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور العجل (أييس) وهم لابسون انخر الخلل وقائمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كميز قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمحافل أقاموها فرحا بخذلانه وتشقيا في انهزامه في الحرب فاستحضر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما فقدت جنودى في ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه ان هذا اليوم صادف ظهور العجل (أييس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يصدقهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شتمته به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهوداك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) ما نصه « إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقدة تنوافية حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد معبودهم العجل (أييس) وذلك أنهم كانوا اذا مات العجل أخذوا يبحثون عن عجل غيره مستوف للشروط والتعليقات الخاصة له حتى اذا وجدوه فرح به الكهنة وخصصوا لخدمته جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب ويذهبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجاهير عظيمة من طبقات الشعب ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الألحان ثم يختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهشة . وكان اذا مات (العجل) أييس هذا ألقاه الكهنة في النيل ثم أخرجوه منه وحفظوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وعم الأسف والحزن الشعب أجعه ومتى ظهر لهم عجل آخر تبدلت الأتراح أفراحا وانقلبت المآتم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعارا لجنائزهم فقد عثر في آثارهم على رسم راقصات لباسات ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث آخرى رثين الميت . ويوجد في مقابر (طيه) منظر جليل يمثل حفلة مأتم الأمير (حورح) وفيها امرأتان تقفان للميت أوانى معدنية مملوءة زهورا وعطرا وثلاث نسوة آخرى رقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لرميوي يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينما الرجال بأيديهم عصي من الخيزران يضربونها في الهواء جهة اليمين واليسار ليطردوا الأرواح النجسة في زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب ونقله الأثيوبيون وقد وصفه (لوسيان) فقال (كان الأثيوبيون اذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصوبون رماحهم الى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات حاسية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العائلى الذى أخذه عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة ) وقال ديودور الصقلى ( انه لما ذهب اسوريس الى اثيوبيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الغناء والرقص وهن اللاتى نشرن هناك هذه الفنون الجيلة

(صفة الرقص)

قال (بارون) في كتاب الرقص (إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العائلى . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبها بحركات الرقص في عصره



وكان الرقص عندهم على ﴿نوعين \* النوع الأول﴾ يكون بحركات القديسين والذراعين ﴿والنوع الثاني﴾ بحركات كل أعضاء الجسم \* قال لوسيان ﴿إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج لهيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود (١) وترنح الغصون فهو أبدع ما يكون﴾ ويوجد بالمتحف المصرى تحت نمرة ٢٣٣٣ بالدور الأسفل حجرا كتشف في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفي أسفله ترى امرأتين تصفقان وأمامهما الراقصات يتمايلن على إيقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخان في اليراع المثقب (الناي) وبجانبيهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجنته ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسنوا الإيقاع ويرشدوا الموقعين كما هي العادة المتبعة اليوم . وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبله والقثارة والربابة والعود والصنج والناي والأجرسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بفرقة من الدور الأعلى بالمتحف المصرى وكانت أثواب الراقصات تصل الى أقدامهن مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذى تظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها . قال (لافاج) في كتابه الذى وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه ﴿الرقص القديم والحديث﴾ « ان الرقص عند قدماء المصريين كان على ﴿نوعين \* النوع الأول﴾ مجرد حركات بسيطة ﴿والنوع الثاني﴾ تمارين رياضية يتمايل الجسم فيها الى كل جانب بينما تخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وتفننوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (قي) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث ونحذها الأيمن معتمد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت حفلات الرقص تجعل عادة ختما للولائم والأفراح والرسم الموجودة في المتحف المصرى ومقابر (سقارة) و (بنى حسن) و (طيبة) تبرهن على أن الرقص قديم جدا وأنه باق على حالته لم يتغير منه شئ منذ (٥٠٠٠) سنة وأنه كان معتبرا عندهم علما وفناله قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معالها محفوظة الى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما نقلت لك هذا أيها الذكى لتتظرفى أمر هذه النجوم وكيف هام بجمالها النوع الانسانى كله وكيف هام الناس برهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعاته من الجمال . ولا تظن أن أمم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع في الإحياء للغزالي وكيف أباح السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقرأها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصل الى الله عز وجل . وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال ولكننى أريد بذلك أن الأمم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجمال المنظور والجمال المسموع فالمنظور من الجمال والمسموع من النغمات كلاهما بهياج النفوس الى معالى الامور . وتجد الامام الغزالي في الاحياء يفصل المغاني عند القوم وبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون قاطعا للنفوس عن الوصول . فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين ونحوها وفي لهوهم وفرحهم وما تتمهم . وهكذا الأمم جميعها قديمها وحديثها تلعب (الغرد) وما انزله إلا مثال للنظام السماوى فالجبران اللذان يرميها اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الجبران يمثلان عالم الأفلاك الدائر في مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التى تأتى بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب اللاعب من خير وشر كالذى يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتى به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحى واللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

استلزاما جاء له وبضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مغرما بالكواكب فرحا بها متجها للعالم العلوي . ومن عجب اني رأيت اليوم رأيا للعالم المخترع الكبير الأمريكي المسمى (اديسون) في أصل الحياة يقول انها أنت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فترجع بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مغرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لا يعين ذلك العالم الذي أنت منه الحياة وإنما يقول هو عالم غير العالم الأرضي مستدلا بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية في البذر والبيض والحيوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهي وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة البجاجة واستعدادها وبيضة المرأة وتعطى كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوي على ملايين الذرات التي أعطيت قوة التعقل والتفكير والتدبر والعمل وهي طوائف كطوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب في اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضا هو لمحدثه كما جاء في جرائدنا المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ انه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هوذا أخذ يندمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللاتي تعد بالملايين في أصبعي وهي تعقل ما تفعل ومنها المدبرات أمرا والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وبقوله - فالمدبرات أمرا - وبقوله تعالى - بأيدي سفره \* كرام بررة - وبقوله تعالى - وما منا إلا له مقام معلوم - وبقوله تعالى - وان عليكم لحافظين \* كراما كاتبين \* يعملون ما تفعلون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضا في ان هذه الخلايا المتحدة ما هي إلا عمالك متحدة منظمة فإدام العمل بينها قائما على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غادرتها تلك الحياة التي جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وبما قاله لمحدثه أيضا ان أباه أخذ منه تقودا وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسرورا وكانت سنه فوق الثمانين ولما بلغت سنه فوق (٩٣) سنة قال يابني اني أريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله في هذه الأرض قد تم فلامعني لبقائي وانامتوجه الى أختك لأموت عندها فحاولت منعه فلم اقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة ايام . قال وانما مات لأنه أحس بأن تلك الخلايا في الجسم رات انه لا ملائمة بينها فسئمت البقاء على الاجتماع فأنذرته بلا حروف ولا صوت ففارق الحياة . أقول وبما قرأته في كتاب (الأسفار) للشيرازي ان سبب الموت الطبيعي ان الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة حبها للعالم العلوي فتنتقل منه وهذا الرأي أيضا خاص بصاحبه كما ان رأي (اديسن) المذكور (مخترع القنوغراف وغيره) خاص به - وفوق كل ذي علم عليم -

وانت خير ايها الذكي انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لا غير ونحن نعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا الفرض هو الذي اتقاه بطريق اليقين عنده وفي نظره الشيخ الدباغ الذي نقلت عنه كثيرا في (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص في ان الجادات جميعها تعقل وهذا الفرض الذي فرضه (اديسن) والقول الذي قاله الشيخ الخواص والدباغ ذكرته هنا ترويحيا لا تعليما ودعا الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكير فيها وخلطوها بجهنم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة في الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكير فيهما وهذا معناه أن المسلم عاياه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خيرامة أخرجت للناس وهل خير الأمم بمجهلون



ما علمه من هم أقلّ منهم من جلال الله وكأله . أما أنا فأقول سيكون بعدنا أم إسلامية يكونون أرقى من الأمم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقدمات تلك النهضة العجيبة والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

### ﴿ بهجة السموات ﴾

( كيف تعرف صور النجوم السماوية )

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دارالعلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ما تلقينا نقلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسنى بك فلاذكري ما فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذى عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى ان الأجرام السماوية التى عرفت للآن أبغدها يصل نوره لنا فى مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشرى . وقد عدوا نجوم المجرة (٢٠) مليونا وهى الآن تعد بمئات الملايين فهناك ما فى الكتاب المذكور

﴿ وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة ﴾

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفتهم الطرق التى بها تعيين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالى مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هى دائرة المعدل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هى الموازيات التى ترسمها النجوم تبعاً للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الميل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة نقط تعيين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية المينة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الذاكرة فى دراسة النجوم قسموها من القدم الى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهى صور كائنات حية وغير حية تصوّروا رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لمسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فان لها وضعاً مثلثياً يشابه نوعاً للجزء العظمى من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والاكيل والحية والتنين . وليبان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (ا) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث انه بالمرور من صورة الى أخرى تكون هذه الحروف مبنية لنجوم تختلف عن بعضها فى الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ فى الشمال و١٥ فى الجنوب و١٢ فى الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل فى المنطقة التى يظهر أن الشمس تقطعها فى سيرها السنوى ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٦١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٥٠) للصور المنطقية . والاثنتا عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس فى مدة سنة وأسماؤها هى (حمل) ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس أورامى . جدى . دلو . حوت) وهى مجموعة فى قول بعضهم

حمل الثور جوزة السرطان \* ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى \* نزع الدلو بركة الحينات

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هي (الدب الأصغر أو بنات نعش الصغرى . الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى . التنين أو الثعبان . الملتهب . العوا . الاكليل الشمالى . هر كول أو الجاني على ركبته . النسر الواقع أو السلحفاة . الدجاجة . ذات الكرسي . برشاوش . ماسك العنان . الحواء . الحية . السهم الطائر . الدلفين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصغر . المرأة المسلسلة . المثلث الشمالى أو الدلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب . الكلب الأصغر . الكلب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس أو الباطية . الغراب . المحراب أو المجمرة . سنطورس . الذئب . الاكليل الجنوبي . الحوت الجنوبي)

(٢٨) والنجوم التى تتكون منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأضوأها تسمى من القدر الأول ثم ما يليها فى الضوء يسمى من القدر الثانى وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التى هى آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هى أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين فى هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالى على ٩ نجوم من القدر الأول و ٣٤ من القدر الثانى و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠ من الخامس و ١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و ٦٨ من الثانى و ١٩٢ من الثالث و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخرط لا تعطى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهى مرتبة على حسب ضوءها

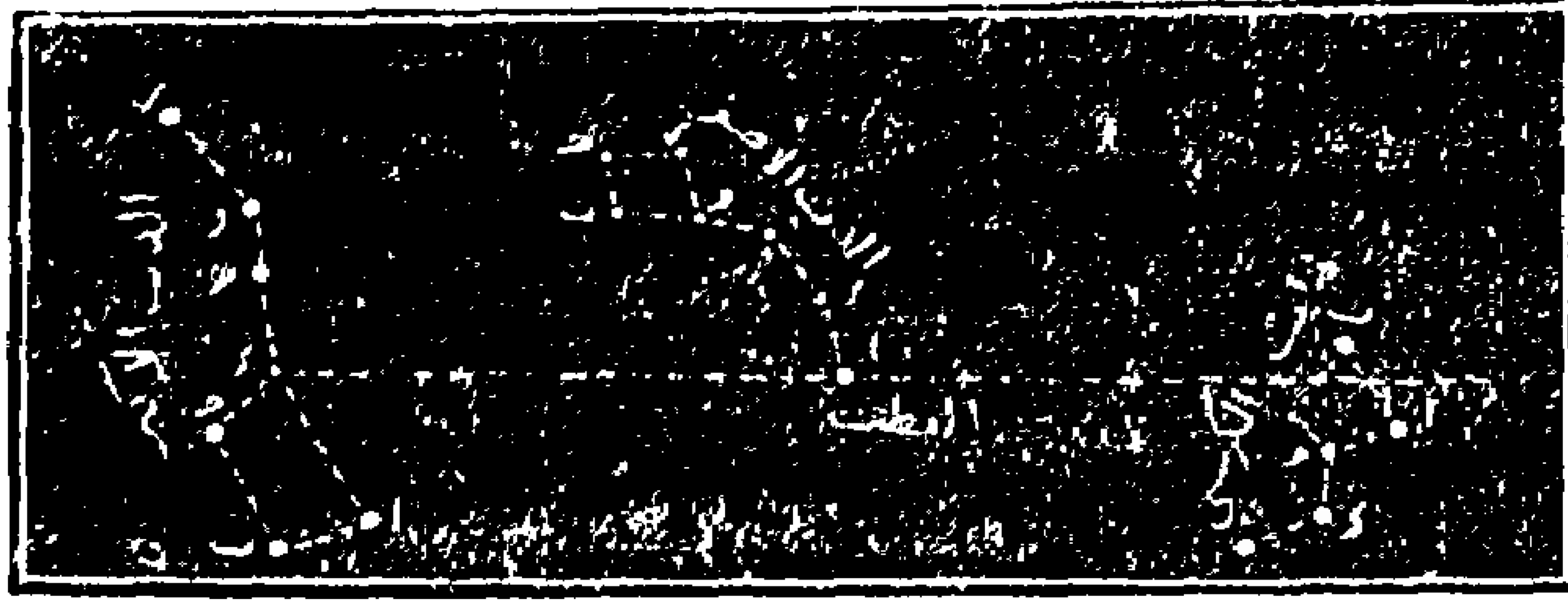
أسماء	أسماء	أسماء
(١٥) الطائر	(٨) الشعري الشامية	(١) الشعري النيمانية
(١٦) السماء الأعزل (نير)	(٩) كتف الجبار	(٢) سهيل اليمين
(السنبله)	(١٠) آخر النهر	(٣) (١) من سنطورس
(١٧) فم الحوت	(١١) الدبران	(٤) السماء الراح
(١٨) ب من الدجاجة	(١٢) ب من سنطورس	(٥) رجل الجبار
(١٩) رأس التوأم المؤخر	(١٣) (١) من الدجاجة	(٦) العيوق
(٢٠) قلب الأسد	(١٤) قلب العقرب	(٧) الواقع

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التى ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشمالى و ٥ من ٣٦ من الميل الجنوبي وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ١٠ السطح الكلى للكرة وبهذه النسبة يكون للعشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصر الحاد أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك . واذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٠٠٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء - أسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هى مقارنة السماء بالخرط السماوية المنشأة على



حسب القواعد . وإذا لم توجد خط وأريد ذلك فبمساعدة بعض نقط تعتبر مبدأ يمكن إيجاد المجموعات النجمية الأصلية وفي قطرنا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدب الأكبر  
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - إذا وجه الإنسان نظره جهة الشمال فإنه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهي من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)



( شكل ٤١ - الدب الأكبر )

(النجمة القطبية) - إذا مد الخط (ب ا) من جهة (ا) يبعد يساوى (ا ر) فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثاني أو الثالث وهي النجمة القطبية التي تستعمل في إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة في سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع نقاط الأصلية فإنه بالنظر إليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هي ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - إذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمستقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهي تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هي في مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

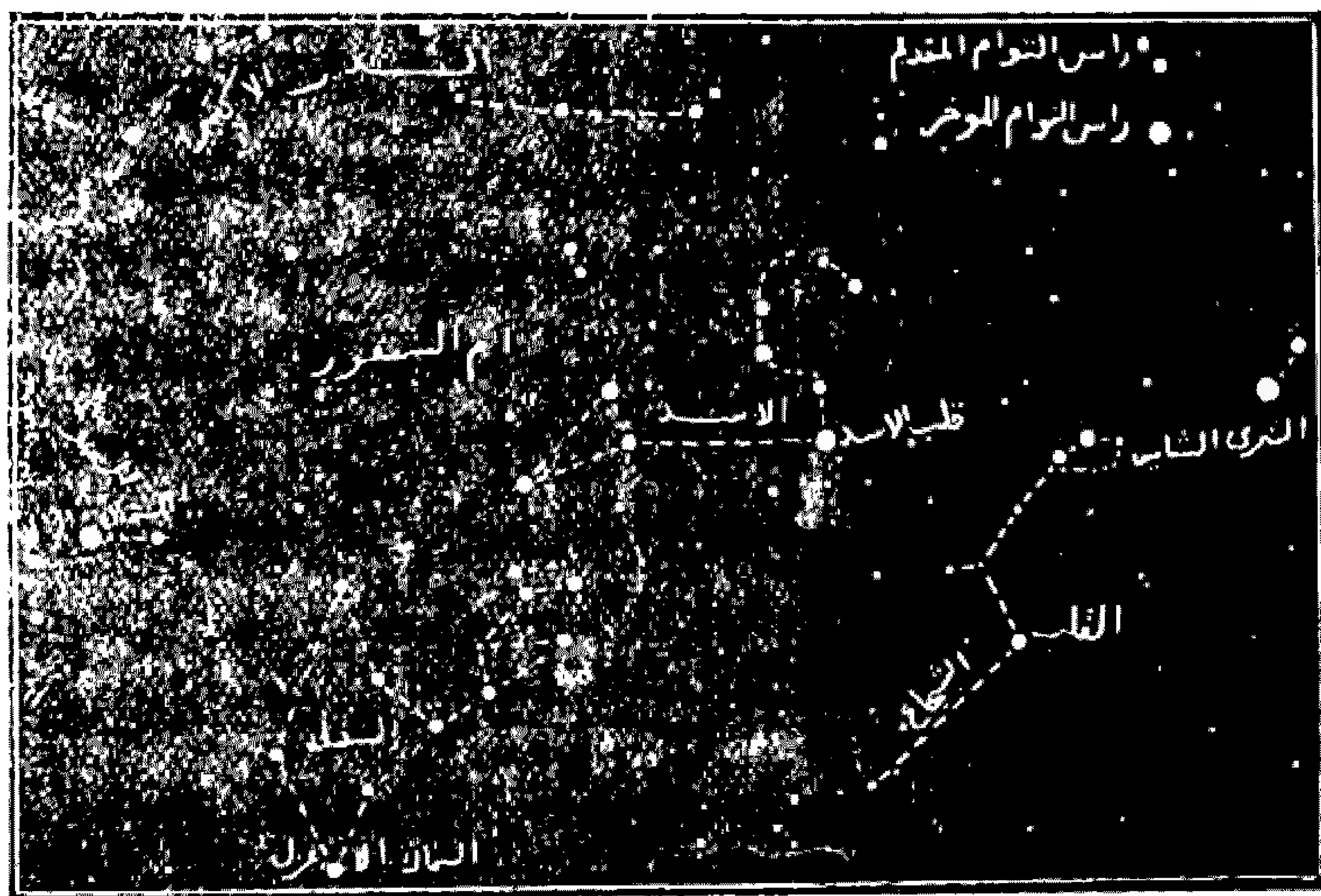
(الفرس الأعظم) - المرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - إذا مد الخط الذي عين النجمة القطبية من جهتها فإنه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة إليه يتكوّن ما يسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فإذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان في الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا أنه ذو امتداد أعظم منه

(الغول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدب الأكبر وإذا مد هذا الاتجاه الأخير قليلاً من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الغول وهي نجمة شهيرة جداً بتغير ضوءها تغيراً عظيماً ، والغول هي أضوأ نجمة من رأس الغول موضوعة في يد برشاوش (انظر شكل ٤٢ في الصفحة التالية)



( شكل ٤٢ )

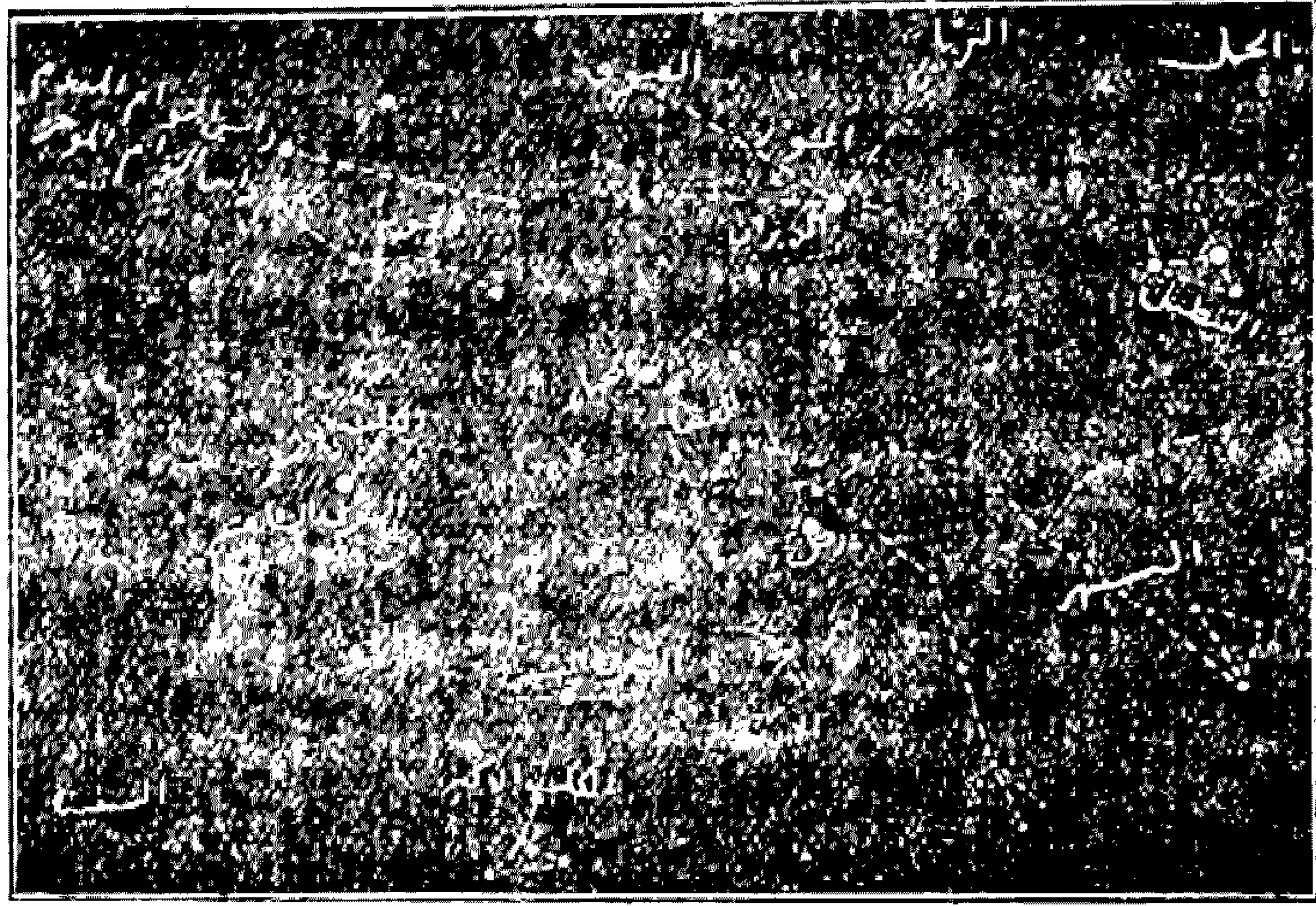
(السفينة) - (السمك الأعزل) - (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل الدب الأكبر توجد صورة السفينة وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى السمك الأعزل (انظر شكل ٤٣)



( شكل ٤٣ )

(الأسد) - (قلب الأسد) - إذا مده الخط (أ ب) من الدب الأكبر في الجهة المضادة للنجمة القطبية فإنه يمر بصورة الأسد، والنجمة (أ) من هذه الصورة هي من القدر الأول وتسمى قلب الأسد (الجوزاء) - رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) . القطر الثاني (ب د) من مستطيل الدب الأكبر ممتدا من جهة (ب) يقابل جملة نجوم شهيرة منها (أ) و (ب) ورأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)





( شكل ٤٤ )

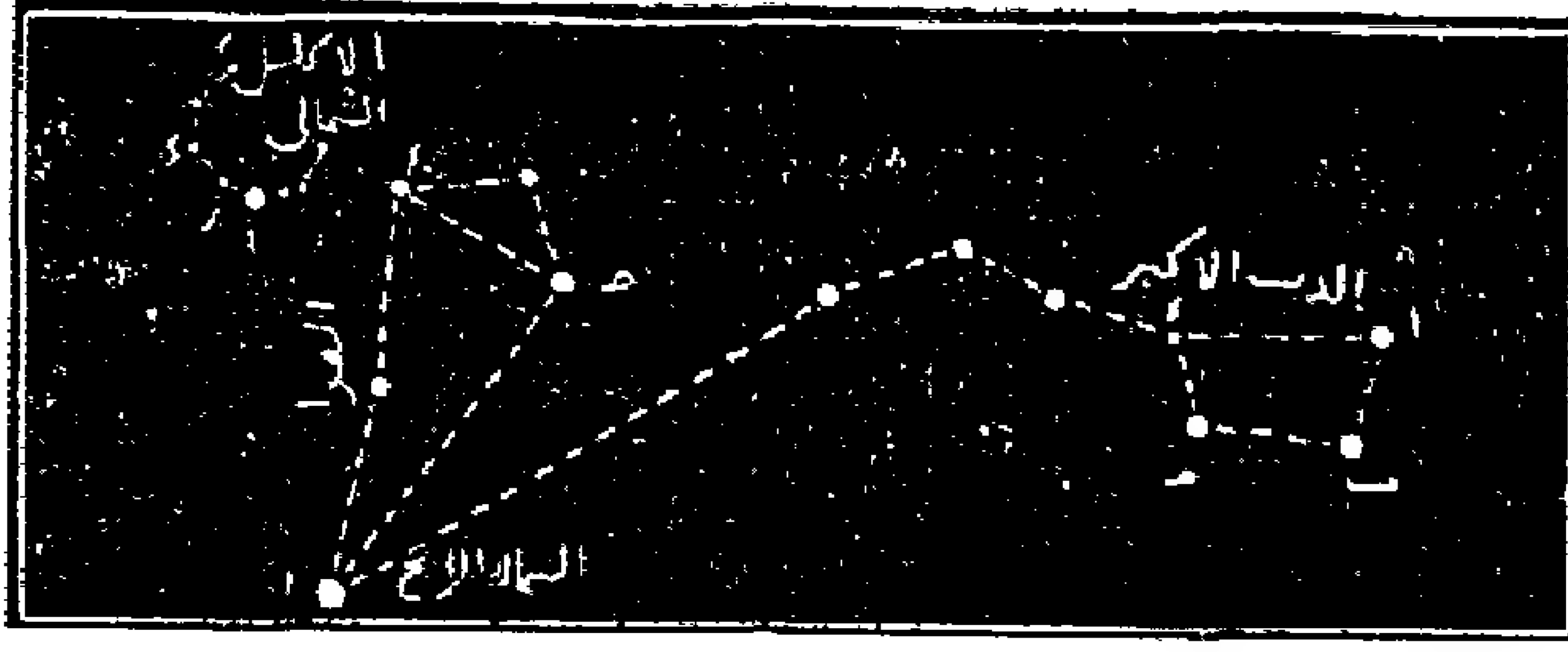
(الكلب الأصغر) - (الشعري الشامية) - النجمة (أ) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصغر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوام المقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فإنه يقابل النجمة (أ) أو الشعري اليمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (العيق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (أ) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (أ) من ذى العنان أو العيق (الثور) - (الدبران) - (شكل ٤٥) إذا مد الانحاء (د أ) من الذئب الأكبر من جهة ذى العنان فإنه يمر بصورة الثور ويمرّ بالقرب من الدبران أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



( شكل ٤٥ )

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري اليمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعيق من جهة العيق فإنه يقابل الجبار وهو أجمل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوى على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون ما يسمى منطقة الجبار أو العصا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (أ) أو كنف الجبار و (ب) أرجل وإذا مد خط العصا يقابل الشعري اليمانية من الكلب الأعظم التي علمت بتخطيط آخر

(العواء) - (السمك الراح) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذئب الذئب الأكبر فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة إلى صورة العواء هي السمك الراح وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري اليمانية (انظر



( شكل ٤٦ )

(النسر الواقع) - (الواقع) - الخط الواصل بين السماء الأعزل من السنبلة والسمك الراح من العواء يمر بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأول هي (ا) من النسر الواقع وتسمى الواقع (الدجاجة) - بجانب النسر الواقع توجد صورة الدجاجة المركبة من خمس نجوم مكوّنة صليبا والنجمة (ا) من هذه الصورة من القدر الأول

(الاعتدال الربيعي) - على امتداد المستقيم المار بنقطة (د) من الذئب الأكبر و (ا) من الذئب الأصغر و (ا) من المرأة المسلسلة توجد نقطة الاعتدال الربيعي على دائرة المعدل . والديبران وقلب العقرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمالى تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم الملوكية كانت هي أربع حراس سماء العجم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الديبران في الاعتدال الربيعي هو حارس الشرق ، وقلب العقرب في الاعتدال الخريفي وهو حارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من المنقلب الصيفي وفم الحوت على بعد صغير من المنقلب الشتوي ولكن هذه النقط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هو الذى كنا قرأناه منذ نحو أربعين سنة وكان هذا نهاية العلم في ذلك العصر ، فلا ذكر لك هنا أيها الذكى غاية ما وصل اليه علم الفلك في زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان مجمل ما عند الناس في زماننا من علم الفلك حاصلًا أمام المسلمين كي يجدوا باعًا من نفوسهم وداعيًا من عقولهم يدعوهم الى مشاركة الأمم في بحثها والمشاركة الى تحصيل علومها ثم الزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنا بالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه المباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعم السرمدي الذي يحسن به المفكرون العاملون في هذا العالم قبل انصرام أعمارهم وفوات أعمارهم فهم مع الناس في أهوال هذه الحياة وقلوبهم في نفس تلك الحال في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمفكرين في الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما في نفوسهم فرحون . هذا وإن مدة الأربعين سنة التي مرت بين أيام تعلمنا وبين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات تعد بالقرون بل بالآلاف السنين فكيف اذا مرت أربعون سنة أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف تكون حالهم ؟ أيتكونون عائلة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك وتكون المراصد في نفس بلادهم . سيقرا هذا من بعدنا وسيقرؤهُ أناس بعد مرور أربعين سنة وسيقولون ليظرب المؤلف وليفرح في برزخه فهانحن أولاء قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وهانحن أولاء شاركنا الأمم في علومها وضررنا في علومها بسهم وأخذنا قسطًا من الحكمة والعلم ولم نعد مغرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

وهاك ماجاء في ( مجلة المقتطف ) في شهر يوليو سنة ١٩٢٨



## ﴿ ما وراء المجرة ﴾

( العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية )

علم الفلك أو علم الهيئة من أسمى العلوم وأعلقها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الإنسان شيئاً من قواعده وأدق علم وصلت إليه معارف البشر وأسمى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلي تبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهو سعة هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثاً أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة حتى إذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجواهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (اينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازعاتنا إزاء القوى التي تديره وتحركه

أدرك القدماء أن في القبة الفلكية أجراماً غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم في ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار إليها أبو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال إنه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابة) وأشار إليه وإلى غيره مما يماثله بكلمة اللطخة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلفة على الفهم البشري حتى كشف التلسكوب فازاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليليو) تلسكوبه الكاسر وجهه إلى أنحاء المجرة التي تظهر فيها السدم أو اللطخ السحابية فثبت له أنها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجماً نجماً . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط (السراسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقانه ، فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر لدى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأننا وأعلقها بالبابهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القدر منها حتى أخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخاً سحابية لبعدها وإنما إذا نظر إليها بتلسكوب قوى حللها إلى أجزائها ؟ أم هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السروليم هجنس) أن من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوماً لبعدها الشاسع ، ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابة من الغاز الملتهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من الحمود درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة في الفضاء ، فإذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الجو أطلقت تلك الأشعة التي لا تشعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحلّ الطيفي أن في هذه السدم عناصر الهيدروجين والهليوم وأحياناً النتروجين والكربون وأن فيها عناصر لم يجدوا له مثيلاً في عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (نيوليوم) أي السديمي . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تجعلها على إرسال أشعتها إلى الفضاء فبعضها مضى بالنور المنعكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له في الفضاء ، وبعضها بارد يمتص نور الكواكب الذي يصل إليه فتراه لطخاً مظلمة في صدر الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية ( كيس الفحم ) وقد وقف الاستاذ ( برنار )  
الأميركي حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر ( ١٨٠ ) سديما منها تتباين من اللطخ الصغيرة الواضحة  
الحدود الى الغيوم السديمة التي تشاهد قرب كوكبة الحواء ، فالأجرام السماوية التي تعرف بالسدم تقسم الى  
( قسمين \* أولها ) غيوم من الغاز الملتهب ( والثاني ) السدم اللولبية وما إليها وهي في الغالب مجاميع من  
النجوم تظهر لطنخا بعدها . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا  
من كل الجهات ولكن لما أتقنت آلات الرصد والتصوير والحل الطيفي ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظامنا الشمسي  
لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضاء ألوفا من السدم اللولبية كل  
منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يعقل أن تكون ضمنها لذلك قيل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا  
وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم ( الأكوان الجزرية ) ولما كانت لفظة ( كون ) تطلق عادة على  
كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعملها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منظورها  
الأصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج بخاربناهم في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى ( قسمين )  
أيضا ( الأول ) السدم التي داخل مجرتنا ( والثاني ) السدم التي خارجها

لا يخفى أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشتمل على كل الكواكب التي ترى  
بالعين المجردة وألوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالآلة الفوتوغرافية فانها  
لبعدها لا تترك أثرا في اللوح الفوتوغرافي الحساس إلا بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء  
ساعات متوالية . والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدسي الشكل طول قطره  
نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه ( ٢٠ ) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسي في وسطها تقريبا وفي هذا القرص  
نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدها عن  
الآخر بعدا واحدا فان بعضها يرى مجتمعاً كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه بعدها تظهر كاللطخ السحابية كما  
ترى في كوكبتى الراعى وهرقل ، وفي المجرة أيضا سدم غازية بعضها منير وبعضها مظلم على ما مر

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار  
الجزائر في بحر متراعى الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدراسة هذه السدم هو الاستاذ ( هبل ) من علماء  
مرصد ( جبل ولسن ) الأميركي فقد أشار له في رسالة حديثة له نشرها في ( مجلة الاستروفيزكس ) ( علم الفلك  
الطبيعي ) الى نتيجة بحثه في أربعمائة سديم منها فقال ان منها سديما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل  
قياسى خاص وأشهرها ما يعرف بغيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائها جزأ من درب  
التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير  
المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجى الشكل أولوليه ، ونور السدم الاهليلجية الذي حلل بالسبكتروسكوب  
يثبت انها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك محالا للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه  
النجوم واحدة واحدة بعدها الشاسع ، والمحتمل أن نجومها في طور التكون من الغاز الحامى الى حد الاضاءة  
وأن الغاز الذي لا يدخل في تكوينها يغشاها كبرقع الحسناء ، وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل  
الاهليلجى الى الشكل اللولبي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في  
السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاقي . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم  
الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبي الذي في كوكبة المثلث  
يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظن أن ألوفا من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقد وجد الاستاذان  
( هبل ) و ( شپلى ) أن في جهة كوكبتى شعر برنيكى والسنبلة سديما لا يقل بعدها عن مائة مليون من سنى النور



وقد استعمل السبكتروسكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تباعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا في الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا التي مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فأننا لا نؤمل أن نصل الى نهايته لا في الزمان ولا في المكان وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدهش العقل وتحير القلب ، على اننا نشعر بطمأنينة حين ننظر الى ما كشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال ﴿ اننا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأضعفها ولكننا نعرف اننا صغار وفي ذلك سرّ عظمتنا ﴾ انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

### ﴿ تذكرة ﴾

قد اطلع بعض العلماء على الصور السماوية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي وأمثالها فقال انك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت انك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المنقولة وخير لك أن تسير على طريقك فتكتب بهيئة تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له اني قد لاحظت في هذا انه مسائل علمية والعلوم لا بد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم وهو جميل . قلت فهمنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيتها ما هي إلا أما كن من السماء فيها صور النجوم قد رسمت ليطلع عليها الناس ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يقف الانسان ليلا في الخلاء وفي الصحارى القفار أو الحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واضحة . فقال زدني زدني . فقلت أنا ولدت في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أول حياتي مع الفلاحين وكنت أسمهم يقولون يافلان انظر (وند النجم) أي النجمة القطبية . ان وند النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله وكنت أسمهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك ان النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هيئة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هيئة بناته يبين وراء النعش ، فالمجموعة المسماة بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث التي سميها بنات هي ذنبه ، فتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس الطبيعة . فقلت قف ليل في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارف بصرك الى الجهة الشمالية وتأمل فانك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال وما مضى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي يجعلونها (١٨٠) جزءا كل جزء درجة ، ومن الأفق الى كبد السماء في سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أي ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا يغيب أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أي الذي هو بعكس الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوق نظري على

هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نصب بل وجدت الفلاحين يقولون لى هذا وتد النجم وأشاروا اليه اذا هو نفس النجمة القطبية التي في الدب الأصغر ورأيت الدب الأكبر يدور حولها وهي لا تتحرك . فقلت هذا هو السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعد عن النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين الدب الأكبر . قال بلى وربى وأنا شاهدتها في السماء كذلك فكما أن الدب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على يمينه في هذا الوضع والمسافة متساوية والناظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا معلم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه الثلاثة في نفسي وفي التفسير وفي نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون ان هذه النجمة القطبية تبعد عنا (٥٠) ألف سنة نورية وذلك أيام تعلمنا فلا أدري أهذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف في عصرنا ام لا ؟ فالنظر في هذه الصور نظر في عظمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف عجائبها إلا بعد معرفة مواقعها وأسمائها . فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفت . فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٢) قد عرفنا فيه الفرس الأعظم وهو أربع نجوم كهيئة الأربعة التي في الدب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في الدب الأكبر ، إذن هذه السبع كالدب الأكبر وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من الدب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مدا فوصل إلى الفرس الأعظم والذي معه هو المرأة المسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور الدب الأكبر والأصغر والنجمة القطبية وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ونجمة الغول . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في نفس السماء وفي (شكل ٤١ و ٤٢) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفاي ولكن لا يفهمه غيري إلا اذا نظر نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حراس ، إن الله متكبر ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يعقله إلا الذي تأهل له ، هذه سعادة وملك عظيم وهل الملك العظيم يعطى مجانا والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - فالاعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رحيم بخلقه ولكنه حكيم والحكيم لا يعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله قرب العالمين ثم جاء صاحبي بعسدها بأيام فقال لقد شغلتنى هذه الصور وقد فقهتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهرا وأطبقه ليلا ومتى عرفت ذلك هان على معرفة البقية . فقلت أحفظ هذه الحروف الأربعة ج د ج د من مربع الدب الأكبر الذي أمامك قال حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدئ بالقطر . (د ب) من جهة (ب) وسرفي خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت ا ب ج د والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها ففيها نجوم واضحة رسمت شكلا وهي (٦) منها رأس التوأم المقتم ورأس التوأم المؤخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أي من جهة تقابل جهة القطب وسرفي السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي امامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما يشبه المثلث وما يشبه خطا مستقيما أسفله منحنيا أعلاه وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فلم يبق إلا أن تتوهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد وتحت



مثلث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجومات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وامتداد الخط (اب) وامتداد القطر (اج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور السماوية وهي الدب الأكبر والدب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة وبرشاوش والغول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فنكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقدمان الجوزاء ظهر لنا اتنا عرفنا مواضع الحمل والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولا شك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج اهـ

### ( بهجة العلم )

سيأتي ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون - عجائب تدهش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوماً تبعد عنا (١٠٠) ألف مليون سنة ، ويقولون انهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دلم على أن هناك شمساً أضواؤها لحرارة فيها بخلاف شمسنا ونارنا فحرارتها متعددة بضوئها كما ان قوانا الغضبية متعددة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال صفاتها كما ان الحرارة المصباحية لأضواء الكواكب لولاها لكانت أضواء تلك الكواكب أضعافاً مضاعفة ، وقالوا أيضاً ان هناك شمساً لو وضع منها مقدار حجم الحصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته وأحرقتة . فهذه العجائب المدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بأدراكها ويعجبون والعجب أول منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

### ( إيضاح مسألة النور والحرارة )

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى الموت قاب قوسين مني اذا أنا دنوت منه ففرقت فالماء موت وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الذرات الحيوية القاتلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو في أضواء من الكواكب السماوية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ، نوقد الفحم فنحس بحرارة ولكن لا نرى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي إلينا مصحوبا بحرارة فلاندرى أهم أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفترقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم واعجب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يعرج بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك العروج لا يكون إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جمعت بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء ولا الهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجهزة للأمرين معدة للحالين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون أرقى منها فيه الدوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على عالم أمريكي أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك المعدني اذا أحجى بالكهرباء في المصباح الكهربائي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة الكهربائية التي يبذلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهربائية فانه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور أي (نور بارد) فان النور إذ ذاك يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبارة ٢٠ من المقتطف ولعلها ٢٤)

هذا ما يقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبينما هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي ان ما فكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لاجل الحرارة معه وخلق الشمس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرقى ما في هذا الوجود والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

( لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - )

( عجائب التقويم )

اعلم أن الله كرر ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يمحى بما يرفعه الى العلا فانه لا يفارق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلولا الحرارة ماسار سحب ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجاريات بالسحب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلولا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولولا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية في المعاش كسير السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبنى على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذي به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ نعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . واقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نرايد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمات نفوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صورت تلك الصور الملازمة للنمو سماوية وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

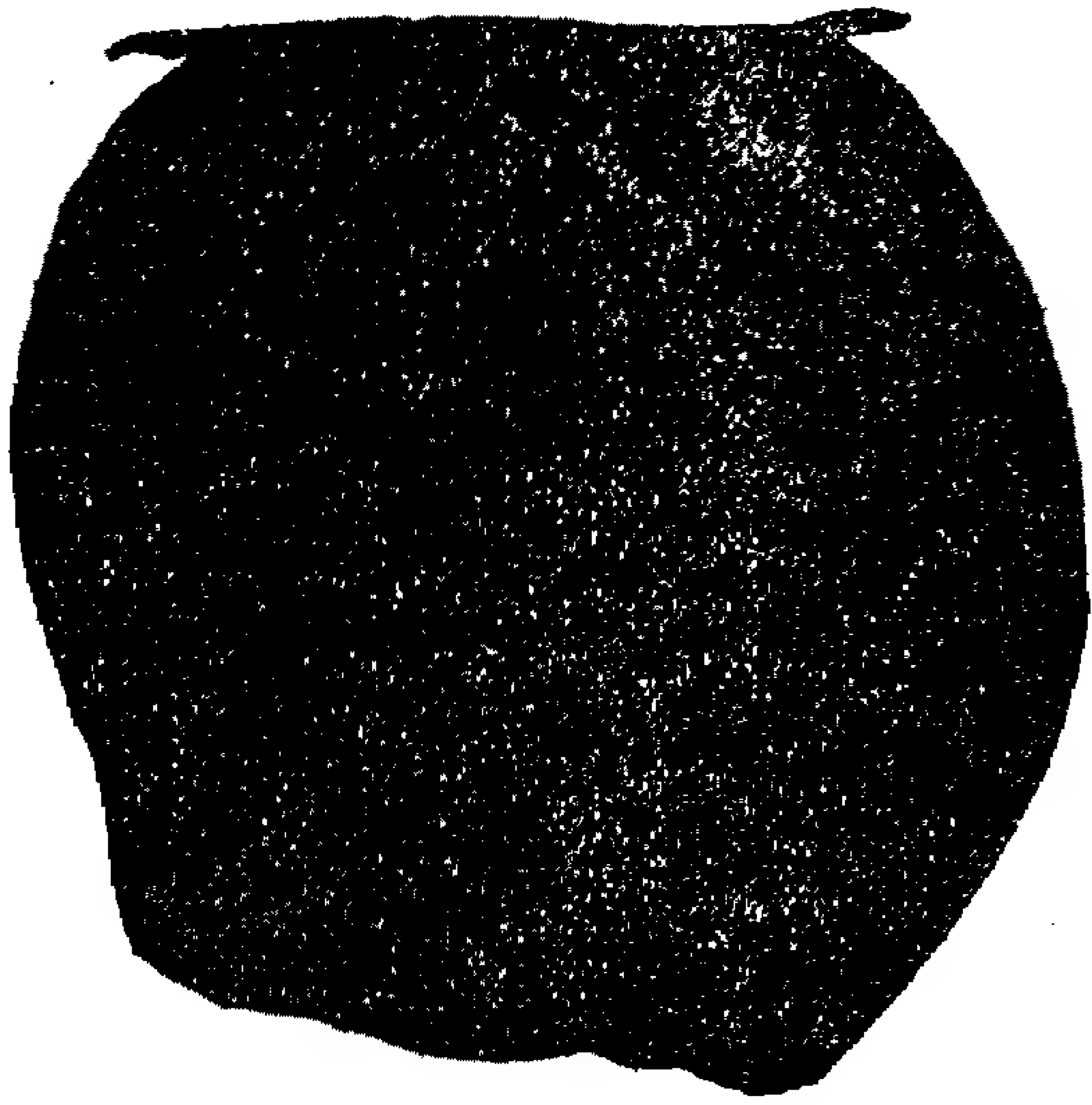
يا الله ، أنت حكمت علينا بالحس في هذه الأرض مدة فنحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعده بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا نال مطعما وملبسا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوا من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لا تمام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فالمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جماعة بحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فلأفراد يهتدون في الطرقات بالأضواء والأثم تعين جماعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك علما آخر تتوجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن مجنونون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحة مبشرة فهناك يكون ملاعين رأيت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخر (آل عمران) وأزيد على ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جلي اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (بوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) فوضع تقويما قدر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم



وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فانه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا و بلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقةها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين يتبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يعتمدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



( شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا )

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله الذي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يونس) من صور البروج المرسومة في (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حتر) ذلك (أولا) لأروى ظمئى للعلم وظمأك لآنى كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العالوم (وثانيا) لتعلم معى عناية الله بالأمم واتصلهم جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فاقرؤوها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما تعدون - (وثالثا) ليكون هذا التفسير معرضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيشوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذى يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيرقى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا \* وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالشكور عليه فأول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت معى أيها الذكى كيف قوم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوقهم الى الرقى الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثانى من السورة

### ( المقصد الثالث )

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا \*  
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا \* إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا \* وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا \* يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا \* إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا \* وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا \* وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا \* وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتِّمِينَ إِمَامًا \* أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا \* خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا \* قُلْ مَا يَعْبُودُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا \*

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن صنعه وجمال إبداعه بالماء المبارك النازل من السماء وإبداعه في البحر المالح والنهر الحلو ، وكيف يكونان متجاورين ولا يطنى أحدهما على الآخر ، وكيف تكون منه الماء والنبات والإنسان والحيوان وكان منه النبات والبنون ، وكيف أبدع في نظام كواكبه وشمسه وقمره ، وكيف نظم طرقها وأبدع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل للقرب من مبدع هذه العجائب ليبين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية ومقدمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، أنهم في النهار يتصفون بوصفين وهما

- (١) أنهم يمشون بسكينة ووقار على الأرض
- (٢) ويغضون عن السفهاء فلا يخالطونهم بقبيح الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يحيونه بالعبادة ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لامقترين ولا مسرفين
- (٥) ويوحدون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضر الخطائين تنزهها عن مخالطة الأشرار
- (٩) وإذا مروا بأهل اللغو والمستغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه
- (١٠) وإذا وعظوا بالقرآن أودعوا بمجائب الله كانوا مقبلين عليها وخروا سجدا وبكيا لأنهم يكونون صامعيين لا عراضهم



(١١) وهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة  
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير  
 فهؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثنتي عشرة (١) يحزون الغرفات وهي العلالى في الجنة بسبب  
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتعبير وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلامة ، فالتحية للبقاء والسلام للملائكة .  
 (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرفات عالية وتعمير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .  
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعابى به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة  
 إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والا فلا فارق بينه وبين الحيوان ، واذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم  
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفار مكة في يوم بدر وفي  
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

### { ايضاح لبعض الكلمات }

قوله (هونا) هينين أو مشيا هينا وهو مصدر وصف به أى انهم يمشون في سكينه وتواضع (قالوا سلاما)  
 أى تسليما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا وبينكم ولاشرا أوقالوا سلاما من القول يسلمون فيه من الايذاء والإثم  
 (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) لأن العبادة بالليل أجمع للفكر وأبعد من الرياء أى يبيتون في الليل  
 بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لللازمة  
 فهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم  
 (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى بُست وفاعلها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم  
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواما) وسطا وعدلا (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أثاما)  
 أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من يلقى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يحو  
 سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم وهكذا يبدل ملكة المعصية بملكة الطاعة (ومن تاب  
 وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب عن المعاصي بالترك والندم ودخل في الطاعة فإنه يرجع  
 الى الله متابا مرضيا عند الله بمحو العقاب محصلا للثواب أو مرجعا حسنا وقوله (والذين لا يشهدون الزور)  
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أولا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو)  
 أى ما يجب أن يلغى وي طرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخرؤا عليها  
 صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بما فيها (الغرفة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس  
 أريد به الجمع أى الغرفات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مفض الطاعات ورفض الشهوات  
 وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) أى تحييم الملائكة ويسلمون عليهم ، ويلقون تبقية دائمة  
 وسلامة من كل آفة (ما يعبؤا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته أولا يعتد بكم (لولا دعاؤكم)  
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

{ جوهرة في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صما وعميانا - }  
 الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جلال النور والفهم ، سبحانه اللهم أعنت على هذا  
 التفسير وأحسنن بالالهام والتيسير وجعلت أسلوبه سهلا يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يعقله إلا العالمون  
 جعلته شارحا لآياتك سهلا لفهم كتابك مذكرا لأنعمك ناظما لجواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوبا  
 واشرح به صدورا ويسر به أمورا واستخرج به رجالا يعقلون آياتك . اللهم انك أنت فسرت هذه الآية في  
 نفس القرآن وذكرت معانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم  
 بشر تنشرون - وعطفت على ذلك ذكر خلق الأزواج لنسكن اليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الأسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاء الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمات بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقائل أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا فجعلت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحيوان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوبا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العالوية والسفلية ولم تقصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار والطين والزيتون والطور والحليل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بماتبصرون ومالاتبصرون - ولاجرم أن ماتبصرو ومالاتبصرو يشمل كل علم وكل صناعة . هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير ايضا لها وشارحا لها ومبينها . واني يا الله أكتب هذا وأمضي الى عالم أردته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين حجة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان . اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها اعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا انها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها . اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وصموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامنفعة فيه (انظر ماجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانتكاس العقول ومخالفة العقول والمنقول . فالحمد لله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القربى الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقدمات النظر لوجه الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجل وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة . اللهم اني قد أدت ما على المسلمين . اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنية وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية . اللهم يا مقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية فربأت العلوم التي أصرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها خروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصدور لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين والحجاب عن القلوب وارفع الوقر عن الآذان وأثر البصائر . اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد . اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم التي ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان . انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

### ﴿ فمعرض الحكم في هذه الآيات ﴾

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر في هذه الآيات وتأملها . هذه الآيات كأنها ملخص السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يخروا عليها صما وعميانا -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخالق كالسكينة في المشي وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليل والدعاء والاقتصاد والتبري من الشرك ومن الزنا واللغو والكذب . هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد



لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سكون النفس وتوجهها لله . فسرعة المشي نهوش على العقل وتذهب الهيبة وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكري بالله تعالى . ههنا ﴿ثمان خصال﴾ ترجع اسكون النفس وهمدورها فلا اضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الانفاق وهكذا . وخصلتان ترجعن للتذكير بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات انعمش للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا تقسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعود التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . ذلأجل العلم خلقنا وبه سعادتنا في دنيانا ويوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتضاءل دونها الجنات الحسية بحورها وقصورها وولدها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعمى أصم عن آيات الله أي أن يفكر في هذا الوجود ﴿وبعبارة أصرح﴾ أن يكون حكما عالما أو محبا أو متعلما أي أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أو كمالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك ﴿خصلتان﴾ بعدها وهما أن هذا العبد يجد في اكمل أهل منزله من زوجة وولد اكمل المتقين فيكون قدوة لأهله ولأئمة أي يكون نورا للناس وفارقا بين الحق والباطل الذي هو معنى الفرقون . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس يمنعونهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجاب . ذلك ان الناس عادة يقرؤون هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهي عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا فيخيل للقارئ أنهما يرجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالتكرار ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثن بل ان سر هذا المقام قد ظهر في انحطاط أكثر أئمة الاسلام واستبان أيما تبيان . ولما وصلت الى هذا المقام حضر العلامة الذي اعتاد أن يحاورني في الامور العلمية في هذا التفسير واطلع على هذا الموضوع فقال مالي أراك تذكر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا عجب لك أين السر هنا . ﴿جلتان﴾ جاءت في هذه الآيات جلة تفيد عدم الاشراك بالله وجلة تفيد عدم الغفلة عن آياته عند التذكير بها وبينهما فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذي لا يتم إلا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقدمة . هنا نظر في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولهما فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ما نقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأئمة الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد يتسلى بذلك ويقول كفى كفى . فاذا ضم الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالسكينة والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعد صالحا . هذا هو الذي سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرددون كلنى الايمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن - . فقال وما الذى به يستهزؤن . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا عليها صما وعميانا - . فقال والله إن هذا العجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وانما ذلك في الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجلة ملغاة لاعمل لها . قل فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جمل في أقطار الاسلام وخطب كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تقولون في علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجميع العلوم الكونية فانك لاتسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات ويستكتون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه العجائب ولا يشوقون الناس لربهم ولا يفرحونهم به وليس من المعقول أن يحب الانسان صانعا ويعرف حكمته إلا بفهم صنعه . قال إنك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بغضا في آيات الله ولكن اعراضا عن الآيات لذاتها فلما منهم انها لا تفيد قربا لله إما لأنها كفر وإما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قبلهم . فهذه الجسلة جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكي نظرا أهل زمانك إلى أن هذه الجسلة مذكرة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرقى المؤمن وسعادة أمته

تقدم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خيره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وأنه له ملك السموات والأرض وأنه خلق كل شيء وقدره تقديرا بحساب متقن منظم . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذي يفيد معنى - تبارك - ثم انه أعاد هذه الجسلة هنا قبيل هذه الآيات فقال - تبارك الذي جعل في السماء بروجاً - والبروج هي الاثنا عشر المعلومة أو هي نفس الكواكب العظام وهي بعض ما خلق الله وقدره تقديرا . ولما شرح بعض خلق الله الذي من خيره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى - الذي جعل في السماء بروجاً - الخ فانظر كيف أعاد الجسلة التي في أول السورة هنا ليعقبها بصفات المؤمن الذي يفهم هذا الخير الكثير الذي تضمنه - تبارك الذي نزل الفرقان - . فملخص السورة اخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لذرياتهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعلم الاعراض عنها ما تيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كبرياء ومغناطيس بهما أشرق النور وبهر الفرقان . فالله يذكر في أول السورة ملكه وخلقته وتقديره للعالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جيلة في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا أعرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فياطوبى لمن ذكر بآيات ربه . ويا طوبى لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إني أجدك . ها أنا ذا قد ذكرت بآياتك بارشادك وإلهامك مع اني أقر وأعترف بالضعف والعجز حقا وصدقا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألهم الأمم الاسلامية أن ينسجوا على منواله ولا ينجروا عن الآيات صبا وعميانا

فقال صاحب هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام تصييد للمعاني بحيث تأخذ ما يلائم وتذر الذي لا يلائم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارئ في حيرة ويتشكك في قولك ويقول إن القرآن لم تقصد منه هذه المعاني ولوانها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى - تبارك الذي - قد ذكر ( ثلاث مرات ) فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطابا للنبيه ﷺ - تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا - وهي واقعة في غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمة . قلت نعم وأي حكمة أجل منها . فقال وما هي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأول والثالث هو هو عينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى - ويجعل لك قصورا -



الآثرى رعاك الله أن الجنة على ﴿قسمين﴾ جنة حسية وجنة معنوية وهى العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقتسمتان للنظر الى وجه الله فأنكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكماء فى الدنيا والآخرة . وإذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصدّيقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ فى الآخرة يقنعه الحور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذى لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الحجا والعقول . فإذا كان الله وعده بجنت تجري من تحتها الأنهار ووعد به بقصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رمز الى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف فى قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام فى سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح ﴿أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلا ترى سيد الرسل فى أعلى جنة العلماء﴾ فرجعت هذه الآية الى أختيها وظهر أن الدنيا لا يرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يسعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - هى نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الخصلة التى بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رضى الأمة وبه يقتدون وعليه يقولون

### ﴿بلاغة القرآن﴾

فانظر الى أمر التقديم والتأخير فى جلتين كيف أثار موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية ويبين عيوبها ومخازيها ويفضح سرّ تأخرها وينير السبل لتقدمها وارتماها . إن هذا المقام هو الذى ألفت له الامام الغزالى كتاب الإحياء فقد قال فيه ﴿إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام﴾ وبين ذلك بأنه اوضح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة فى السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الاحياء . كل ذلك أثاره فى هذا المقام تقديم وتأخير . بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن لا البلاغة اللفظية التى يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن نقرأ المفتاح للسكاكى وكتاب سعد الدين النفازانى وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها لنعرف بلاغة القرآن فنقول لهم وهل عند هذا تقفون أو تنكصون على الأعقاب . إن الذى تبحثون عنه انما هو أن القرآن معجز ونتيجة ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقدّمنا أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى المسلم بل رقيه انما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلغاء فى أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدوى القح فى البادية وعن أنهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا فى حوز الموحدين المذكورين فى الخصلة السادسة فى هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خرواصها وعميانا ، اللهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعترى العمى والصمم كثيرا من أهل العلم فى أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن انقشاع هذه الفشاوة والحمد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ياقونة فى معنى قوله تعالى فى هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا - الخ﴾ بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض أنواع التذكير التى ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تكملة للجوهرة السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤه قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعى وانما هى ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله فى السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها فى العدد أيضا تقريرا جاء فى اصلاح الأخلاق

(٢) وهالك العبادات كما تقدم فى (سورة البقرة) فى تفسير آية الكرى فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا بذروها للمسلمين ليربوهم تربية يكونون بها صالحين فهو لاء نراهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسي ونحو - الم \* الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ ونحو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا . فهذه الآيات هي روضات الجنات تمتع الصالحون بالفاظها فست قلوبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصديقين ليدرسوا نظام ربهم ويتمتعوا بكواكبه وبشجره وببحاره وبنظمه العجيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بصدد الكلام عليها

(١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظام سقي الناس والأنعام وحياة كل حي فرق الأرض

(٥) ونظام البحرين العذب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج وعجائبهما

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلا من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجامع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن وختم ذلك بقوله - لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذه الجوانب جميعها وأمثالها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين فانظر كيف يقول - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - بعد أن ذكر هذه الآيات في نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفریقين المذكورين فاذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها العباد والآيات التي في هذه السورة فان الاعراض عن التفكير في معناها ودراسة علومها لكل قادر من المسلمين يعتبر كفرا بالنعمة وكأن الانسان أهم أعمى . لقد تكرر الذكر والتذكير في القرآن . ناهيك ما ترى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - وقد كررها مرارا بعد كل حادثة وقصة ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكرهم بأيام الله - الخ وقوله - إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقوله - أفلم يدبروا القول الخ - وآيات كثيرة . هذا هو التذكير القولي . أما التذكير بالفعل فهو ما أحاط بالأمم الإسلامية اليوم من القوى القاتلة والأمم القوية الظالمة وقتلهم بهم فهذا تذكير لأنواع الانساني فعلى . فاذا نام المسلمون عن هذا التذكير بنوعيه فلا يلومون إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه في هذا التفسير ثم ترك النشر والتعليم . انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

( تذكرة )

قد يستعين الناظر للصور السماوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم المعلومة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المتقدمة . انتهى

( تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم )

ويليه الجزء الثالث عشر \* وأوله تفسير سورة الشعراء )



## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارىء بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صحيفة	سطر	صواب	خطأ	صحيفة	سطر
و قتل منهم كثير	و قتلوا منهم كثيرا	١٧٥	٣	باباحة	باباحة	١٤	٢
فقتل	فقتل	١٧٥	١٠	المتزوجين	المتزوجين	١٤	٢٠
فلاح به	فلاح له	١٧٥	١٠	متقاربان فلذلك	متقاربان	١٥	٣
ويقولون	يقولون	١٧٦	٥	عدا في الاجال	عدا في الاجال		
السماء وجههم	السماء والعالم	١٧٦	٢٦	وجها واحدا	وجها واحدا		
الحمة	الحبة	١٧٧	٢	وانظر	والنظر	٢٣	٢٥
وذ كر	قد جاء	١٧٧	٦	الواقية	الواقية	٣٣	٣٢
لبنان	ولبنان	١٩٦	١٦	صورتها	صورتهما	٤٠	١٨
خلاها	فلاهما	٢٠١	٢١	ظهر	ظهر	٤٣	١٤
واذ	فاذا	٢٠٥	١٣	معدنيا	معدني	٦٩	٤
السكر بون	الاوروجين	٢٠٧	٣	الحيوان	والحيوان	٧٣	٦
والقرآن	والانجيل	٢٠٧	٢١	الثلاث	الثلاثة	٧٥	٣٢
وغير	رغير	٢٠٧	٣٣	أن نزول	أن يزول	٩٢	١٣
فان (٢٨٤)	فان عدد (٢٢٠)	٢١٠	٣٢	هود	يونس	٩٢	٢٢
وكذلك (٢٢٠)	وكذلك (٢٨٤)	٢١٠	٣٣	محرفة	محرفة	٩٤	٣٠
يساوى مضارب	يساوى مضارب			كتبوه هم	كتبوه	٩٧	٩
(٢٨٤)	(٢٢٠)			يرقون	يرقون	٩٧	١٢
من المرجان	من المرجان	٢١٦	٣	أقر	أقره	١١٠	١٨
وأعدتها صور	وأعدتها صور	٢٢١	١٢	ينظر	يتظر	١٢٢	٢٦
مختلفة وأشكال	مختلفة وأشكال			وانقذت	وانقذت	١٢٣	١٩
وأوضاعا	وأوضاع			البر	البرية	١٢٦	٢٧
ابنوقليس	ابنوقليس	٢٢٥	١٩	سدوم	سدوم	١٣٤	٥
ألفوها	ألفوها	٢٢٧	٨	لاتعمل	لاتكون	١٣٦	٨
بل كان عندهم	بل كان عند	٢٢٩	١	ترك	ترك	١٤٤	٣٣
٣٦ درجة	٣٦ من	٢٣٤	٢٧	واد	وآد	١٤٥	٤
العباد (بتشديد	العباد	٢٤٦	١٥	واد	واد	١٤٥	٤
الباء)				الفار	الغابر	١٤٥	١٨
				فتعرفوا	فتعرفون	١٦٩	٤
				المسرات	العترات	١٧٣	٩

## فهرست

## الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم سورة النور الى ( ثلاثة أقسام ) وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة مشكلة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة
- ٥ فصل في قصة الإفك ومحصل القصة
- ٧ ( أربع لطائف في اللطيفة الأولى ) - ولاتقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لانقبل شهادة القاذف أبدا عند شريح . متى حذرت شهادته عند أصحاب الرأي . لايسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط عند قوم الخ
- ٨ ( اللطيفة الثانية ) - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ( اللطيفة الثالثة ) في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبدا - ( اللطيفة الرابعة ) في قوله تعالى - الخيئات للخيئين - الخ حكاية العابد والفارة المسوقة الى أن الأشكال تحن الى أشكالها بمناسبة الآية
- ٩ ( القسم الثاني ) أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرعظة للفتين - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام النكاح من النذب والجواز وهكذا . فصل في المكاتب ووجوبها ونذوبها
- ١٣ فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا ( اللطيفة الأولى ) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه لثلاثة أمور
- ١٤ ( اللطيفة الثانية ) وفيها قوله ﷺ « تزوجوا الولود الودود الخ »
- ١٥ عناية أمة الألمان بكثارة النسل وتصوير المصورين حال ذوى النرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- ( القسم الثالث ) - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يري سحبابا - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يناسل منه بالانقسام وما يناسل بالبيض وما يناسل ( بالتبرعم ) وبيان الحيوانات الفقرية وانها خمسة أقسام والحيوانات الحلقية وانها خمسة أيضا والحيوانات القشرية وانها ليس لها عظام ولادم ولا حلقا والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه - الخ



٢١ بيان أن الخنافس وحدها (٨٠.٠٠٠) صنف والحشرات المعروفة (٢٠٠.٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿أربع لطائف في اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لنبينا ﷺ أولسيدنا ابراهيم عليه السلام أولكل انسان الخ ثم تبيان الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الانسان بسفينة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ ايضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الغنى وبدرجات الملك لشاين أحدهما تاجر والآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجتهما في الغنى والملك بالقوة وبالفعل وبلاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا فهي تضيء لأعيننا وهو يضيء على عقولنا ٢٧ الصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عاقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على منوال العقل الفعال فهو الذي طبعت الصور القائمة به في المادة فحدثت الأكوان ، فأنراه نحن الآن من الصور هو الذي كان مرسوماً في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فرحنا به ورسومناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة . قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وبيان أن العلامة (هنشو) الأمريكى يقول : ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الاكسوجين والادروجين وهما العنصران اللذان ركب منهما الماء يرجعان الى نقطة ضوئية ترسم خطوطاً نورية وهمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائى سالب حول نقطة ضوء كهربائى موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقط الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي ليست شياً سوى هذه النقط ومع ذلك هذه القطرة المائية لو جمعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا جزءاً من (مائة ألف ألف ألف) جزء من النقطة المائية ، فالمسافات بين الجواهر المائية فيها كالمسافات بين الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على يمينها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالمشاعل ومصاييح الزيت الخ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ - والطير صافات - ﴿الجوهرة الأولى﴾ في تسبيح الطير ، هل الجاد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثانى أما الأول فلا . ﴿الجوهرة الثانية﴾ في الطيور الرحالة (مترجم عن الانجليزية) وأن الخطاف يصرف زمن الشتاء عند بحيرة (تشادو) في أواسط افريقيا ويربى أولاده في بلاد الانجليز زمن الربيع . وبيان سبب تلك الرحلة . صورتان مرسومتان للخطاف الوارد بعد المهاجرة بيان أسرع المخلوقات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضع آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولا بها الأمامى أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣١ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للانسان الراكض وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولاصراوح ﴿الفائدة الثانية﴾ جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حاول الوصول الى القارة المجهولة في الأقطار القطبية التي تهاجر الطيور اليها ولم يصل لها الانسان ولكنه لم يتمكن

٣٤ ﴿اللطيفة الرابعة﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

القرون المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال المرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبدالعزيز الدباغ في الثلج والبرد والبرق وهكذا من الحوادث الجوية المسماة قديما بعلم الآثار العلوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موفين الموضوع حقه فرجع الى شيخه الدباغ فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حتى الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد ، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه معجزة قرآنية دلتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المغطى لها

موازنة كلام الشيخ الدباغ المذكور بمذاهب الفرنجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الحجري البلوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م

وهما هندسيتان جيلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولهما صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري الذي سقط في

بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز المركبات من

جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يزجي

سحابا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢)

صورة السحاب الذي يخرج الودق من خلاله (الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - وينزل من السماء

من جبال فيها من برد - (الجوهرة الثانية) فيها تجب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبخاره وبرده

وتلجه الخ

٤٢ اتمام الجبال في هذا المقال وذكر كيفية تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا

وانها تاج حول القطب الشمالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دانيس) ومن بعده الى الدكتور

(هيس) الذي مات ورجع أصحابه وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبلا بمقارناتها ومضائقها الخ أوسهولا

واسعة وانه قد يرتفع مائة متر وأن الخفي في الماء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حاستي السمع

والبصر هناك تطفان وتظهر هناك هالات وشموس وأقمار كاذبات وشفق شمالي ، وأن الانسان يسمع

سقوط الحجركه صوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تدور حول الأفق

ولا تلبث ونور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلو متر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس

ويقيمون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان انهم كشفوا

هناك أرضين وانهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبلا وبراكين وقارة جنوبية ومناجم

للصخر الحجري

٤٣ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يزجي سحابا - الخ واجتماع ٢٥٠

علما أوروبا من علماء الجمعية الجغرافية وأقارارهم بأن هذه الآية منطبقة على نهر النيل وأن الخريطة

التي صنعها بحصر بحسبة مصطفى بك منبر مقدسة وانهم وضعوها بحيث تضيء عليها الشمس ، وذكر

مساحة بحيرة (فكتوري يا نيارا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٤ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة النيل



٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . وبيان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ، وذكروا أن الهند الجرمانية عندهم الله هو النور أو الشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعات للنور مثل (ديفاس) في لغة السنسكريت و (ذبوس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهر حي على الأرض فعشقها الناس وذكروا الله بها أو عبدوها والى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحداية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها فجاء النبي العربي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه

الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقصة بحركتها اليومية حول الشمس عليها حلها وحلاها في مشهد عرس وحولها ثريات النجوم مشرقات عليها ، ومن حلاها قوس قزح والثلوج في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ وتبيان أن دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أى الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لانفس الشمس وهم وان عدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (ميناء) بحيث يكون (أوم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفيس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكروا أنشودتين من أناشيد قدماء المصريين مترجمتين من كتب الألمان ، وبيان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان

٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجبال (نوعان) جبال ظاهرة وجبال باطنية وقداماء المصريين ذكروا الجبالين معا الظاهر والباطن وتمجيد الله أذاهم الى انشاء الأناشيد المتقدمة والى الرقص ، وبيان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق العفيف

٥٣ بيان السماع الجائز والمحرم ملخصا من الإحياء في كتاب السماع ، وذكروا حتى بن يقظان تأليف ابن الطفيل

٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و (شكل ١٥) صورة المناطق الخمس وحيواناتها و (شكل ١٦) نبات افريقيا و (شكل ١٧) حيوان افريقيا

٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، وبيان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة

٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وأن هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسامون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يعد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم منفعتها أعم من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا الفقرية الى النباتية (شكل ١٨) نبات أوروبا

٦٢ (شكل ١٩) حيوان أوروبا

٦٣ الحيوانات الفقرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليدين وهو الانسان وذى الأربعة الأيدي وهي القردة والثالث وهو آلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثديية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطسية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرجين في بلاد (هولانده الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالديجاجة مثل الدجاج والطاووس وكذوات الأرجل الكفية مثل البط والشاطئية مثل أبي قردان

وإلى مغازل وكالدودية مثل البلب والعندليب وكالتسلقة وكالجارحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفقرات وهي الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفقرات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و(شكل ٢١) حيوان آسيا و(شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و(شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و(شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و(شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان إفريقيا ، وبيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفه كالبق أو غشائه كالنحل أو غمديه كخنفس الفول وذو الجناحين كالبرغوث

القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين واعتراضهم على الاطالة في امثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يمشى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المشى على رجلين وأربع وهكذا ففيه فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم ولا علم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بثّ الدواب في الأرض فلا يمان لها إلا برسم نفس الدواب في كل قارة ، ولأمانع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمون الى العصور الأولى وبيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجل ونحوها  
٧٦ بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرائزها وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات معجزة أماطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الخيرة إذ يقولون العلم شيء والدين شيء آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ المؤلف أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٧٧ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سيرة الآباء طلبا لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الغريزة والغريزة لا خطأ فيها ولكن الخطأ في تقليد الانسان وغفلته وقد ذمّه الله على ذلك وسيبتر المتبوعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن آكل لحم الانسان ومن محرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضلّ عن فطرته والحيوان لم يضلّ عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلا مينا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . وبيان أن التقليد هو الذي يمنع منكر للدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافق كل الأمم لأنها ترجح الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية وينزلها الى اسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة في كل جيل وأي أمة محترمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حرصا على المكاسب الأرض أشبه يراقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوله

\* الأرض ترقص حول الشمس من فرح \* الخ

٧٩ الذات وتقسيمها ( ثلاثة أقسام ) عليا ووسطى وسفلى ( العلم . السلطة . شهوة البهائم )  
الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالمسك من حيوان للشم واللبن من حيوان للذوق وهكذا



٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الحز كالأساد والمستعبد كالغنم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني اوشط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة وبالوحى للنحل ، وأيضا قد أسمعت النملة نيا وهذا شرف لها لم تله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ محمد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه في كبرسنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة في شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بعناية الله الصحة وأن الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد شربوا في محافلهم العائمة المرطبات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحي لم تقدم عليه الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدرات وكل ذلك مما دخل في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم -

٨٣ نداء الى أم الاسلام بذكر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكي الذي يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر الخ والناس اليوم يقصرون أعمارهم بأمثال هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مفردا في طعامه وشرابه ونحوهما ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام ملوكهم جهلا . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغربان والأساد والفيلة . فالجرادة والذباب والناموسة لا يرين ذريتهن والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والدجاجة والحمامة لاتعرف نظام المجتمع . والغربان لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والفيلة والذئاب والقرود تعرف نظام المجموع وسيقول أبنائنا في المستقبل ان الطفل والهرم كالود والاقوياء يلدون الذرية وتكون لهم جماعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغربان والذئاب في علم الاجتماع والناس الآن في الشرق والغرب لم يزدوا عن الغربان . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فأما بعض المسلمين كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل ﴿ يجب على كل أمة شرقية يجمعها دين أو وطن أولفة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها في الشرق أن يهدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرقى من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا ولكن لانقب عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا في ما زق الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسعى في اتحاد الأمم جميعها شرقيا وغربيا لأن الجمعية كلها كانت أكبر كانت منافعها أوفر ﴾ وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تند وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحى الذي أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربي في الكعبة وهناك يعممون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانساني كما تقدم ويشير لذلك حديث الصدقة إذ لا يجد المتصدق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون معجزة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) وأمريكا وقول المستر (ولز) ﴿ كل دين لا يسير مع المدنية لا ينفع والاسلام هو الدين الحق الخ ﴾ فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه امثال هذا التفسير ربما يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها الانوار على ﴿ قسمين ﴾ نور ظاهر وهو نور الشمس والافكار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس وما فيها من الصور والانسان لجهله يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعب في

تحصيلها . اما الصور الشمسية (الفتوغرافيا) مثلاً فانه يفرح بها لأنها جاءت له بعد التعب فهو جهول  
والعوالم ألواح نفوسنا وكل انوار في الأرض انما جاءت من السماء ويقاس عليها أنوار عقولنا فهي من  
السماء لامن الأرض . فإذن نفسى لاحد لها فلا تدرسها ولا أقلد بعض الشيوخ الجاهلين الذين قالوا  
(إن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه) وهناك طوائف يقتصرون على الذكر وحده ولا بد  
من قراءة كل علم في الدنيا لأن نفوسنا لاحد لها ، ولكن هذه القراءة توزع على جميع الأفراد وهم  
متعاونون تعاون قوى الدماغ سواء بسواء ، هنالك يتم سعادة هذه الأرواح المرسله من السماء بالاتحاد  
العام وترتقى ارتقاء لاحد له والله لا يعطى هذا الانسان إلا على قدر تعاونه العام

٨٩ (القرآن والعالم المادى) المادة لم نرم منها منفعة إلا على مقدار ما استخرجناه منها كالمعادن ونحوها من  
الأرض ، هكذا القرآن لا ننتفع منه إلا على مقدار ما نستخرج من علومه ، فهذه القصص فيه قد ترك  
الناس مغزاها . عرف سليمان قيمة نعمة العلم بكلام النملة فشكر النعمة وهكذا في مسألة العرش واستقراره  
عنده وشكر النعمة بقبولها والعمل لها . مسألة الهدد فوز سياسي ومسألة النملة فوز علمي فوجب  
عليه شكر النعمتين ومن لم يشكر النعمة سلبها ولا شكر إلا بعلم . سبأ كان لهم سد العرم والجنات  
فكفروا النعمة فرالت الشياطين يعملون لسليمان محاريب وتمائيل ، فهنا علم وملك وصناعة وزراعة  
فالأول بالنملة والثاني بذكر الهدد والثالث بعمل الجن الصناعات لسليمان والرابع بجنتي أهل سبأ وكأها  
قد ذكروا الشكر أوضده . إذن هذه القصص جاءت لا يقاط المسلمين لأمثال هذه الأعمال ولا نذارهم  
باهمالها . هذا بعض سر آية - وقليل من عبادى الشكور - وكل ذلك مناسب لهذه الآيات لأن  
أرواحنا نور من الله وللمناسبة الهدد والنملة التي ذكرت في مساق الدواب والطيور هنا

٩٢ تفصيل الكلام على الشكر وقول المصلى (و لك الشكر الخ) ولا شكر لأهم الاسلام اذا لم يحافظوا على  
عروشهم وعلى بلادهم ولم يتركوا الترف والتنعيم . والملك اختبار للانسان لاختليد وسليمان يقول فيه  
- لياؤنى أشكر أم أكفر - فكيف بالمسلم الذى لم يعده الله بالملك كما وعد سليمان عليه السلام .  
وبيان أن السلام فى بلاد الاسلام لا يتم إلا بتعميم التعليم وجميع أقوال الصلاة تشهد لهذا المقام

٩٤ ذكر أن أمان الله خان قد عمت الثورة أنحاء بلاده كما كنت أتوقعه فى نفس هذا التفسير فى (سورة  
الحجر) وأن هذا التفسير جاء لمساعدة الملوك والأمراء المصلحين فهو خير من الضغط الذى يورث الانفجار

٩٥ ونظير هذا ما حصل أيام المغفور له محمد على باشا إذ اعترض العلماء جهلا على الأطباء لانقاذهم الحجر  
الصحي (الذى هو شرعى) حقا وهم نسوه وردة عليهم فسكتوا . كل ذلك وهذا للجهالة بهذا الدين  
بيان أن مانقوله فى هذا التفسير قد ابتداء العلماء قبلنا كالامام الغزالى فقد ذكر أصناف الحيوان وانقسامه  
وعجائب البقة والنملة والنحلة والعنكبوت وهندستها وأن الناس لما ألفوا ذلك سقط وقع من قلوبهم  
ولا يحبون إلا من الأمر الغريب مع ان العجائب كثيرة أمامهم فى الأنعام ومنافعها وفوائدها وقطعها  
للبدوادى وهكذا جاء فى كتاب التفكير أحاديث وآيات للحث على التفكير . ولقد سلط الله على المسلمين  
صغار العلماء الصوفية من الداخل والتار من الخارج بعد العصور الأولى ، فهذا الذى كتبناه فى التفسير  
اليوم نتم به ما كانوا ابتدؤوه قبل (٩٠٠) سنة ونسير معهم لأمع المتأخرين النائمين

٩٧ بيان ان علماء أوروبا فى القرن العشرين ينظرون لعلمائهم فى القرن التاسع عشر نظره الى الأطفال  
كما تقسم فى (سورة المؤمنون) فصغار المتعلمين من المسلمين الآن عرفوا آراء القرن التاسع عشر الى  
الآن لم يعرفوا آراء علماء القرن العشرين فضلوا وجهلوا



٩٨ يقول الامام الغزالي ، أعظم علوم القرآن أسماء الله وصفاته ، فعلى المسلم أن يفهم صفات الله من ذكر أفعاله كالسماوات والأرض بحيث يرى الله في كل شئ وكل شئ هالك إلا وجهه وأول علم المكاشفة أن وجود كل شئ تابع لله فليتناقل المسلم أعضاء الانسان وعجائبه الظاهرة والباطنة ولتكن تذكرة بصفات الله ﴿ ويناسب هذا قطرة الماء المتقدمة وانها ترجع هي وجيع المادّة لأنوار ، وهنا ذكر الغزالي رحمه الله انصراف الناس عن فهم القرآن بتيقظهم لمخارج الحروف أوللجمود على مذهب أولاتباع الهوى أولتفسير لفظي جدوا عليه

٩٩ بيان ماهوالتفسير بالرأى المذموم كأن يفسر القرآن مبتدع ويلبس على خصمه كأن يجعل حديث ﴿ تسحروا ﴾ للمستغفرين بالأسحار وكأن يفسر بظاهر العربية وقد جهل الحذف والاختصار الخ واذم التفسير بالرأى لاينافي ماقله على وأبوالدرداء من أن للقرآن وجوها والاقتصار على المنقول عن الصحابة جهل ورسول الله ﷺ لم يقم بتفسير القرآن كله . إذن القرآن فيه معان تفتح لكل جيل فافعلها جهل الجوهرة الأولى في آية - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - وهو التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٠١ هنا ﴿ موضوعان ﴾ الموضوع الأول ﴿ محاضرة في القرآن الكريم وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق ألقاها في مؤتمر المستشرقين الاستاذ محمد أحمد بك جاد المولى المفتش بوزارة المعارف وقد سمعها (٧٠٠) عالم منهم (٧٠) عالما من الألمان في مدينة (أكسفورد) وأقروا هذه الخطبة التي اشتملت على أن النبي ﷺ أعظم مصلح قام في الأرض وفيها وصف القرآن ومحتوياته وآثاره في اللغة العربية وأثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية ، وفيها ذكر العقائد والفرائض الدينية والأوامر والنواهي والانهذار والتبشير والجدل والتحدى والقصص والتشريع الاجتماعي والجنائي والمدني والحربي والوعظ والارشاد ، كل ذلك مبين بالآيات

١٠٦ بيان أن سيدنا محمدا ﷺ أعظم مصلح ظهر

١٠٧ أثر القرآن في الأحوال الخلقية وأثره في الحال العلمية

١١٠ ومن التبيين الذي وصف به القرآن ماجاء به تقرير كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ في الجمعية الاسيوية الفرنسية على يد عشرة علماء وفلاسفتهم إذ جاء فيها أن هذا الكتاب اثبت أن الاسلام دين القطرة بعد أن لخصوا ما في الكتاب من المباحث التسعة وأن مباحث ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ التي طبقها المؤلف على القرآن جاءت بطريقة سهلة لم يسبق المؤلف بها احد من أئم الاسلام الذين جدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط أئم الاسلام

١١٣ أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة وهي ﴿ ثلاثة أنواع ﴾ الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ووضع كل منها في موضعه ، ومن ذلك آية الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك فلم يكلمه إلا بمسألة الشمس ومشرقها ومغربها لأن الغرود من عبادها . فهذه مجادلة ولذلك لم يقل فيها - وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه - الخ وما قل هذا إلا عند آية الحكمة وهي التي في الأنعام حين ذكر الشمس والقمر والنجم ، فهذه حجة وإيقان . فأما الموعظة الحسنة فثل آية الكرسي ونحوها فهذا من تبين القرآن ، ومن الحكمة المحبوة في القرآن قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وهذا عند التكلم في الانفاق والمناسبة التامة لا تعرف إلا بأن يعرف الناس انهم جميعا اذا تعاونوا شرقا وغربا سعدوا السعادة التامة لأنها ترجع الى كل فرد على قدر كثرة الاتحاد العام ، ولقد

جاء في كتاب أصول القوانين أن المدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى فقتل الغلام  
لاصلاح الأسرة كلها ، فالمصيبة الخاصة للاصلاح العام لا ضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر لمنفعة أعم  
وهو اسلام أبنائهم وهم أمم كثيرة

١١٥ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار ولهم  
المصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ ﴿ أربع لطائف ﴾ اللطيفة الأولى ﴿ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات -  
واخبار النبي ﷺ لعدى أن الامن يعم البلاد حتى ان الطعنة لتأتى من الحيرة وتطوف بالكعبة فلا تخاف  
وهذا معجزة ، ثم اللطيفة الثانية ﴾ في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وعمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينقسم  
أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه ليس خاصا بضرب  
العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة بجميع الصناعات فروض  
كفایات جهاد

١٢٠ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ - يأيتها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - لعنكم تعقلون -  
وتفسيرها اللفظي

١٢٢ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي  
١٢٣ خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٤ الجلال والنور في سورة النور وفيها ذكر تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق  
الانسان وانه من نقطة فضضة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء  
ما يحفظ حواسه ، ففي الأوليين جعل هكل الانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والضياء أى من  
كل ما حوله ولذلك قيل - فتبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة  
به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يعبر عن كل ما احس به بحواسه الخمس من هذه العوالم  
وأیضا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفت الحواس الأخرى من الملموسات والمشمومات الخ وتعرف  
نعمة الحواس بموازنة الانسان بالدود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويعين عليه  
طموح العين لمحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله  
عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس ﴿ فريقان ﴾ أصفیاء وأغبیاء ، فالأغیاء ينظرون  
جمالى في النجوم والثمار والأزهار فلا يعقلون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومنى صنعت لهم سائحة نحو العلا  
سلطت عليهم زبانية الشهوات تضربهم بمقامع من حديد فتردهم الى أسفل شهواتهم وألسنتهم عاكفة  
على الأذى لقومهم كأصحاب الإفك . إن تكليفي لكم بالتسبيح والتحميد لتذكروا نعمي المحيطة بكم  
فليس الجلال في الانسان وغير الانسان مجرد التناسل . ألم تفكروا في فتوركم بعد فراغكم من تلك  
اللذة . تنادىكم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والطير المفردات أن هلموا الى العلا . ان لم تصونوا  
اللسان عن تضييعه لأوقانكم والفرج عن الفاحشة والعين عن المحرم فكيف ترون انى نور السموات  
والأرض ؟ انكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف في لذة الوقاع فالكتم تسرفون

١٢٧ آراء الانسان المخزونة في عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد اتم عنها مسؤولون .  
هذه الجمل ملخص سورة النور



١٢٨ ﴿سورة الفرقان﴾ هي «ثلاث مقاصد» المقصد الأول «من أول السورة الى قوله - بل هم أضل سبيلا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني - الى قوله - وأصحاب الرّس -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نذيرا - كلما اختل النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدوم ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهداها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدءا ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لايفتر عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعديها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بعقولنا إلا بالموازنة فلما دام ملك الله ولم يهدم كملك بني آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العائمة . بخاريها لو فيكون مطر بتحرك الشمس له أولا والهواء ثانيا وهي تلح على الحب المبدور فينمو ويتبادل الحيوان والنبات التنفس فما يخرج من الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السماد الذي منه ما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكجائبات النحل والنمل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمان المتقدمة في سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعد بالعشرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتوالية العديدة عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث في ترتيب الآية . وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام في افريقيا وترقيتهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحقيرها الآن بالعلم وبيان أن مسلمي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأم كلها أطفال وأن رحمة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وان التقديم والتأخير حصل في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدث والثانية للدوام . قدم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدث وأخذ ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهودائم فالتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، وبيان أن ما فعله مصطفى كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طرفة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأمر أمان الله خان الذي قلده مصطفى كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غرانيشتاين) الألماني القائل ﴿إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طبيبا ماهرا ﴿ ومثل الدكتور (كيسر) القائل ﴿ إن السواء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال ﴾ وهنا (٨٠) علما قرروا أن الاقتصار على الطبيعة كاطواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسي والطبيب لجسم الانسان . وبيان أن هذا التفسير روح بها الله في الاسلام لترجيح الملوك والمصلحين من العناء وإن كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولكنها تدوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظائر شيخ طريقة كان مجاورا لى في طولون ، وكان يظهر بعض الكرامات الصناعية

فيها به المريدون في الصعيد بمصر وهذه حال لا تفيد لأنها وقتية كالأدوية التي ذمها الأطباء

﴿ الياقوتة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت

لها بيوتا وضربت خيامها في آلاف الأفدنة بجوار (بلدة المرج) قرب القاهرة وانها نساجة غازلة صائفة

مفترسة للذباب وهي أشبه بالأم الصانعة التي تفك بالأم الزارعة لأنها أرقى منها وقد عرف هذه الفكرة

السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية ليتمكن استعبادها ، وهنا بيان ما في

جسم العنكبوت من المصنعين مصنع الغزل ومصنع السم لجلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلها في ذلك

النحل لها ﴿ مصنعان ﴾ مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما في الأرض من

مصانع الذخيرة ماهي إلا تكرار لمصانع في الحيوانات كهذين المصنعين في العنكبوت والنحل ، وهكذا

مصانع الغزل والنسج والسكر تكرار لذلك في العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من

الحشرات كالذباب والنحل في عدد أرجلها فهي ذات ٨ أرجل والحشرات (٦) أرجل ، ومثل العنكبوت

العقرب في عدد الأرجل وكذلك أبو شيت وأكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحل والزنبور سام

بخلاف العناكب والعقارب وأبو شيت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت

بيوتنا وحقولنا في الأماكن التي تركها الانسان لتكون عبرة لعقلاء الأمم المفكرة (شكل ٢٧) فيه

رسم جهاز الغزل في جسم العنكبوت مكبرا (شكل ٢٨) رسم ابرة النحل مكبرة جدا (شكل ٢٩)

رسم العنكبوت وله إبرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة والى يمينها الغدة التي تفرز السم

(الحكمة العملية) ١٤٨ وهي ان الأم الصانعة تستعبد الأم غير الصانعة لأن الأولى تخلقت ببعض أخلاق الله ،

انظر الى الألمان الذين صنعوا حريرا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير الدودة وإذا

دام هذا تنقرض الدودة . في الهند يزرع نبات نيلة الصباغة في مليون فدان فاستخرج الألمان مادة

الصباغة من الفحم فبارت تلك الأطيان . إذن هذا الانسان خلق في الأرض ليصنع كل شيء بنفسه

فلا يتشكل على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشيرانه للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نعمة لأنه يحيل

الطوبى الى جسمه ولكن هو نفسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط

عليه . إن الام الوفرة الرزق ذليلة والأم التي تعبت في التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذي

يجد الرزق في كل مكان والثانية كالعنكبوت الذي يحتاج الى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى

- وخلق كل شيء فقدره تقديرا - . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها في القرآن إذ علم أن المسلمين

سينامون أمدا طويلا فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العللون - (بكسر اللام) ثم

إن هذا التقدير ليس خاصا بما فوق الأرض بل يشمل ما في البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السفينة



١٥٢ فهنا سمك كهربائي (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرازيل وغينا ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمساطر المسدسة الأضلاع . فهذه جعلت اصيده في البحر كشبكة العنكبوت في البر وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (الوتيلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة وهي (ثلاثة فصول)

١٥٥ (الفصل الأول) في خطاب الله للأمم ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطانا متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعلت له صدقات تحيط بجسمه ومنه ما لاصلاية في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالخشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لا في الخارج كالانسان وذوات الأربع والطيور أي جميع الحيوانات الفقرية فهي تخالف بناء منازلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الانسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٦ (الفصل الثاني) في خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سنتي وهذه أفعالي فسنتي ابراز جميع الصناعات كما أرى يتكلم في جسم النحل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة (الفصل الثالث) في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحيرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكان ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا يدل ذلك على رفعة قدرهم فإن اتنويم المغناطيسي قد حدث بذلك صدقانة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن الهدد إذ أخبر سليمان بما لا يعلمه ، فهل الهدد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح أيها المسلمون يزيد عما صنفته العنكبوت من المراكب الهوائية التي طارت بها في الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيار أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله مادمتم جهالا فاني أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليصوموا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون الأساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الدباغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو خاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سبنسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدىء بالكلام قبل الكتابة مشاككة لتاريخ ذلك والله خالق العالم قبل خلق الانسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قبل درس تشريح الانسان ، إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الانسان فليدرسوا قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الانسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعرف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تفصيل لآيات هذه الخشرات والحيوانات والطوفان إلا يعلم يشمل نوع الانسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالمسلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجرادة والدم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولا تحتاج الى علم ولا فهم ولكن الله يقول كلا ثم كلا لا يعقلها إلا علماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شيء والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم يبنوا القناطر والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قديما فانتفعوا به واليوم لا علم في البلاد كالذي كان في الجاهلية أيام ممالك سبأ فأقفر الجنتان . وهل يرجع المجد

للقوم إلا بالتبحر في علوم الهندسة وأما الهاكلاثم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ما عرفه الناس في أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما نستعمل نحن الخيل فتركب منها ونهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض البرقان والنزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدمرات لما نخزنه وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطر ومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فالذكور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس يفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض أسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقدره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذي يسبب مرض (الدنج) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حجى البلح) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تغطي الأسرة وأن لا تترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه وليعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته لبيان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثالها أنها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون إذا لم يعلموا هذا فالتة لهم بالمرصاد في الدنيا بالذل وفي الآخرة بجهنم

١٦٤ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - وبيان أن هذه (سبع صفات) لا بد منها للالوهية وبيت القصيد منها قوله - ولا نشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يعيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والسكامل لا يفعل العبث بخلق أرواح في الأرض ثم اهلاكا بلا فائدة تترتب عليها . وانظر الى عدد (١٩) الذي مر في اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - وقالوا مال هذا الرسول - الخ - الناس لا يعظمون إلا من كثر ماله وحشمه والترف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا مادخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ اللطيفة الخامسة - ولكن متعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدین ان هؤلاء تنعموا فانبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يعيشوا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجة النبوة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الغنى . إن الملائكة والأرواح العالية لانكم إلا نفوسا ترفعت عن المادة ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمائدة وبالفتجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي ﴿ الأرواح ﴾ وأكثر الأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

﴿ اللطيفة السادسة والسابعة ﴾ النعمة معها نقمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم وتحارب الذرات لتفتك بأجسامنا وفي أثناء القتال نحصل الحرارة فنسميها حي والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لاهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سر قوله تعالى - وجعلنا بعضكم



لبعض فتنة - ومن هذا منافع الأعداء ومنه قول الشاعر \* عدائي لهم فضل على ومنه \*  
 ١٦٩ ﴿ اللطيفة الثامنة ﴾ - وقد منا الى ما عملوا من عمل - الخ نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت  
 أشبه بذرات الضوء في طبقات الجو لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوءها هكذا  
 الأفكار إن لم تجمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة  
 جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دار العلوم يقول كيف  
 نتصور وجود الله وعقولنا لاتعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقتدر لكل شيء فأجابه  
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والمربع وقضايا الحساب وغيره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة  
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وأيضا مالنا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث  
 اذا كانت الأرض جوهر افردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نعقل خالق العالم  
 (٢) وأيضا نحن لانعرف العدم ، فالملت أجزاءه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قيل اليوم  
 انها تنعدم وترجع الى أثر ولكن الأثير موجود . إذن لاعدم والوجود هو الأصل . إذن وجود الله  
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة اي فلانقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي  
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرحة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتنظر  
 الأنوار الآتية لنا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فالرحة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية  
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرحة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة  
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب القرن الكهربائي  
 فتصرف في المادة وحول الهواء (الاوزوت الذي فيه) مع الاودروجين الى نوسادر وهذا دخل في سجاد  
 الزرع وفي الأعمال الحربية ، فنحن في يد الله بصرفنا نصريفنا للعناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا  
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام في الفناء والتسدر . ومن أراد الكلام  
 فليفكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فالخوف من التعبير بالتأخر عن نظرائه وهكذا لحوق  
 العار بنحو الفسوق . كل هذا يعذب به الانسان ولا يفيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتناس يحسون  
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة \* ولوالقي معاذيره -  
 وهكذا نرى المجدين منشرفي الصدور بنجاحهم في النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لاحقان به في  
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزي الذي قتل  
 زوجته ثم ندم وقدم نفسه للحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكتف ضميره بالقضاء  
 والقدر . إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ وبوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي  
 حديث قليب بدر ومناداة النبي ﷺ للقتلى في القليب . ثم بيان أن عذاب الخزي هو أشد أنواع العذاب  
 ١٧٥ بيان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا  
 من الجبال حجارة قبضيناها ووضعنا معها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأحجار  
 الكريمة والجواهر جملناها زينة للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الامم يكتفون من الشعوب  
 بظواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالمة هي المقصودة  
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تنحلي بها الحسان والله لا يصطفى عنده إلا هؤلاء الخالصين فهم كالجواهر  
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث : أنا أحكم

بالظاهر والله يتولى السرائر . هذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الاستاذ عثمانويل الذي تقدم ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح ﴿ إن الذين قوا العلوم وامتزجت بنفوسهم وأحبوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم انى حفظت بدون تعاضلها في النفس فلا ترقى الروح بعد الموت فالعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية ﴾ ويقول المؤلف ﴿ إن آراء هذا العالم الروحاني تشابه آراء الغزالي في كتاب الإحياء ﴾ ثم تبيان أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر أنه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلهذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلاً وأخبرنا به وجعل لنا عيوناً بخلاف حشرة (الأرض) التي لا تحتاج إلى ماء المطر وهي عمياء ، ماذا لا يذكرنا بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضاً هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتعارف وتصدق ونستخرج منافع الأرض معاً . وبيان أن أخلاق الإنسان وأعماله يراها المفتشون من الملائكة مسطرة على دماغه وجسده كله ويقذف في النار بعد الموت أوفى الجنة أو يبقى مدة إلى أن تظهر خباياه ثم يرسل إلى جنة أو نار وهذا كله يوافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذي ألقته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود الله تعالى لما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع إلى ذرات ضوئية كهربائية وماهى إلا حركات ناشئة من عالم لا ندركه والعالم الذي لا ندركه وراءه موجود - قبيح هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التي لانراها وإذا كان الوجود المجازي أو الظاهري الذي سميناه مادة رأينا لا يعدم إذ المادة ترجع إلى الأثير الخ فكيف إذن يكون الوجود الحقيقي الذي هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال بقولنا من الذي خلق الله الذي يبنى على أن الأصل هو العدم . وبيان عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن ادراك حقيقة عالم الأثير كما عجزوا عن ادراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خلقنا وذلك بعالم الخيال عندنا فنسب ضعف خيالنا إلى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمة خالق العالم وخيالنا لابقاء له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة عدم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لاتأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه حاجة في خالق العالم إلى مادة سابقة ولإمثال ولا في عدمه إلى شئ غير الإرادة وبه نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبواباً كانت مقفلة على أكثر أنواع الإنسان والعلم الحديث هو الذي سهل فهمه لأنه أرانا أن المادة حركات لا غير فهي معدومة ، ثم بيان أن هذا المقال سيتم في آخر سورة النمل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة في القرون الوسطى التي استمدت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢ ﴿ اللطيفة التاسعة ﴾ في قوله تعالى - ويوم تشقق السماء بالغمام - وبيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانها في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمثالها سترجع إلى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

﴿ اللطيفة العاشرة ﴾ - ويوم يعرض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها ﴿ أربعة أقسام ﴾ تأتي سريعاً وتذهب سريعاً أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الإسلامية اليوم . وبيان أن الأمم الأوروبية قد نبغت في صناعة السلاح وصناعة الحيل والمكر حتى انهم يرسلون للأمير ولقائد الجيش في أمم الاسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه إلى مناوأة الآخر وهناك نكون لهم هم الفائدة المرجوة وهذا يناسب الآية - ويوم يعرض الظالم على يديه - الخ

١٨٤ ﴿ اللطيفة الحادية عشرة ﴾ - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - وبيان أن



المسلمين جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقراءة ووصف الله بأنه كريم خلقة الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاغتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم التي هي نعمة العلم خاف العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وتقصير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - الحمد لله - على كونه - رب العالمين - كما قدم - اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذي يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها أم غيرنا وهي غلوم هذه الكائنات

﴿الطيفة الثانية عشرة﴾ - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل والانسان بعكسه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض يكون حظها من العقل فادراك النبات أضعف ويليه الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحطة تحشر على وجوهها لعدم تعقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعلى مقدار الجهد في العلم والعمل وارتقاء الفرائض تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ وشرح معنى المثل وأمثال (كلىة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال إنما ألهمها الله لعباده لأن فهم المعاني منها أبقي لها عند النفوس الانسانية لأنها لاتعظم إلا ما تعبت في تحصيله كما لم ترغب في جبال النجوم وبهجة الأشجار كغبتها في المساء والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعد عنها وغلو ثمنها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج إلى أعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته المؤلف في دار الآثار العربية من سجادة غالية الثمن وانه من عقيق أثمنهما مرتفعة جدا وهكذا قيص ابن هرون الرشيد . فهذه كلها لتدريتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبدولة لتركوها

١٩١ وههنا أن أذكر قصة العابد المقتون وهي الرواية الهندية . ذلك أن العابد ( كندو ) حسده ملائكة السماء (في زعمهم) فأرسلوا له (براموتشا) وهي حورية من الجنة فأضلته بجماها وأنسته العبادة أياما كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لعقلة الانسان عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مهابهارته) كتاب هندي . وذلك أن (نال) ملك مملكة (نيساوا) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمال الفتاة الفتانة (دامان) ففتن بها وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخبرت أباه (فيم) ملك مملكة (فيدونه) وانتهى الأمر بزواجه لها . ثم إن إله الشر (في زعمهم) أوحى إلى (بوسكار) الذي هو أخو (نال) أن يلاعبه الميسر وهو بشره يساعده عليه خفسر (نال) كل مملكته وعاش هو وزوجته في الذل والفقر ثم رجع معها إلى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بلا حرب ولا ضرب فأصدر (نال) أمرا بتحريم لعب النرد على مال لأنه مضيع للمال . وبلى ذلك قصة هاروت وماروت التي ضرب بها الأمم السالفة مثلا لاضلال الانسان بالشهوات فيسقط من عزه إلى أسفل سافلين . وبيان أن تلك الخرافات المنقولة عن بني اسرائيل جاء في حديث ﴿حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج﴾ جوازها باعتبار انها ضرب أمثال لاحقائق ولكن حقائقها لا قيمة لها وديننا لا يبيح انشاء روايات على هذا النمط لأن الامثال لا يعقلها إلا العلماء بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو للجاهل والعالم فلذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يوهم

أنه حقيقة . وهذه الروايات نقلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجوز فلا اعتراض عليهم في ذلك  
لا محل له بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورقوا بها أهمهم كرواية (وردة)  
عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أى قائل كان . الانسان  
في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقيته فضلة غليظة وهذه  
ترجع فتصير زراعا قدما . فهذه كناية سقط في سنته فأعيد ثانيا وهكذا . وهذا الدم يمد الجسم  
ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة  
والانوثة ليست شرطا في النسل فان المحار لا يحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة سلم جعلت لارتقاء  
العقول بالعلوم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) انها تمرين على الفضائل  
وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأنثى وحب العلم وحب الله  
وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عاشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلهم فاخترعوا آلهة  
يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفؤ له حتى  
يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء نصائح (بتاح حتب) وقصة (البحرى الغريق) عند المصريين الذى ركب سفينة  
وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حية وأكرمته ورجع الى بلده . ومثلها السندباد  
البحرى وقصة حى بن يقظان وروبنسون كروزو وألف ليلة وقوانين (جورابى) سنة ٢١٠٠ ق م  
١٩٧ (اللطيفة الرابعة عشرة) - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور  
والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء  
والضوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر نفوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لنفعتهم كما انتفعوا  
بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الانسان اليوم أكثره في جهالة (انظر هذا في كتابى أين الانسان)  
١٩٩ (المقصد الثانى) - ألم ترالى ربك - الى - أوأراد شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا  
٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف \* اللطيفة الأولى) - ألم ترالى ربك كيف مد الظل - وتقسيم الأجسام الى معتمة  
وشفاقة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل وما سببهما وأن الظل والظلام في العالم  
يقلان جدا وأن الكسوف والخسوف بسبب الظل القمري والأرضي

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ويان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس  
يفنى اذا امتصه النبات أو شربه الحيوان بل هو باق ويرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة  
والصفاء حتى تقبل رسوم العقول للطافتها وأحق بالبقاء لشدة لطافتها وصفائها . ثم ان الماء كثير  
التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه  
عجائب وألوان وبدائع تقدم ذكرها وهكذا القرآن قد صرفه الله تصريف الماء من تغلغ في الحكم  
والمواعظ والأخبار الخ . هكذا الانسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم  
ويطبخ الدم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت  
أعمالها . هذه هي النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكورات في هذه الآيات

٢٠٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبيان



الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين السنين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (٦) (قسمان) زوج وفرد والأفراد إما أولية واما مركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد واما ناقص واما كامل فالزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذي استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كوامل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهو الشفع والوتر وبالشمس والقمر الخ ولم نره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولا بالحوض واليوسع والذي أقسم به الله شريف . إذن فلماذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا حكاية الشعبي لما أوفده عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعيم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شيء وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذي لانهاية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كالمائة والألف وبيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب تقريري ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب في المنام صحيح لأن الوحدة مساوقة للوجود فكل موجود كثيراً أو قليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قبيل تفسير هذه الآية كانت تخطر له خواطر في الأعداد الأولية والفردية والزوجية وانه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العددي في قوله - ستة أيام -

٢١١ (الجوهرية الأولى) في قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يا حسرة على العباد - وذلك لاعراضهم عن آياته واستهزامهم بها مثل ما هنا من آيات البحار كالمرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (اللورد أقبرى) الانجليزى فيصف جلال الله في هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذى في كتاب اللورد المذكور خطاباً للبحر مثل \* إن في صدرك الرحيب رجالا \* الحيوانات في البحار مثل الكاشولات ومثل الرور كال

٢١٣ ويبلغ طول هذا (١٢٠) قدماً وذكر قرىص البحر الذى يغطى اميالاً من سطح البحر الحشرات وبعض ذوات الثدي ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الجار . وبيان أن جبال البرق قصر على السطح . أما جبال البحر فهو في سطح الماء وفي وسطه وفي القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش في عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العميون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجل لونه وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاء بنوره ليراها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقديوقد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكاد سنا نوره يذهب ببصره فيفر منه فهو يفعل فعل الظربان باطلاق رائحته على عدوه . وعفريت البحر له خيوط تضرب الى الحجرة يستعملها حبالاً للصيد فتقوم مقام نسيج العنكبوت في البرق فما عليه

إلا أن يطلقها في الماء فتغتربها السمكات المسكينات فتظنها حشائش فتقترب منها فينقض ذلك العفريت عليها فيقتنصها ، هذا اذا كان العفريت قريبا من السطح ، فأما في الأعماق فان تلك الخيوط تكون لماعة وبهذه الصفة تفترس السمكات

النباتات البحرية لاتعيش على أعماق من مائة قامة وقعر المحيط الاطلانطبقى يصل من (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحمرة ثم البركانية ، كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألف شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقي وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء كجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكي والهندي وهي تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون في وسطها حوض ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لقرط العمق . والسواحل رملية بيضاء غالبا وعليها نخيل (الشكولانه) وهناك جزائر (١٠٠٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بهيئة شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه ثغور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقية . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم انهم أحسن عملا من كل حيوان وفاتهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالآلاف سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم يقدرُوا . البحر المالح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاها لآتت ماؤه بما فيه من الرمم وجثث الحيوانات المائية . ولقد جعل الله من هذا الماء المالح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا في الجوّ وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض يتابع بعضها يكون تحت الماء المالح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا تجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء ولا لصور الأشباح الساريات في الجوّ بمعونة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعدسيتها فترسم على اللوحة وراها في خزانها المظلمة عند المصور الشمسي فهذا كله يشبه قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحب تمتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لا يعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مصطفة للملك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال وما مناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجبال بأنواع من الحركات والجمهور عمى عن هذه المناظر الجميلة فلذلك عوضهم الله عن هذا الجبال الذي حرموا من منظره وهو أمامهم بالأعياد والمواسم التي يفرحون بها لقربها من عقولهم . أما أولوا الألباب فمناظر هذه الدنيا هي الأعياد الدائمة لهم لقربهم من ربهم ومعرفتهم بجمال صنعه . يرون الشمس تسكو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب يبرقع خضراء وزرقاء وصفراء أوجراء وهذان وحدهما في الزهر . وترى أمواج البحر في خط الاستواء تنبعث منها هيئة قوس قزح والبرق اللامعات والماس والزرجد الأخضر واللازورد فاذا غربت الشمس تبدت تلك الحسان في جوّ

٢١٨

السماء



السما باسما الثغور ويسدل الستار على الأرض وما عليها من جبل وزرع وبحر وتتجه العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلها الليل والنهار وأكثر الناس عنها محجوبون لهذا عوَّضهم الله بأعيادهم كما قدَّمنا وبالصورة المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لقصور عقولهم .

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحكماء فاذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبدع من تلك المناظر السماوية والأرضية فاذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ما هو ابداع في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورات عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فاقسمت اثنتين فأربعا الخ وهكذا حتى صارت جماعات متجاورات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وبهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني ( وبعبارة أخرى ) اننى أنا قد وجدت في جسمي أمما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدججات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تحارب الجنود الهاجة على جسمي لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقض على تلك الهاجة فتهلكها وتزداد بذلك قوة ومتى حصل في جسمي جرح بدخول الأجانب أسرع جنودى فتراكت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ما هو إلا القلعة الحصينة التي تحصنت فيها جنودى فأكلت الأعداء وجندائهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفسدتها تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر عجيبة ليس يعقلها الانسان لولا أنها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات في جسمي أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشرقها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تطورت سبع مناظر ( شكل ٣٩ )

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دمنا وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حي وقد وجدوها أنواعا شتى وهذه الخلية أو ( البروتوبلاسم ) متى صادفت ذرة من النبات أكلتها وهضمتها فلافرق بينها وبين الحيوان المعروف أكلها وهضمها وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام ( باستور ) فلما ظهر هو كشف لنا ( عالم المكروب ) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجدرى وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ ( شكل ٤٠ ) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تتغذى بمكروب ( الدفتريا ) ومكروب ( الستر بتوكوك ) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب ( الكوليباسيل ) ومكروب ( الانتراكس )

٢٢٣ جوهرة في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وأن المصلى في ركوعه وسجوده إذ يقول ( خشع لك سمى وبصرى ) واذ يقول ( سجد وجهى للذى خلقه وصوره ) انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضاءه المشتملة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الراى جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة وبماثل الأولين جماعات الحكام فى الأم وتمثل الأخرى جماعات الأم المحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير ( أوليفر لودج ) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا عجب

٢٢٥ ان ما ذكره اللورد (أوليفر لودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تتصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلاً سير من الخلق الى الحق والمصل في سجوده وركوعه إذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق وما فعله اللورد (أقبري) هو ما فعله حكماء اليونان فان (تاليس) اليوناني و (أنكسيما نيس) و (ديموقراطيس) و (السوفسطائية) و (فيثاغورس) و (أنبذوقلس) و (أنكساغورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (الماء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو القائم بصغيره وكبيره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأي الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصل في الفاتحة والتشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر المعري \* كأن سهيلاً الخ \* وشعره أيضاً \* سقتها الرياح الخ \* خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأمم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندنيا فيا والاسكيمو ، والكلام على غرام قدماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناء على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله ظنوا أن الرقص حول أهيا كل كسير الكواكب حول الشمس وأن رقصهم لم يكن للخلاعة واللاهو بل كان تدينا وهم يكتمونونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد المعبودة (ديان) بمدينة بويست ، ومقال بطريق الاستطراد في الرقص عندهم في أفراحهم وأعيادهم ، وأن النرد عند لاعبيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديماً وهي الرموز لها بالنقط السبعة في الوجهين المتقابلين لمحري النرد المسميين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أتت من عالم غير عالمنا وأن والده سم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (بهجة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الميل . عدد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (١٠٠) وقد وصل العدد الى (٦٠٠٠) نجمة وبالنظارات نيف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالنظارات (شكل ٤١) الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع الفرس الأعظم . المرأة المسلسلة . برشاوش الغول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السماك الأعزل . السماك الراح . العواء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس التوأم الخ (شكل ٤٤) (الحمل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العضا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصغر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السماك الراح . العواء . الاكليل الشمالي . هذا هو الذي تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك في هذه المدة زاد أضعافاً كثيرة جداً فلذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء المجرة . العوالم



الجزرية ، وذكر أن أرضا اذا كانت جوهرها فردا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سنى النور وهناك سدم تعد بالالوف . ومن السدم ما يستغرق في سيره (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة

﴿ تذكرة ﴾ في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . وبيان أن بنات نعش معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما بعده من الصور

٢٤٣ ( بهجة العلم . إيضاح مسألة النور ) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة الى النور وأن الله فعل ذلك في شموسه التي كشفت حديثا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وبيان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية فحبسوا سير الشمس واليهود والعرب اكتفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سويجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سويجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخالفه القبط بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ ﴿ المقصد الثالث ﴾ - وعباد الرحمن - قد كتب مشكلا الى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٧ جوهرة في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ومناجاة المؤلف لله وتعبه من أنه أقسم بمخلوقاته من شمس وقمر الخ والقسم تشريف لث العباد على معرفة المقسم به فعموا وصموا وقد اختص المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات ﴿ ثمان خصال ﴾ ترجع لسكون النفس وهدوئها ﴿ وخصلتان ﴾ ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتضات عشرة للعلم والعرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشراك بالله على آية - واذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع ان الظاهر كان يقتضى العكس وذلك أن المسلم اذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن أنه أرضى ربه فقال الله له لا يا عبدى أنا لا أرضى عنك اذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فمجرد الايمان لا يغني عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يغترهم التوحيد ويقولون كفانا وما يكفي بل لا بد من العلوم . ملخص السورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علماء في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ الجنة ﴿ قسمان ﴾ أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي ﴿ بلاغة القرآن ﴾ . ﴿ يا قوتة ﴾ في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - الخ وبيان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ بيان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها روضات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للمفكرين ومنها هنا ﴿ ثمان خصال ﴾ نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام السحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فعلي بانزال المنذرات لهم على يد الحوادث الزمنية والله الأمر من قبل ومن بعد والحمد لله رب العالمين

## صحیح البخاری

---

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها على  
أن كتاب صحيح الإمام البخاري أصبح كتب الحديث الشريف  
ولما كانت نسخه المتعددة الطباعات قد تفتت وأصبحت نادرة  
الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة  
بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جليّ واضح  
مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه  
وقد صحح بعناية الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين  
على النسخة « اليونانية » التي انتقاها المغفور له « السلطان  
عبد الحميد خان » وأجمع على صحتها أكبر علماء الأزهر  
الشريف . وقسمناها إلى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه  
فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

---

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة